ناصر الدين النشاشيبي

تذكرة عودة



تذكرة عودة!

ناصر الدين النشاشيبي

تَذْكَرَةُ عَوْدَة

منشورات المكتب التجاري - بيروت

الطبعة الاولى
تموز (يوليو) ١٩٦٢

الإهداء

الى ولدي

... لــكي يعود !

محطة ..

قضيت ثلاث سنوات قبل ان أنتهي من اعداد كتابي « قصة وطن » .. ثم وضعته على الرف ! لقد قررت ألا أطبعه ! ان التسعمائة صفحة التي رويت فيها قضية بلدي ، ثم قصة نكبته ، لم تعد مهمة ! ان المهم هو أن تضيع النكبة ويعود البلد ! فقد مضى علينا خمس عشرة سنة ونحن نروي للعالم كيف ضاعت فلسطين . وقد حان الوقت ان نروي لأنفسنا كيف تعود فلسطين .. ان الدموع ، والحسرات لم تعد كافية . اننا نبحث عن الامل ، والنور ، والطريــق ...

ومن هنا ، قررت أن أضع هذا الكتاب ..

انه – في معظم صفحاته – لا يروي الا قصة الغد ، أما قصة الأمس ، قصة القضية وقصة النكبة ، فقد جاء ذكر كل منهما كجسر عابر مختصر نمر منه الى دنيا الغد . ان الامس لم يعد يشغل بالنا الا بقدر ما يؤثر على أحداث المستقبل ..

ولست بحاجة لأن أقول لماذا اخترت موضوع « العودة » لكي يكون شاغل هذا الكتاب . ان فلسطين بلدي .. مسرح طفولتي وملعب صباي ومعترك شبابي .. انها مهبط احلامي وموئل آمالي ودار زماني . انها بيتي وأهلي وخلاني . انها مسكن أمتي الفتية ودار مساجدي العمرية وأرض مزارعي الندية .. ولغتي ، وديني ، ودنياي ! عشتها مع وطنيتي .. مع جروحي .. مع ثورات من كان دمهم من دمي ! عشتها – معهم – بالنور والفداء ،

بالتضحية والبلاء ، مع الإيمان والحرمان ، مع الحراب والخراب ، مع دموع الالم وبسمات الرجاء ، مع خمسة وثلاثين عاماً من الجروح والآهات ..

ثم ضاع بلدي ..

أضاعوه بالخيانة الدنسة .. بالاتكالية الساذجة .. بالزعامـــات الفجة .. بالارتجالية البشعة .. بالانانية الحمقاء .. بالحزبية العمياء .. بالمساومات والمزايدات ، والاسلحة الفاسدة ، والمطامع الوضيعة ، والاحقاد السود ، والجيوش المهلهلة ..

وبين الوقفتين والحالتين :

بين فلسطين في عدمها ، وفلسطين في بعثها .. بين الشعب الشريد ، والشعب المحرر ، بين فلسطين النكبة وفلسطين الثأر .. وقفنا نرقب سر البلاء ، ومصدر الهزيمة .. وطريق العودة !

وهذه الصفحات القادمة تفتح ــ كما أرى وأفهم وأعتقد ــ شبابيك العودة امام الأهل الضياع ! فمع مطلع شهر « مايو » ــ شهر النكبة ــ من كل عام وآلاف الرسائل القادمة من الأردن ومن قطاع غزة ومن بيروت ومن مخيمات اللاجئين في طرابلس .. وصيدا .. ودمشق .. تلاحقني بالسؤال الواحد الكبير :

ــ كيف تعود فلسطين ؟

وبالرغم من ان الموضوع ، اوسع واخطر ، واطول ، من ان تتسع له رسالة واحدة عابرة ، ارد بها على سؤال من هنا وسؤال من هناك ، الا ان ضميري الذي يعيش قضيتي ، وقلمي الذي يحيا نكبتي ، وواجبي الذي تفرضه على دمي ، امتي ، كل ذلك كان يفتح الطريق الموجز التالي امام محاولة الرد على هذا السؤال ..

كنت اقول لهم : تعود فلسطين عندما يضع العرب قضيتها على رأس القائمة بالنسبة للقضايا والشؤون العربية كلها .. فهي القضية الهامة ، وهي القضية العاجلة ، ولا يشغلنا عنها شاغل بعيد او قريب !..

تعود فلسطين عندما نعبيء — نحن — الرأي العام العربي تعبئة كاملة كلية ، روحية ومادية ، وتكون على مستوى (القضية والمعركة) التي ننتظرها فتكون جهودنا في النواحي الاقتصادية والفكرية كلها معبأة في هذا الاتجاه ..

تعود فلسطين عندما يواجه العرب قوة العدو على حقيقتها .. فنعرف هذه القوة دون مخاوف ، ولا أساطير . ولا نعطل قضيتنا بسبب عامل (جهل) او (خشية) هذه القوة . ان الدول التي تحمي اسرائيل لها مصالح عندنا ، وعليها هي ان تخشى على مصالحها منا ، لا العكس ..

تعود فلسطين عندما نشعر العالم أننا — نحن العرب — على تصميم تام لاستعادة فلسطين .. وعندئذ تقوم الدول الاجنبية بتكييف سياستها في الشرق الاوسط على ضوء هذا الواقع .. وليس علينا نحن ان نكيِّف سياستنا على ضوء الواقع المـعكوس ..

تعود فلسطين .. عندما يملأ كل عربي (الفراغ) الذي تعيش فيه قضية فلسطين في الصعيد العربي حتى كادت تصبح غريبة عن أهلها .. أنفسهم !..

تعود فلسطين عندما يعمل العرب في الميدان الروحي للقضية الذي يفرض علينا ان لا نكتفي بالنواح في ١٥ مايو بل ان نعتبر كل يوم من ايام العام يمر ولا نحطم فيه اسرائيل بمثابة ١٥ مايو .. لقد عاشت اليهودية وعاش اليهود ثلاثة آلاف سنة تبكي وتنوح من أجل (فلسطين) وكان هذا من اسباب النصر الروحي لهم .. حتى انهم اتخذوا من جانب المسجد الاقصى الغربي ، حائط «للمبكى» يولولون على حجارته الصماء لمدة ثلاثة آلاف سنة .. أقول : يجب ان لا نكتفي بالبكاء . ولكن التهوين من شأن البكـاء معناه قتل الجانب الروحي للقضية ..

تعود فلسطين عندما تعمل جميع الدول العربية على تنظيم الشعب الفلسطيني في جبهة عسكرية محاربة تكون بمثابة القوة الضاربة الى جانب القوة العربية الـرسمية ..

وأخـيراً ..

تعود فلسطين كيف نريدها – نحن – ان تعود !

ان في السطور القادمة ، من الصفحات القادمة ، التفسير المباشر لهذه المعاني الموجزة ..

انها – كما أراها – « تذكرة عـــودة » ..

.. الى بلدي الحبيب !

ناصر الدين النشاشيبي

الحبّ الكبير .. أقوى من الفراق !

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ... »

« سورة الاسراء »

●

« لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى »

« حديث شريف »

●

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني اليه في الخلد نفسي !

« شوقي »

●

« فلتنسني يميني لو نسيتك يا اورشليم ! »

سألني القادم من نيويورك ..

ـ هل تسمح لي ان اخاطب عقلك ؟

قلت : تفضل ..

قال : مندوبكم في الامم المتحدة اعلن أن العرب يرفضون المشروع الامريكي الذي تقدمت به الولايات المتحدة لتسوية مشكلة اللاجئين .. وهذا غلط .. هذا خيال .. هذا تطرف لا مبرر لـــه ..

قلت : استمر ..

قال : لا تغضب .. ولكن هل عقلك يسمح لك ان تعتقد بأن اسرائيل ستسمح بعودة مليون لاجيء الى ارضها ؟ مليون جاسوس على امنها .. مليون طابور خامس على سلامتها ؟ مليون ثائر على وجودها وكيانها ؟

قلت : استمر ..

قال : لماذا لا يبقون حيث هم .. أليست البلاد العربية بلادهم ؟ ما الفرق بين مصر وفلسطين ؟ ما الفرق بين مدينة دمشق أو بغداد ، ومدينة صفد او الناصرة مثلاً ؟ لماذا لا تواجهون الحقائق وتصرون على التمسك باسطورة الحنين الى الوطن ، او العودة الى المكان الذي خرجتم منه ؟.

قلت : استمر ..

قال : هذا كل شيء .. انا أسألك ان تجيبني بعقلك لا بعاطفتك . فقد سمحت لنفسي ان اتحدى مشاعرك لأنفذ فقط الى تفكيرك . قل لي جوابك باللغة التي يفهما الدبلوماسي لا بالخيال الذي يعيش فيه الشعراء ..

قلت وانا اسأله : هل تسمع باسم الاديب الروسي الكبير « باسترناك » ؟

قال : .. نعم .. أليس هو الشاعر الذي رفض جائزة نوبل ؟

قلت : بلى .. وهل تدري لماذا رفضها ؟

قال : لكي يتجنب انتقام حكومة روسيا او بطشها ..

قلت : لا ابداً .. لكي يستطيع ان يبقى في بلده روسيا . !

وقلت مستطرداً : هل تعرف الدوق وندسور .. ؟

أجاب : أجل ..

قلت : هل تعرف انه في هذا الاسبوع بالذات يحتفل دوق وندسور بالذكرى الخامسة والعشرين للمناسبة التي قرر فيها أن يعتزل العرش ليتزوج امرأة .

قال : وما في ذلك . ؟

قلت : في هذا الاسبوع بالذات كتب الدوق وندسور لأحد اصدقائه في بريطانيا يقول : « لقد ظننت ان سعادتي ستكتمل عندما أتزوج من المرأة التي أحببتها .. فاذا بي أكتشف ان سعادتي قد ضاعت مني في الدقيقة التي تركت فيها أرض الوطن . ! انني اعيش « ٢٥ » سنة غربة دائمة .. ان حقي كانسان .. ككائن حي .. ان اعود الى تراب الجزيرة وأجد فيها منزلاً صغيراً اقضي فيه بقية حياتي .. » !

قال : ان الدوق يجيد حديث الدموع ..

قلت : انه بالاضافة الى ذلك اذكى واقدر من تولى عرش بريطانيا .. ثم ماذا تريد ؟ أليس هذا هو الانسان كما خلقه الله : عقل وقلب .. ؟

قال : وماذا أيضاً ؟

قلت : قصة بسيطة .. جندي روسي نسيت اسمه هرب في الشهر الماضي من بلاده وركب الطائرة الحربية وجاء الى لندن .. وقامت قيامة بريطانيا وخرجت الصحف الانجليزية تهلل وترحب بالعصفور الذي اختار الحرية وترك حياة القضبان . وفجأة ولم يمض على الحادث أسبوع واحد ، حتى ذهب الجندي المذكور الى مطار لندن واتصل بالسفارة الروسية وقال لهم :

— انا انتظر اول طائرة تعود بي الى موسكو ..

وجاء رجال الصحافة في مطار لندن يسألونه ..

— هل تنوي العودة الى القفص .. ؟

أجابهم وهو يصعد الى الطائرة الروسية :

— انا عائد الى ارض وطني .. لقد اشتقت لثلوج موسكو !

قال لي العائد من نيويورك :

— يبدو لي ان المسألة اقوى منك .. فكلما حاولت ان احدث عقلك .. رأيتك تجيبني بعاطفتك ..

قلت وانا اودعـه :

— عندما تتخلى عني مشاعري فسوف أعود إليك لأعيش معك في نيويورك ، وسأكون عندئذ قد فقدت شيئاً غير وطني .. فقدت : قلبي !

ونحن لا نريد ان نعود الى فلسطين بدافع العاطفة فقط . نريد ان نعود اليها بكل الدوافع التي يملكها الفرد البشري ! واذا كانت العاطفة تسبق العقل بالنسبة لحب الوطن والحنين اليه والدفاع عنه والجهاد من أجله ، فان كل فلسطيني ، بل كل عربي ، يجب ان يحب .. فلسطين ، بقلبه ككائن حي ، وبعقله كانسان ناطق . يجب ان نحبها لذاتها ، ونحب انفسنا في حبنا لها ! يجب ان نعيش قصتها ونعيش مأساتها ! يجب أن نحتفل بأعيادها وبمآتمها .. بأفراحها وبأحزانها .. كيف عاشت وكيف سقطت .. البداية فيها والنهاية . !

واذا كان العدو المغتصب يفخر بانه استطاع ان يعود الى فلسطين بدافع حبه لها .. اعني بمقدرته على الاحتفاظ باسم فلسطين وصورتها وخيالها

وحقيقتها ، حية في قلبه ، فيجب علينا ان ننتزع هذا الحب من قلوب اعدائنا ونحتفظ به ، لوحدنا ، في قلوبنا .. ما دامت حياتنا ، ما دامت دنيانـــا ..

هل اسرد لكم كيف يروي العدوّ قصة حبه .. لفلسطين ؟

في فبراير من عام ١٩٤٦ وقف أعظم عالم عربي للتاريخ في هذا القرن ، وأعني به الدكتور « فيليب حتّي » أستاذ التاريخ في جامعة برنستون بالولايات المتحدة — وألقى شهادته في واشنطن امام لجنة التحقيق الانجلو - أمريكية ، وقال فيها بالحرف الواحـــد :

« ليس هناك شيء اسمه فلسطين في التاريخ مطلقاً ! »

قالها بالنص الانجليزي :

« ... There is no such thing as Palestine in history , absolutely not »

وكان يعني بقوله هذا أن فلسطين التي خلقتها المادّة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم وصك الانتداب على فلسطين ، والتي أعطى اللورد بلفور الى صديقه المستر روتشيلد وعداً باقامة وطن قومي لليهود على أرضها .. هذه « الفلسطين » لم يكن لها أثر ولا وجود في صفحات التاريخ ..

وهذا كلام تاريخي منطقي صحيح مائة في المائة .

وهو كلام صادر عن رجل علاّمة لا يخطىء ولا ينطق عن هوى ..

ولكن دافيد بن غوريون — سكرتير الوكالة اليهودية يوم ذاك ، ورئيس حكومة اسرائيل فيما بعد .. قد امسك بهذا الكلام عند مجيء اللجنة المذكورة الى القدس ، وقال لها عندما جاء أمامها ليدلي بشهادته . قال لها —

«.. وفي الشهادة التي تقدم بها امامكم الدكتور « فيليب حتّي » في الولايات المتحدة قال لكم انه لم يكن هناك في التاريخ شيء يسمى .. فلسطين ! وأنا دافيد بن غوريون — أقول لكم اني اوافق الدكتور « فيليب حتّي » على

قوله ، ولكن الدكتور حتى عندما يتكلم عن التاريخ فانه ـ لا شك ـ يعني التاريخ العربي وحده. ففي التاريخ العربي ، لم يكن هناك شيء يسمى فلسطين. فالتاريخ العربي عاش وصنع في الجزيرة العربية .. وسوريا وايران ، واسبانيا وشمال افريقيا .. ولكنكم لن تجدوا اسم فلسطين في هذا التاريخ ! غير أن هناك تاريخاً آخر غير التاريخ العربي ، هناك التاريخ اليهودي .. ، وتاريخ العالم ، وفي كل منهما بلاد اسمها « يهودا » أو كما نسميها نحن ـ أرض اسرائيل ـ فقد أسميناها اسرائيل منذ عهد « يسوعا » ، وقد كان في التاريخ مكان لهذا الاسم .. ما زال هناك .. في مكانه . بلد صغير ، صغير جداً . ولكنه ترك « أثراً » كبيراً في تاريخ العالم بأسره وفي تاريخنا نحن . لأنه جعل منا شعباً .. ولأن شعبنا جعل منه بلداً له . فقد خرجنا منه ولكننا أخذناه معنا في قلوبنا وفي أرواحنا ! » .

ثم يستطرد « بن‌غوريون » فيقول في شهادته :

« قد يقال لنا ان العرب أيضاً قد احتلوا اسبانيا وخلقوا فيها حضارة عظيمة ، فهل اصبح اليوم من حق العرب المطالبة باسبانيا كوطن لهم على هذا الاساس ؟ واني لا أعرف حجة تؤيد حق اليهود في هذا البلد كما تؤيده هذه الحجة ! انني أسألكم :

ـ هل هناك عربي واحد في أي بلد عربي يحلم باسبانيا ؟ هل هناك عربي واحد في العراق او في مصر أو في أي بلد عربي آخر يعلم اسم كل نهر وكل جبل في اسبانيا اكثر مما يعلم عن بلاده ؟ هل هناك عربي واحد مستعد لأن يعطي كل أمواله لاسبانيا ؟ وماذا تعني اسبانيا بالنسبة للعرب؟ ان هناك من يتمنى غزو بلاد معينة وامتلاكها . ولكنني أتكلم فقط عن حب البلاد . هل هناك عربي واحد في العالم يحب اسبانيا كما نحب نحن فلسطين ؟ ان هناك يهوداً فارقوا هذه البلاد منذ عدة قرون ، وبعضهم فارقها لآلاف السنين ـ كيهود اليمن ـ ولكنهم احتفظوا باسم « صهيون » في قلوبهم .. وعادوا .. وعندما عادوا .. عادوا والحب لهذه البلاد يملأ قلوبهم . فأين هو الشعب

الذي يحب بلده كما يحب هذا الشعب أرض صهيون ؟ » .

ويستطرد بن‌غوريون فيتحدث عن المحاولات العديدة التي كانت تهدف الى اسكان اليهود خارج فلسطين ، وكيف أن جميع تلك المحاولات قد فشلت فيقول :

« .. لعلكم سمعتم كيف جرت محاولات لإسكان اليهود خارج هذه البلاد . حاول ذلك القيصر اسكندر نقولا الاول لإسكان اليهود في روسيا ففشل . وحاولت ذلك حكومة الارجنتين والولايات المتحدة لإسكانهم هنا وهناك . ولكن المحاولة قد فشلت في كل مكان ولم تنجح الا هنا ! لماذا ؟ لأننا لم نحمل حباً لأي بلد سوى هذا البلد ! فقد تكون الارجنتين أكثر ثروة وأوسع باباً من فلسطين ، وكذلك الولايات المتحدة ، وكذلك روسيا ، ولكن المحاولة التي فشلت هناك قد نجحت هنا ! لماذا ؟ لأنه الحب . حبنا لصهيون ! فقد يقدر المرء على ان يبدل اسمه ودينه ، عمله وزوجته . ولكنه غير قادر على أن يبدل أباه وأمه ، ان أمنا وأبانا هنا . في هذه البلاد ! »

انتهى كلام بن‌غوريون ..

ومهمة الرد على هذا الكلام متروك لنا ولكم – أنتم أيها الاخوة ! لأنني لا أعني محاولة دحض مثل هذه المزاعم الصهيونية ، الرجعية ، التي تستند الى العواطف وحدها ، وانما أعني أن يكون حب فلسطين في قلوبنا اقوى من الزمن والمسافات : أعني أن نحمل معنا – نحن الفلسطينيين – هذا الحب الى جميع بلاد الدنيا – وخاصة الى البلاد العربية ، فنجعل من فلسطين صورة واضحة مقروءة محفوظة عند كل عربي من شاطىء المحيط الى شاطىء الخليج ؛ أومن أجل النجاح في تحقيق ذلك ، علينا – نحن – أن لا ننسى فلسطين ! علينا ان نحتفظ بها حية في قلوبنا وأرواحنا . علينا أن نحفظ كل اسم مدينة وكل شارع وكل نهر ، وكل بحيرة وكل جبل فيها ! علينا ان ندرسها في كل صباح وكل مساء ! علينا ان نحافظ على الأسماء العربية من مدنها وقراها وسهولها التي حاول الصهيونيون وما زالوا يحاولون تبديلها. فلا نقول مثلاً

« نتسانا » « Nitzana » وانما نقول « العوجة » . ولا نقول « يافو » بل نحفظها ونقلها ونخلدها « يافا » وهكذا .. هكذا نتناقل حب بلادنا وقصتها ومأساتها وصورها ، معنا من جيل الى جيل ، وننقلها الى كل عربي في الوطن العربي ، ونعلمه كيف يحب فلسطين ، وكيف يجاهد من أجلها ، وكيف لا ينساها ..

وهكذا نضمن تجسيد فلسطين في قلوب العرب ، كل العرب ! هكذا نخرج فلسطين من يد أهلها المليون ونصف الى يد التسعين مليون عربي .

نكتب عنها ، ونترجم الى لغات الدنيا مأساتها ، ونخطب عن قضيتها ونرفض أن نستوطن في أي بلد عربي أو غير عربي ، الا على أرضها ، ونثيرها في كل مجلس ، وفي كل قضية — ونخلق لها دعاء خاصاً نردده في كل صباح وفي كل عيد ، ونجعل أمر العودة اليها هدفنا الاوحد والأكبر !

* * *

ويجب أن لا ننسى عدونا ! يجب أن يكون مفهوماً لدى كل فرد منا أن الامر فوق طاقتنا .. فوق ارادتنا .. فنحن لا نريد أن ننساه وهو لا يريد أن ينسانا ! نحن نستعد للجولة القادمة .. للثأر ، وهو يستعد لعدوان جديد .. للتوسع ! نحن نريد بيوتنا الّتي بيده وهو يطمع في بيوتنا الّتي بقيت في أيدينا : ومن هنا ، دائماً ، يجب أن نراه ، ويجب أن نذكره ويجب أن نسأل عنه . فهو عدونـــا ..

ويجب ان تتجدد معاني عدائنا له في كل موسم .. في موسم البرتقال — برتقالنا — على الشجرات الخضر ، في البساتين المباركة الغالية هناك .. حيث تمتد اليد المجرمة ، وتقطف الثمرة الحلوة من على شجرتها .. ثم تلفها بالورق الملون وترصها بالصناديق .. وتكتب على كل صندوق عبارة : « برتقال يافا . ! » ، وترسلها بالبحر وبالطائرات الى اسواق الدنيا ! وتبيعها ..

وتقبض ثمنها ..

وتشتري بالثمن ، رصاصاً ومدافع ، تعتدي بها علينا ، وتحاربنا ، اسرائيل ، بأموالنا .. بخيراتنا .. بالمنتوج الزراعي في بساتينها الكثيرة .. الكثيرة ..

ومنذ أربع عشرة سنة ، والعالم يأكل أجود برتقالٍ من نوعه في العالم ، ولا يعرف انه يأكل مالاً حرامـــا ..

ولا يحس ان أهل هذا البرتقال قد أصبحوا غرباء ، يعيشون مع الريح والبرد والقفار .. والمـــوت .

ولا يعلم انه يشتري من لصوص .

وأنه يدفع الثمن لقتلة وسفاكين .

واننا ، نحن ، ندعو على البائع ، وعلى الوسيط ، وعلى المشتري !

العالم ، لا يعرف ذلك .

أما نحـــن ،

فكلما جاء الشتاء ، وهطلت الأمطار ، وتفتحت أشجار البرتقال ، واختلطت حبات المطر بحبات الرمـــل ، يجب ان نذكر عدونا .. وأموالنا ، وبساتيننا .. وحبات قلوبنا . حبات حياتنا .. حبات بـــرتقالنا !

ونقول : سلام على يافـــا .. سلام على الرمال البيض .. سلام على بياراتها الحـــلوة !

وبنفس الحسرة التي نذكر فيها حبات برتقالنا يجب أن نذكر الأيام القليلة الأخيرة من حياة بلدنـــا ..

ففي شهر مارس من عام ١٩٤٨ كانت الامم المتحدة تواصل محاولاتها من أجل ايجاد حل لقضية فلسطين .. وهذا ما جرى في تلك الايام ، نذكره ، لئلا ننسى :

● في ١٩ مارس ١٩٤٨ ، قامت اللجنة المؤلفة من الاعضاء الدائمين في مجلس الأمن بدراستها . ووافق مندوبو روسيا وامريكا وفرنسا على أن حالة

الأمن في فلسطين تهدد السلام. وتم الاتفاق بين المندوبين الأربعة على ان يقدموا تقريرهم الى مجلس الأمن في جلسته المقبلة في ١٩ آذار (مارس) ١٩٤٨ ، كما انهم سيطلبون وضع حد لأعمال الفوضى والاضطراب في الارض المقدســة .

ولما اجتمع المجلس في ١٩ مارس أعلن المستر أوستن مندوب الولايات المتحدة أن بــلاده قد سحبت تأييدها لمشروع التقسيم ، وتقترح اقامة وصاية موقتة بدلاً منه — يشمل فلسطين كلها . وقال مندوب أمريكا ان المشروع الجديد يرتكز على أن مشروع التقسيم الذي صدر عن الجمعية العمومية لا يمكن تنفيذه سلمياً . وان مجلس الامن غير مستعد لتنفيذه ، كما ان الامم المتحدة لا تقبل مسؤولية الحكم في فلسطين بموجب قرار الجمعية العمومية وانما قبلت بعض مسؤوليات محدودة تتعلق بمدينة القدس . ! وبدأت المناقشــة ..

وجرت عملية التصويت ..

فوافق على المشروع .. مشروع الوصاية على فلسطين بدلاً من مشروع التقسيم ، ثلاث دول .. وعارضه المندوب .. الشيوعي صارخاً : فيتــو ! ومات المشروع ..!

ومضت عشرة أيــام ..

● وجاء ٣٠ مارس ١٩٤٨ ...

وتقدم مندوب الولايات المتحدة باقتراحين الى مجلس الأمن اولهما هدنة بين العرب واليهود في فلسطين وثانيهما عقد دورة خاصة للامم المتحــدة يبحث فيها مستقبل الادارة في فلسطين .

ووقف الخواجه « شرتوك » مندوب الوكالة اليهودية في المجلس واحتج على حذف الاقتراحين بحجة اهمال مشروع التقسيم ..

ووقف بعده المندوب السوفياتي وصاح : فيتــو !

وتهللت اسارير الخواجه شرتوك .. فرحاً ..

ومات مشروع الاقتراع بعقد هدنــة ..

ومات معه مشروع الاقتراع بعقد دورة خاصة للامم المتحدة لبحث مستقبل فلسطين . !

ومضى اسبوعان ..

● وجاء ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ووقف مندوبو العرب في الامم المتحدة يحاولون العثور على أي مشروع جديد من شأنه أن يقتل مشروع التقسيم القائل بإقامة دولة اسرائيل ..

وجاهد من أجل ذلك مندوبو سوريا ولبنان ومصر والسعودية والعراق. وعندما وقف في جلسة يوم ٢٠ ابريل المستر «وارن أوستن» وطلب من الجمعية اقرار وصاية موقتة لهيئة الامم المتحدة على فلسطين كاد مندوبو الدول العربية يبكون فرحا ..

ووقف المندوب السوري في اليوم التالي وأيد الفكرة وهاجم مشروع التقسيم

وفجأة ...

وقف المندوب السوفياتي والمندوب الامريكي واعترضا على المشروع ..

ومات الاقتراع ...

ومضت الايام ..

● وجاء ٧ يوليه ١٩٤٨ ..

وعقد مجلس الأمن جلسة مستعجلة للنظر في اقتراح تحديد الهدنة بين العرب واليهود. وكان يرئس الجلسة مندوب اوكرانيا المستر مانوليسكلي.

وكان المستر ايبان مندوب الوكالة اليهودية يجلس في الاجتماع ..

والتفت المستر مانوليسكلي ، مندوب اوكرانيا ورئيس الجلسة ، الى مندوب الوكالة اليهودية وقال له :

تفضل يا حضرة مندوب دولة اسرائيل وخاطب الحاضرين بوجهة نظرك ..

وثار المندوب السوري الذي كان حاضراً ..

وصاح : ان الرئيس قد خالف القواعد المفروضة فيه كرئيس حيادي

وانني أنصحه بأن يتقيد بالاجراءات القانونية وان يدعو الأشياء بأسمائها .. ان الذي يدعوه الرئيس اليوم بمندوب دولة اسرائيل انما هو مندوب عصابات اليهود في بـــلادنا ..

ومضت سبعة أيام ..

● وجاء ١٤ يوليه ١٩٤٨ !

واجتمع مجلس الامن لمناقشة الاقتراح القاضي باعلان هدنة جديدة بين العرب واليهود في فلسطين . ووقف المندوب الشيوعي فأيد قرار التقسيم وحمل على تقرير برنادوت لأنه يعمل لإلغاء قرار التقسيم واتهم العرب – بالحرف الواحد – انهم قضوا مدة الهدنة في الاستعداد للقتال ..

ومضى أسبوعان ..

● وجاء ٢٧ يوليه ١٩٤٨

ووقف المندوب السوري فاقترح على مجلس الأمن الموافقة على الاقتراح القائل بعرض مشكلة فلسطين وشرعية حكومة اسرائيل على محكمة العدل الدولية . وجرى التصويت .. على هذا الاقتراح فعارضه بشدة كل من :

الولايات المتحدة .. وروسيـــا !

هل هذا كل شيء . ؟

لا ..

بل يجب أن نفهم معنى ضياع فلسطين من حياتنـــا ...

ان الجسر الذي يربط شمالنا ، بجنوبنا ، قد ضـــاع !

ان الشاطىء الذي يمتد على طول البحر بين « رأس الناقورة » شمالاً ، و « مجدل عسقلان » جنوباً .. وجهنا للعالم .. منفذنا للبحر .. ميناؤنـــا للدنيا ، منه نستقبل ، وفيه نودع ، ودعناه ، أخذوه منا .. بـــلا وداع !

وفي الصميم منا .. في موضع القلب من شرقنا ، في منتصف الشبكة المتصلة التي تربطنا ، بين خطوط مواصلاتنا ، وخطوط اتصالاتنا ، أقاموا

سداً معادياً لا ينفث سوى السموم ، ولا يعمل الا للشر .. ويفرق .. ويدس .. ويتآمـــر .. ويعتدي .. ويغسل عمره بالدمـــاء !

ويومنا ، كله ، بإجرامهم سودوه ! وغدنا ، كله بمطامعهم ، أقلقوه ! وجعلوا حياتنا معهم حرباً ، وجوارهم لنا نكداً ، وأعيادهم عندنا مأتماً ، وأصواتهم نعيقاً وشؤماً أسود !

تعال أحدثك ماذا فعلوا في هذا اليوم ..

تعال أعلمك كيف تحقـــد ..

كانت الذكرى في يوم جمعة ! وكانت الساعة تقارب الواحدة ظهـــراً عندما دعا « دافيد بن غوريون » أعضاء المجلس الوطني للاجتماع . وكان الغرض من الاجتماع ينحصر في البحث عن اسم للدولة الجديدة ..

واقترح أحد الاعضاء اسم .. « صهيون » ! ولكن بن غوريون اعترض على الاسم بحجة أن صهيون هو مجرد اسم لأحد الجبال التي تطل على مدينة القدس ..

واقترح عضو آخر اسم .. « جودا » ! .. ولكن بن غوريون عاد واعترض على الاسم لأن كلمة جودا تشمل الهضاب القليلة المحيطة بالقدس .. فقـــط .

واقترح عضو ثالث اسم .. أرض اسرائيل أو كما يلفظونها في اللغـــة العبرية « ارتز اسرايل » ..

وفي هذه المرة لم يأت الاعتراض من بن غوريون .. لقد اعترض على الاسم عضو آخر بحجة أن « أرض اسرائيل » تعني في قاموسهم كل شبر من أرض فلسطين القديمة .. وأرض فلسطين القديمة في — قاموسهم — تشمل بلاداً أكبر ، وأوسع من حدود فلسطين الحالية !!

ماذا يسمونها اذن .!؟

وقال صاحب الصوت الأجش : نسميها اسرائيل !

ووافق الحاضـــرون ..

ثم انتقل البحث الى موضوع الصيغة التي سيعلنون بها مولد دولتهم !
وقرأ أحد الوزراء مسودة تلك الصيغة وفيها يقول : « اننا نثق بالله ونمد أيدينا الى ... » .

وقاطعه عضو شيوعي وهو يصرخ : نحن لا نثق بالله ! اشطبوا كلمة الله !

واحتدم النقاش ..

واتفقوا على ابدال كلمة الله .. God بكلمة الرب Almighty . وانتهى الاجتماع ..

وجاءت الساعة الرابعة . وذهب دافيد بن غوريون في موكبه الاستعراضي الى دار المتحف في تل أبيب ليعلن من هناك مولد الدولة اليهودية . انه حريص على أن يقوم بتلك المهمة قبل غروب الشمس.. لئلا يدخل «السبت» ويغضب منه اليهود الارثوذكس! وهناك ، في متحف تل أبيب كانت فرقة الموسيقى تعزف أنغام « الهاتكفا » .. نشيد العصابات !

وقال بن غوريون وهو يقرأ صيغة الاستقلال : ان الدولة الجديدة ستكون مهداً .. للحرية .. وللعدالة .. وللسلام !

— حرية .. وعدالة .. وسلام !؟

وانها ولدت في اليوم الخامس من أيار عام ٥٧٠٨ بالسنة العبرية الموافق ١٤ مايو ١٩٤٨ .! وفي الساعة الرابعة والنصف ، انتهى الاجتماع ..وفي الساعة الحادية عشرة ، ذهب بن غوريون الى فراشه لينام ..

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل .. أيقظوه من نومه ! ان الموظف المسؤول في ادارة اللاسلكي بجيش « الهاجانا » قد التقط اشارة لاسلكية من أمريكا تطلب من بن غوريون أن يوجه نداء بالراديو الى الولايات المتحدة ..

ولم يكد بن غوريون يرتدي ثيابه ويذهب الى محطة الاذاعة لكي ينفذ رغبة الولايات المتحدة ، حتى كانت اذاعة « الهاجانا » قد التقطت اشارة لاسلكية جديدة من أمريكا تتضمن اعتراف ترومان .. بالدولة الجديدة !

هل تعـــرف الحقد ؟
هل تعرف الانتقـــام ؟
هل تعرف الصبر الذي يؤدي بك الى .. النصـــر ؟
اسمع ... سأحدثك الآن عن سر سلاحهم في طرد أهل البلد من بلدهم ..
هل سمعت عن مذبحة « دير ياسين » في ١٠ أبريل عام ١٩٤٨ ؟ ؟
هناك – باختصار – كانت بداية الكارثة . وكان أثرها هو نفس الاثر الذي يتمناه اليهود . ذبحوا الأطفال والشيوخ والنساء ، وملأوا بجثثهم آبار القرية .. كلها ! ثم أعادوا المذبحة في قرية « ناصرالدين » بالقرب من طبريا ! ثم كرروها في قرية « بلد الشيخ » و « سكرير » .. و « عيلوط » .. وفي مدينتي « حيفا » و « طـــبريا » !
وسأحدثك عن سر حصولهم على السلاح ؟
هل سمعت بقصة الباخرة المجهولة التي وصلت الى ميناء حيفا في مساء ١٤ مايو ، وحمولتها كلها ، سلاح .. وذخيرة .. وآلات حـــرب ؟
هل سمعت بالطائرات التي كانت اسرائيل قد أوصت عليها من بعض دول أمريكا اللاتينية فوصلت في الاسبوع الأول من اعلان دولتها ؟
هل جاءك حديث الباخرة « ألتالينا » **Altalena** الامريكية التي اشتراها يهود امريكا في مدينة بروكلين بالولايات المتحدة وأرسلوها الى ميناء « بوردي‌بو » في فرنسا حيث حملت هناك الف طن من الذخائر وآلات الحرب وجاءت بها الى اسرائيل قبيل وقوع الهدنة الاولى ؟
هل حدثوك عن الدبابات البريطانية التي تركها ضباط بريطانيا الشرفاء لعصابات اليهود في حيفا قبل رحيلهم ؟
وبعد الهدنة الاولى .. تدفق السلاح من تشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا ودول أوروبـــا الشرقية ..
وتدفق المتطوعون من امريكا ، ومن بريطانيا ..
حتى السكرتير الخاص لبن‌غوريون واسمه : موشه بيرلمان ، كان طيلة

عمره من رجال الصحافة البريطانيين ...

حتّى مديرة مكتبه « الكاناغالي » بريطانية .. وموظفة سابقة في وزارة الخارجية البريطانية ..

حتّى ياوره العسكري الكولونيل « ارغوف .. » جاء الى تل أبيب عشية ذلك اليوم قادماً من احدى دول البلقان لكي يعمل ياوراً عسكرياً خاصـا لدافيد بن غوريون دون سابق معرفة .. أو سابق لقاء . !

شذاذ آفاق لا يجمعهم رابط ، ولا بلد ، ولا جنسية ..

مجموعة من محترفي الحرب ومحترفي المشاكل ، ركبوا الطائرات ، وجاوُوا الى بلد جديد جرياً وراء المال ، والمنفعة والشهرة ..

هل أحدثك عن السر الذي كسب به اليهود قطاع « النقب » في الجنوب ، وقطاع « الجليل » في الشمال الغربي ؟؟

عشرون رصاصة ، في حي « الطالبية » بالقدس انطلقت من رشاشات عصابة شترن واستقرت في قلب الكونت فولك برنادوت..

قتلوه .. وقتلوا معه مشاريعه .. ومفاوضاته .. « وسوء نوايـاه » نحو اسرائيـل ..

هل هذا كل شيء ؟

لا ..

بل يجب ان تفخر بأنك من فلسطين ! ان تاريخك كله بطولات ! ان عمرك كله معركة ! انك قاومت الصهيونية العالمية كلها ، ومن ورائها عصبة الأمم ، وبريطانيا وأمريكا ! إنك اشعلت ثورات ٤ و ٥ أبريل في القدس عام ١٩٢٠ ، و ٢ مايو في يافا عام ١٩٢١ ، وقبلها ثورة ابريل ١٩١٩ ضد وعد بلفور .. وبعدها ثورة عام ١٩٢٩ في انحاء البلاد كلها ، وثورة اكتوبر عام ١٩٣٥ .. وثورة ابريل عام ١٩٣٦ واضرابها الذي دام ستة شهور كاملة .. ثم ثورة ١٩٣٨ .. الى ان وقعت الحرب العالمية وهددوك بالجنود الهنود .. والاستراليين .. والكنديين .. ومن ورائهم اكبر جنرالات بريطانيا

من طراز مونتغومري .. واوكنلك .. والكسندر .. وبيل .. وباركر .. فما هانت لك عزيمة وما ضعفت لك ارادة حتّى انتهت الحرب بانتصار الحلفاء الذين اشتّريتهم فباعوك ، وحالفتهم فخانوك ، وسلمت لهم مقادير مصيرك ، فسلّموك لدولة اسرائيل ! ولما عادوا الى الغدر ، عدت انت الى المقاومة ، وجاءوا بلجنة تحقيق أنجلو – امريكية ، وقرروا بنفوذ ترومان ان يفتحوا ابواب بلدك للمهاجرين اليهود .. ولكنك رفضت وقاومت ، فجاءوا اليك بلجنة تحقيق دولية ، فقاطعتها، وقاومت ، فقررت بأصوات الدول التي باعت للشيطان أصواتها ، ان تقسم بلدك وتنشيء فيه دولة لأعدائك .. فثرت .. وجاهدت .. وتطوعت وحاربت .. وقاتلت اعداء الله واعداءك – وحدك – وقبل ان تدخل الجيوش العربية لمساعدتك .. وسفكت دمك في معارك ضارية في القدس ويافا وحيفا .. وصفد .. وبيسان .. وعكا .. والناصرة .. وغزة .. وبير السبع .. والقسطل .. وديرياسين .. واللد والرملة .. والمزرعة ومشمارهاعيمك .. والدهشية وكفارعصيون .. وكانت لك في هذه الفترة تشكيلات جهادك تحمل اسماء « الجهاد المقدس » .. « وجيش التحرير » .. « ومنظمات الشباب » .. « وفرق التدمير » .. واعطيت في الميدان كل ما تملك ، وقتلت في معارك القدس وحدها اكثر من (١٧٩٦) الف وسبعمائة وستة وتسعين يهودياً ، قبل ان يشترك معك جندي نظامي عربي واحد .. وفي معارك فلسطين كلها ، ولوحدك ، قتلت اكثر من خمسة آلاف جندي يهودي .. وألحقت بالعدو خسائر بلغت – باعتراف العدو – اكثر من ١٢ مليون جنيه[١] !

---

١ – اعترف بذلك اليعازر كابلان وزير مالية اسرائيل في الكنيست في ١٤ آذار عام ١٩٥٠.

واخيراً ، يجب ان تفهم ، بالارقام ، مدى ما ضاع منك ، يوم ضاع منك بلدك ..

وهذه هي « النكبة » .. بالارقام :

مساحة فلسطين زمن الانتداب البريطاني :

٢٦,٣٢٣,٠٢٣	دونم مربع
٧٠٤,٠٠٠	المنطقة المائية

نسبة ملكية الارض زمن الانتداب :

العرب :	١٢,٥٧٤,٧٧٤	دونم	بنسبة	٤٧,٧٩٪
اليهود :	١ ,٤٩١,٦٩٩	دونم	بنسبة	٥ ,٦٧٪
أراضي الحكومة:	١٢,١١٤,٥٠٠	دونم	بنسبة	٤٦,٠٠٪
طوائف أخرى :	٠٠,١٤٢,٠٥٠	دونم	بنسبة	٠٠,٥٤٪

مساحة « الدولتين » العربية واليهودية
ومنطقة القدس

بموجب قرار التقسيم لعام ١٩٤٧

الدولة العربية	١١,٥٨٩,٨٧٠	دونم	أي	بنسبة	٤٢,٨٨٪
الدولة اليهودية	١٥,٢٦١,٦٤٩	دونم	أي	بنسبة	٥٦,٤٧٪
منطقة القدس	٠٠,١٧٥,٥٠٤	دونم	أي	بنسبة	٠٠,٦٥٪

مساحة المنطقة المحتلة في فلسطين (اسرائيل حالياً)

٢٠,٩٢٢,٠٢٣ دونم

نسبة الملكية في المنطقة المحتلة

العرب : ٧,٠٠٠,١٨٤ دونم نسبة ٣٦,٦٤٪ من المساحة الكلية للمنطقة المحتلـــة

اليهود : ١,٤٧٦,٠٢٨ دونم نسبة ٧,٢٣٪ من المساحة الكلية للمنطقة المحتلـــة

الحكومةوالطوائف الاخرى : ١٢,٤٤٥,٨١١ دونم نسبة ٥٦,١٣٪ من المساحة الكلية للمنطقة المحتلـــة

يتضح من ذلك :

١ ـ ان السلطات الاسرائيلية قد استولت ـ بالقوة ـ على خمسة ملايين وستماية ألف دونم مربع زيادة عن مساحة المنطقة الـتي خصصها لها قرار الجمعية العامة بتقسيم فلسطين بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنـــة ١٩٤٧ ..

٢ ـ ان القسم المحتل من فلسطين يشتمل على ممتلكات عربية تشتمل على ١٢٠,٨٠٠ دونم مزروعة بالحمضيات وعلى الف دونم مزروعة بالموز ، وعلى ٥٣٠,٦٠٠ دونم مزروعة بالزيتون والفاكهة وعلى خمسة ملايين دونم من الأراضي الجيدة يقدر ريعها بـ « سبعة وأربعين مليون وخمسمائة الف جنيه » استرليني في العام الواحد حسب احصاءات الانتداب البريطاني .. مفصلـــة كالآتي :

١٤,٧٥٠,٠٠٠	جنيه استرليني ثمن الموالح والفاكهة والزيتـــون
١٠,٠٠٠,٠٠٠	جنيه استرليني ايجار الاراضي الزراعية
٢٢,٧٥٠,٠٠٠	جنيه استرليني ايجار المنازل والمحلات التجارية والقرى في المنطقة المحتلـــة
٤٧,٥٠٠,٠٠٠	المجمـــوع

وهؤلاء هم « ضحاياها » بالأرقام :

عدد اللاجئين المسجلين في سجلات
وكالة الغوث سنة ١٩٦٠

المنطقة	عدد اللاجئين المسجلين	المنتفعون بالخدمات والتغذيـــة	المنتفعون بالخدمات	غـير المنتفعين اطلاقـــاً	عـــدد سكان المنطقة
غزة	٢٥٥،٥٤٢	٢٣٠،٠٤٨	١٢،٧٠٨	١٢،٧٨٦	١٠٨،٧٧٨
الاردن	٦١٣،٧٧٣	٤٣٥،٩١٧	١٤٠،٢٢٩	٣٧،٥٨٧	١،٠٧٧،٧٣٦
لبنـــان	١٣٦،٥٦١	١٠٥،٣٥٩	١٧،٠٨٧	١٤،١١٥	١،٦٣٦،٨٠٠
سوريـــا	١١٥،٠٤٣	٩٤،٥٠١	١١،٥٧٧	٨،٦٠٤	٤،٤٤٥،٩٥٧
المجموع	١،١٢٠،٨٨٩	٨٦٥،٨٣٦	١٨١،٦٠١	٧٣،٤٥٣	٧،٢٦٩،٢٧١

وهذه هي المساعدات المالية التي تقدمها الامم المتحدة للاجئين الفلسطينيين والمساعدات الامريكية عن طريق الامم المتحدة خلال المدة

من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٠

المـــدة	المبلغ بالدولار وكالة الامم المتحدة	المبلغ بالدولار الولايات المتحدة
من ١ / ٢ / ٤٨ الى ٣٠ / ٤ / ٥٠	٣٠٧٢٧	١٦٠٠٠
من ١ / ٥ / ٥٠ الى ٣٠ / ٦ / ٥١	٣٠٧٣٦	٢٧٤٥٠
من ١ / ٧ / ٥١ الى ٣٠ / ٦ / ٥٢	٢٨٠٥٥	٣٠٠٠٠
من ١ / ٧ / ٥٢ الى ٣٠ / ٦ / ٥٣	٢٦٩٣٦	٣٦٠٠٠
من ١ / ٧ / ٥٣ الى ٣٠ / ٦ / ٥٤	٢٩٢٩١٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠
من ١ / ٧ / ٥٤ الى ٣٠ / ٦ / ٥٥	٢٩٣٨٧٠٠٠	١٦٧٠٠٠٠٠
من ١ / ٧ / ٥٥ الى ٣٠ / ٦ / ٥٦	٣٢٠٠٠٠٠٠	١٩٧٠٠٠٠٠
من ١ / ٧ / ٥٦ الى ٣١ / ١٢ / ٥٧	٥٢٠٠٩٠٠٠	٣٠٦٢٢٠٠٠
من ١ / ١ / ٥٨ الى ٣١ / ١٢ / ٥٨	٣١٦٦٥٠٠٠	٢٣٧٤٦٠٠٠
من ١ / ١ / ٥٩ الى ٣١ / ١٢ / ٥٩	٣٤٠٧٣٠٠٠	٢٣٠٠٠٠٠٠

وهكذا تم عملية توزيع ميزانية الوكالة على خدماتها عام ١٩٦٠ بالنسبة المئويـــة التالية :

التغذية	التعليم	الاجتماعيـــة	الصحة	المرافق الصحية	الاسكان
٤٢,١٪	٢٤,٨٪	٢,٢٪	٧,٥٪	٢,٣٪	٢,٢٪

الادارة	النقل والتخزين	احتياطي الميزانية	اغاثات ذاتية
٧,٤٪	٦,١٪	٢,٢٪	٣,٢٪

وبعد ..

اصبح عدوك يا أخي يقول بلسان احد فلاسفته « ادمون فليج » :

« انا يهودي لأن مذهب اسرائيل لايقبل خذلاناً ! انا يهودي لأن مذهب اسرائيل يتوق الى كل تضحية تقدمها روحي ! انـــا يهودي لأن اليهودي يبكي حيثما وجد الدمع والألم .. ! انا يهودي لأن اليهودي هو الأمل عند القنوط والرجاء عند اليأس ... »

فماذا نقول نحن ؟ وكيف نرد على أحد زعمائهم وهو يقول في عام ١٨٤٢ : « على كل يهودي ، ان يعتبر نفسه « عموداً » يمنع المعبد من السقوط ! »

كيف نرد ، وماذا نقول ؟؟

نرد بأن نمنحها المزيد من حبنا ! نرد بأن لا نقبل بلداً ولا بديلاً عنها ! نرد بأن نرى فيها الجنة والدنيا ، والخلود والمصير ...

يجب أن نفسد النظرية التي قامت عليها إسرائيل ..

« برلين .. هي اورشليم جديدة ! »

جمعية الاصلاح اليهودي – الالماني

١٨٤٠

●

« كن يهودياً في منزلك ، وانساناً في الخارج »

يهودا ليب غوردون

في القرن الثامن عشر

●

« الصهيونية في نظري عضو حي يجب رعايته ، اشبه بالنبتة التي يجب مدها بالماء ، والسهر عليها لكي تكبر وتنضج .. »

« حاييم وايزمن »

●

« .. لا بد للشعوب ان تمازج وتندمج ، وللاجناس أن تذوب وتتلاشى على مر العصور .. »

« ارنولد توينبي »

ويجب ان نبدأ أولاً بإفساد ما بناه العدو في بلادنا . يجب أن نثبت للعالم فساد النظرية التي قامت أو تقوم عليها دولة اسرائيل . فقد قالت الصهيونية إن القومية اليهودية هي الجواب الوحيد الأوحد لمشكلة اليهودية . فاذا اثبتنا نحن ، أو اثبت اليهود خارج اسرائيل ، أو تمكنا من ان نحمل اليهود في خارج اسرائيل على اثبات امكانية الوصول الى حل للمشكلة اليهودية خارج نطاق اسرائيل ، عندئذ نكون قد حطمنا أكبر قاعدة ترتكز عليها الصهيونية في مزاعمها ، ألا وهي : «أن لا حل للمشكلة الا بالقومية، ولا حل للقومية الا بالدولة » ! عندئذ تتهاوى الأعمدة التي ترتكز عليها الصهيونية كلهـــا ..

وكذلك .. فان الصهيونية قد حققت أهدافها في اقامة الدولة عن طريق معاداة الشعوب التي تحيط بتلك الدولة . اعني كانت طريق الصهيونية في تحقيق أهدافها ليست خالية من روح الخطأ . وعلينا أن نحافظ على ابقاء الشعور بالخطأ حيّاً في أذهان العالم عامة ، واليهود خاصة . فلا ننسى ولا نصالح، لا نصل الى تسوية ولا نتنازل عن حق، لا نبيع وطننا، بحـــال ، ولا نقر شرعية وجود اسرائيل في بلادنا . فاذا استطعنا ان نحافظ على هذا

الموقف طويلاً ، فإن العالم كله ، واسرائيل ، سيتحقق من ان لا حياة لها في هذا الجزء من العالم ! يجب ان نضع أمام العالم كله الصفحات الحقيقية لتاريخ الصهيونية — في إجرامها — ولفلسفة الصهيونية في مبادئها « التوسعية » على حساب الغير .. ولخريطة الصهيونية من « النيل الى الفرات » .. ! يجب ان نجدّد معنى الشعور بالخطأ في اذهان الصهيونيين وانصارهم ، كما نجدد معنى الشعور بالحقد في قلوب العرب واصدقائهم .

يجب ان لا ننسى الذي فعلوه في « قبية » و «دير ياسين »، قبل ان يصبح لهم دولة بالمعنى « الدولي » .. ثم نضع دولتهم امام اعيننا — بعد ان اصبحت دولة — قائلين لأنفسنا ، لأولادنا ، لتاريخنا :

— هذه الدولة .. كان اسمها عصابات .. تسفك الدماء وتنسف البنايات وتهدد الأمن وتبصق على القانون وتتحدى الإنسانية ..

كان زعماء شعبها يتبرأون منها ويغسلون أيديهم من جرائمها ! فقد تبرأ منها « وايزمان » أبو الصهيونية ، وسمعته بأذني يقول لأعضاء لجنة التحقيق الانجلو — امريكية عام ١٩٤٥ : « ان هؤلاء الذين يقترفون مثل هذه الجرائم الخطرة ، لسنا منهم وليسوا منا ! »

وتبرأ منهم « موشه شريت » .. وبن‌غوريون وكل عضو من أعضاء الوكالة اليهودية التي فتحت الطريق امام دولة اسرائيل ..

فاذا مضت السنون ..

واذا جاءت السنة الثالثة عشرة من قيام دولة « العلم والفكر ورقص الباليه » كما اسماها « جان كوكتو » ، وأصبح للعصابات احزاب ونواب وأصبح للسفاح المجرم « مناحم بيجن » ستة عشر نائباً في برلمان اسرائيل الجديـــد ..!

عندئذ نقول :

— أي زعيم أو وزير يهودي يستطيع بعد اليوم أن يهادن العرب أو يتساهل معهم او يؤمن بالتعايش السلمي معهم ..؟

أي زعيم أو مسئول صهيوني يستطيع بعد اليوم أن يرضى بالتنازل عن شبر واحد من الارض المغتصبة للعرب ، أو دفع قرش واحد من الألف مليون جنيه استرليني من اموال اللاجئين ؟

أي زعيم كبير اسرائيلي يستطيع ان يمد يده للعرب ومعها معنى الحق العربي ، بدلاً من الخنجر والمسدس ؟

لقد فتح « مناحم بيجن » ، زعيم الإرهاب الصهيوني ، صفحة جديدة للعلاقات القادمة بين العرب واسرائيل ..

وعلى العرب ان يقرأوا هذه الصفحة بامعان شديد ..

ان فيها معاني جديدة للقتل والنهب والإجرام ..

فيها الكثير من اللؤم والخسة والخداع .

فقد كنا نرى في دولة اسرائيل مجرد عصابة ارهابية تحولت مع الزمن لى حكومة، وأصبحنا نراها دولة ارهابية تحولت مع الزمن الى عصابـــة ..

وما زلنا – أيها الاخوة – في أول الطريق ..

وما زال أمامنا الكثير من مفاجآت العصابة واعتداءاتها وجرائمها ..

وكما أن حوادث « ديرياسين » و « ناصرالدين » لم تكن الأولى من نوعها ، فان حوادث الاعتداء على الحدود الجنوبية « لسوريا » بعد انفصال الوحدة ، لن تكون الأخيرة ..

ان العدوان كان ، وسيبقى ، طابع هذه الدولة ، وشريان حياتها .! وبالتالي ، فان وجود هذه الدولة في الشرق ، لن يكون – كما زعموا – من اسباب استقرار هذا الشرق وتقدمه ، بقدر ما سيكون من اسباب قلاقل هذا الشرق واضطراباته واعاصيره وازماته ..

وبعد هذا ، تعالوا – ايها العرب – نناقش معنى « الحق » في وجود اسرائيـــل ..

هل لليهود حق .. أي حق ، في إنشاء دولة اسرائيل ؟

نقول – أولاً – ان معنى « الاسطورة » في وجود اسرائيل لم يظهر

ولم يتبلور إلا بعد ان قامت اسرائيل بالفعل وأصبحت حقيقة قائمة . تماماً ، كما تمشي الأساطير في ركاب أي عمل « ناضج » بالنسبة لأهله .. او في ركاب أي شخص استطاع ان يحقق شيئاً ! والقول بأن « الصهيونية » فكرة قديمة مبنية على حقٍ ثابت واضح متين ، انما هو افتراء واضح على التاريخ لم يلبس هذا الرداء الا بعد ان قامت اسرائيل . فلكي يكون « الشيء » مبنياً على معنى الحق ، يجب ان ينبع الحق من حقيقة ملموسة تاريخية ذات قيمة .. وان يتصل هذا « الحق » بمعنى الدوام التاريخي او التطور التاريخي غير المنقطع . .

ولكن « العبرانيين » او « القبائل العبرانية » التي سكنت هذه المنطقة في فترة من الزمن ، لم تكن وحدها في المنطقة ، وانما شاركها في ذلك الكنعانيون والآراميون والبابليون والحثيون والأشوريون والكلدانيون والفرس وغيرهم ، في وقت لم يكن هناك أي تحديد لمعنى الدولة أو الأرض أو القومية أو الملكية الخاصة ... وفي فترة دامت من عام ١٢٩٠ قبل الميلاد الى حوالي ٥٨٦ قبل الميلاد ..

ثم ان مرور ما يزيد عن ألفي سنة على خروجهم من تلك البلاد قد أفقدهم ، دون شك ، أي حق لهم في العودة إلى تلك البلاد . ان عقارب الساعة لا تعود الى الوراء .. واذا كانت اسرائيل تنادي بأن من هجر ارضه من عرب فلسطين منذ ١٤ سنة لا يحق له اليوم ان يعود اليها .. فمن باب أولى ان من هجر بلده منذ ألفي سنة (لا يحق) له اليوم ان يعود .. ليغتصبها من سكانها .. الاصليين .. الشرعيين !

ذلك بالنسبة للتاريخ ..

اما بالنسبة للعوامل الأخرى ، فان اسرائيل قد بنت نظرتها على الزعم بان اليهود استطاعوا الاحتفاظ « بخصائصهم » المميزة كشعب واحد .. خاص .. لهم حقيقتهم المجردة ، ويتطلعون الى ارض الميعاد ولا ينصهرون في بوتقة سواهم .! والجواب على ذلك ان المسلم في الصين والمسلم في جاوه

والمسلم في الباكستان « مثلاً » له من خصائصه الاجتماعية المنبثقة من معتقداته الدينية .. وكل واحد من هؤلاء يتمنى ان يزور الحجاز ويقضي — من آخر ايام عمره — اياماً يجاور بها قبر الرسول صلى الله عليه وسلم. فهل معنى هذا، ان نبرر لكل ايراني او لكل تركي او كل باكستاني او كل مسلم غير عربي، ان يزحف الى أرض الحجاز ويستولي عليها ويغتصبها من اهلها بحجة التجاوب مع معتقداتهم الدينية وانها ارض الآباء والاجداد .. ؟

وكذلك، فان اليهودي لم يحافظ — في بعض البيئات — على طابعه « اليهودي » الخاص، على اساس انه طابع « مختار » و « مميّز »، وانما لأن الاوضاع الاجتماعية والسياسية التي مر بها — وما رافق ذلك من تفرقة عنصرية في القرون الوسطى — مثلاً — او تفرقة دينية او تعصبية .. كل ذلك قد أدى الى تعصب اليهود وتمسكهم بخصائصهم .. ولكنهم في ذلك لم يكونوا وحدهم .. فالذي تعرض له « اليهودي » في تاريخه الطويل قد تعرض له — أيضاً — المسلم في اسبانيا والزنجي في امريكا .. اريد ان أقول ان محاولة اليهودي الزعم بالاحتفاظ بخصائصه المميزة لم تكن محاولة اختيارية سببها اخلاص اليهودي لمزاياه، او عظمة تلك المزايا في نفس اليهودي، وانما كانت بسبب امور اخرى لا شأن لليهودي، ولا لليهودية كدين، او كجنس او كعنصر، فيها ...

ان النظرية القائلة: بأن اليهودي هو من ذلك « الشعب المختار »، انما جاءت كرد فعل نفساني لسلسلة الاضطهاد العنيف الذي تعرض له هذا اليهودي في حياته. فحاول بهذه النظرية ان يعوض لنفسه في السماء، عن الاضطهاد الذي يلقاه في الأرض. ولعل اليهود قد استمدوا من عذاب السيد « المسيح » صورة فريدة استهوت تفكيرهم وأفئدتهم وراحوا يتشبهون بها في تصرفاتهم وأخلاقهم زاعمين بانهم الشعب الذي يتحمل اضطهاد البشرية من اجل انقاذها .. تماماً، كما تعذب السيد المسيح من أجل خلاص العالم! انهم حاولوا ان يجعلوا من « ذلّهم » فخراً، ومن كراهية الناس لهم تضحية ..

فكذبوا على العالم، وعلى انفسهم ، عن طريق التمسح بهالات الرسل والأنبياء !

وقد مرت على اليهودي فترات تاريخية طويلة أفسدت عليه النظرية التي يتسلح بها اليوم زاعماً الانفراد بخصائصه البشرية كشعب منفصل عن باقي شعوب العالم. فعندما جاءت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وأعلنت المساواة بين الناس والحرية للجميع .. بما فيها حرية العبادة .. ثم جاء « نابليون » وأعطى لليهود مركزاً خاصاً في المعاملة .. نقول في تلك الفترة وما شابهها من ظروف مماثلة في امريكا حيث قطعت علاقتها – في ذلك الوقت – بالماضي وفتحت لنفسها صفحة جديدة وبدأت تخطط مستقبلاً منفصلاً عن تيارات الامس .. اذ باليهود – كل اليهود – في فرنسا وأمريكا ، يقررون الاندماج في البيئات التي يعيشون فيها ، ويندمجون في البلاد التي يسكنونها وينسون – تماماً – فكرة التطلع الى « أرض الميعاد » . ولم يعد الخلاص – خلاصهم – في « أرض الميعاد » وانما في انبثاق موجة « القوميات المتحررة » حيث قال اكبر مفكريهم في القرن الثامن عشر « الحاخام يهودا ليب‌غوردون » مخاطباً بني قومه :

– « كونوا يهوداً داخل بيوتكم .. وبشراً في خارجها !! »

وأصبحت « أرض الميعاد » في نظرهم ، هي الأرض التي ترضى بأن تستقبلهم كمواطنين .. حتى ان زعماء « الاصلاح اليهودي الالماني » عندما عقدوا مؤتمرهم في عام ١٨٤٠ في برلين ، صرحوا بقولهم : « ان برلين هي اورشليم الجديدة .. عهد آبائنا التي نشد اليها حبنا وولاءنا » .. معنى هذا ان نظرية « الشعب المختار » او نظرية « أرض الميعاد » كانت مجرد منافذ هواء لما كان يعانيه اليهود من اضطهاد في القرون الوسطى ... وهكذا فقد رأينا اسم « روتشيلد » يتبوأ دنيا المال في فرنسا .. واسم « ديزرائيلي » يتبوأ دنيا الحكم في بريطانيا .. واسم « كرميو » وزيراً كبيراً في فرنسا .. و « لاسال » زعيماً اشتراكياً معروفاً في المانيا ، وكلهم كانوا يهوداً اندمجوا في البلاد التي عاشوا فيها ، وربطوا الى مصيرها ، مصيرهم ، ومستقبلهم ،

وحياتهـــم ..

وعندما ظهر في هذه الفترة ثلاثة من المفكرين اليهود هم: « هيس » و« الكالي » ، و « كاليشر »، ونادوا بالنظريات القديمة الداعية للعودة الى «أرض الميعاد » لم يجدوا بين اليهود اذناً واحدة تصغي اليهم ، ولا يداً واحدة من بين اليهود تصفق لهم .. بالرغم من ان كتابات المفكر اليهودي « هيس » كانت اعظم وأخطر من كتابات « هرتزل » الذي قال عنها « ان ما كتبه قبـــلي هيس ، هو أعظم ما انطلق من صيحات في ميدان الدعوة اليهودية . ولو انني كنت اعلم بهذه الكتابات قبل ان اكتب مؤلفاتي، لما كتبت حرفاً واحداً ولاكتفيت بالدعوة الى قراءة ما كتبه هيس قبلي.. »!

وهناك مثـــل واضح يفسر مـــا نريد ان نقوله .. ففي روسيا القيصرية الى ما قبل القرن التاسع عشر، كان الاقطاع والظلم والاضطهاد يعم الحياة في روسيا مما أدى الى قيام حركة « رد فعل » في تلك البلاد يتزعمها جماعة من اليهود انفسهم . وكانت الحركة الشيوعية ، التي جاءت فيما بعد ، على يد جماعة من اليهود من أمثال ماركس وتروتسكي، كدليل كبير على ان هؤلاء اليهود كانوا يشعرون بأنهم من صميم أهل البلد الذي يعيشون فيه وانهم كنتيجة لهذا الشعور تمكنوا من الثورة والانتفاض .. ثم ان فكرة « الشيوعية » ، التي هي في حد ذاتها فكرة تتعدى حدود « القوميات » ، تتنـــافر مع فكرة التعصب للوطن القومي اليهودي . وعندما ارادت الدولة القيصرية ان تنتقم من الذين يحرضون الشعب على الثورة ضد النظام الحاضر، وجهت انتقامها « لليهود » انفسهم الذين وجدت فيهم الدولة المحرض على تلك الحركات ، فوقعت بذلك مذابح عام ١٨٨١ المشهورة .! وعندما مضت الأيام والسنون ، وقامت اسرائيل في عام ١٩٤٨ ، قام زعماء الصهيونية يقولون بان عام ١٨٨١ هو نقطة انطلاق في تاريخ الصهيونية . عجباً .. ما الذي جرى بالفعل في عام ١٨٨١ حتى ترى فيها الصهيونية نقطة انطلاق لها ؟ ان الذي حصل بالفعل : ان الذين هربوا من مذابح

روسيا في ذلك العام لم يهاجروا الى فلسطين .. كما كان يجب ان يقع ، وانما هربوا من روسيا الى فرنسا ، والى المانيا ، والى امريكا ، والى أي بلد كان يتقبل هجرة اليهود ويفتح لهم ابوابه .. اما الذين هاجروا الى فلسطين في ذلك الوقت. فهم مجموعة أفراد قلائل سافروا على نفقة « البارون دي روتشيلد »، الذي كان قد اشترى في ذلك الوقت. مزرعة في فلسطين ووهبها الى اليهود .. تماماً كما يشتري أي مسلم داراً ويهبها للفقراء .. بروح خيرية اراد بها روتشيلد ان يخدم بعض اليهود عن طريقة زراعة العنب وانتاج الخمر وتوزيع الأرباح على بعض اليهود في سوريا ولبنان في ذلك الوقت .. ولكن لما فشل هؤلاء اليهود الشرقيون في انتاج « الخمر » باسلوب واسع ، عمد « روتشيلد » الى تسليم «المزرعة » الى مجموعة من المهاجرين الروس ! وهكذا ويا للعجب ، تتحول العملية بعد مرور الزمن من عملية تجارية مائة في المائة الى اسطورة روحية سياسية تصف هؤلاء المهاجرين الروس بأنهم « الرواد » الى بلد الآباء والاجداد.! فلو كانت عملية هجرة اليهود الى فلسطين في ذلك العام تحمل طابع احياء البعث الروحي في الهجرة الى ارض الميعاد ، لما انتظر اليهود الى عام ١٩١٧ ، للحصول على وعد « بلفور » ثم المباشرة في تنفيذ العملية بالشكل المعروف .. خاصة وانهم في ذلك الوقت كانوا قد تعرضوا الى المذابح التي تفوق مذابح هتلر وحشية وقوة ، وخاصة انه لم يكن هناك وعي عربي يقف في طريقهم ، وخاصة ان الدولة الحاكمة كانت تركيا التي كانت توصف « بالرجل المريض » في اوروبا فلا تقدر على معارضتهم ..

ولو اننا عدنا الى استعراض آراء فلاسفة الصهيونية في الماضي لوجدنا ان ما نادى به معظم هؤلاء الفلاسفة من أمثال « ليوبنسكر » **Leo Pensker** في عام ١٨٥٠ كان يتضمن الدعوة الى الهجرة الى أي « بلد متأخر ».. دون اية اشارة — لا من بعيد ولا من قريب — الى اسم فلسطين . وحتى عام ١٩٠٣ ، حيث عقد المؤتمر الصهيوني في مدينة « بال » بسويسرا ، كان معظم

جماعات الصهيونية ينادون بفكرة جعل « أوغندا » وطناً قومياً لليهود ..
ومن هنا يتبين ان فكرة « الوطن القومي في فلسطين » لم تكن اصيلة ولا متصلة في نفوس اليهود .. وانما خلقها اليهود كتقليد للحركات الرومانطيقية الفلسفية التي ظهرت في ذلك الوقت. فاتخذ اليهود من حركة « الوطن القومي » مظهراً رومانطيقياً يتغنون به .. ويتحدثون عنه !

الى أن جاء « هرتزل » في عام ١٨٩٠ ..

وهو أحد مفكري اليهود ، الذين سعوا الى بعث امته وتأسيس دولة لهم . ولم يكن همه انقاذ امته من المآسي والاضطهاد، الذي كانوا يتعرضون له في أكثر من بلد أوروبي .. انما كان همه ، ان يخلق لهم « دولة » ، يكون هو .. هو وحده رئيساً لها .! فقد كان هرتزل يسمي نفسه « الرئيس المنفي » و « أبو الفقير ». وكان اول من بلور فكرة « اللاسامية » واعترف بوجودها ولم ينكرها — على عكس الذين سبقوه — فكان يتصل بالمسؤولين في انحاء اوروبا ويقول لهم في معرض الحديث عن اضطهاد اليهود :

« ان هؤلاء اليهود سيبقون مضطهدين ما داموا هنا .. وليس من حل ولا نهاية لهذا الاضطهاد سوى السماح لهم —لهؤلاء اليهود— بالسفر والهجرة . . »

من هنا يتبين ان ما كان يهم « هرتزل » ، ليس سلامة بني قومه ، او التوسط لدفع الاضطهاد عنهم ، بقدر ما كان يهمه اثبات ذلك الاضطهاد لكي يستغله كسبب يسمح لليهود بالرحيل والهجرة ..

ذلك هو سر هرتزل ..

كما كان سره في القول بأن الصهيونية يجب ان تصبح حركة دوليـــة International ، يسندها جميع دول العالم لمساعدتها على خلق « الدولة » ما دام هناك « يهود » في معظم دول العالم ..

ترى ، أيهما اخذ من الثاني واستغله لمصلحته :

هرتزل من الاستعمار ، ام الاستعمار من هرتـــزل ؟

من الذي « استعمل » الآخر لكي يخدم مصالحه ويضع عصاه في الشرق

الاوسط .. الأول للثاني ام العكس ؟

الجواب بسيط : ان الاستعمار عندما اراد ان يخلق لذاته مركزاً دائماً في الشرق الأوسط ، لم يجد أمامه سوى افكار « تيودور هرتزل » فيبعثها ويجددها ، ويعمل على تحقيقها ..

كان هرتزل يقول :اللاسامية فكرة منطقية« Rational » . فكان يبرر بذلك عملية اللاسامية لكي يستغلها كسبب يخلق به معنى الدولة .. وعندما جاء الاستعمار الى دنيا الشرق في خلال الحرب الاولى ، كان هرتزل بآرائه وأفكاره أشبه « بالورقة » السياسية التي استغلها الاستعمار لكي يدق وسط البلاد العربية مسماراً أجنبياً يفتت به القوى ، ويضمن به المستقبل ، ويهدد بـــه خصومه ، ويتسلح به في المفاجآت ..

وعندما ظهر البترول في الشرق الأوسط ، كان لا بد ــ والحالة هذه ــ من خلق قوة عدائية في دنيا الشرق ، تدفع عن الاستعمار انتفاضات العرب ــ وتحميه ــ وتشغله بالخطر الصهيوني الجديد عن التفكير في الاعتداء على المصالح الاستعمارية الجديدة .. فكان القرار بالانسحاب من فلسطين .. والتصويت على التقسيم .. وخلق الدولة الاسرائيلية ..

وننظر الى اسرائيل اليوم ..

عاش اهلها في اوروبا آلاف السنين يقولون انهم من « الشرق » ، وعندما جاؤوا الى الشرق ، راحوا يقولون انهم .. غربيون . !

ترى ، هل في هذا ما يثبت أو يدل على إخلاص اي شعب لخصائصه ومميزاتـــه ؟

هل التنكر للخصائص ، والتلاعب بها ، واستغلالها ، وتبديلها مما يدل على إخلاص اليهود لهذه الخصائص ؟؟

هل في اجراءات حكومة اسرائيل على حشد « يهود الشرق » في أحياء خاصة ومعسكرات خاصة أشبه « بالجيتو » التي كان يسكنها اليهود في أوروبـــا ، وتطبيق السياسة العنصرية عليهم ، اخلاص للخصائص اليهودية

الواحدة – كما يزعمون – ام تنكر لها ؟

ثم تعالوا نناقش معنى « العدالة » في قيام اسرائيل ..

. هل من العدالة في شيء ان يتحمل العرب – وحدهم دون شعوب العالم – جريمة الخلق اليهودي الذي عاش طيلة الزمن مكروهـاً .. معزولا .. لا يثق به الناس ولا يثق أهله بأحد .. بل يعيش على الحقد .. والتعصب ، وعبادة المـال ..؟

هل تقع المسؤولية على عرب فلسطين – وحدهم – لأن ملك انجلترا أمر بطرد اليهود من بلاده في عام ١٢٩٠ لأنه رأى فيهم مجموعة من «النصابين» والتجار وأهل الربـا .. ؟

هل هي جريمة أهل فلسطين ، وحدهم – لأن فرنسا – في القرن الثالث عشر ، رأت في اليهود جماعة تبيح دم المسيحيين ، فأمر الملك « فيليب » بطردهم من فرنسا .. ؟

هل ندفع نحن الثمن ، لأن الكاثوليك الاسبان طردوا اليهود من اسبانيا في عـام ١٣٩٦ .. ؟

هل نتحمل نحن مسؤولية القانون الذي سنته بولونيا ثم رومانيا عام ١٧٦٩ ومنعتا فيه اليهود من الاشتغال بالتجارة مع دفع الضرائب العاليـة ؟

هل يقع اللوم على عرب فلسطين لأن الكنيسة في روسيا ، بالتعـاون مع الحكومة ، قامت بحركة اضطهاد ضد اليهود بعد مقتل القيصر اسكندر الثاني في عام ١٨٨١ ؟

هل نحن مسؤولون عن مؤتمر « درسدن » بالمانيا المنعقد عام ١٨٨٢ ، لتنظيم العمل ضد اليهود ..؟ ام نحن مسؤولون عن مقتل وزير خارجية المانيا اليهودي « ولتر راتينو » في عام ١٩٢٢ .. ؟!

هل نحن ملومون نتيجة محاكمة « دريفوس » ، وما تبعها من ذيـول وآثار في عام ١٨٩١ بفرنسا .. ؟ أم نحن ملومون لأن الرئيس « كولدج » أصدر قراراً يحدد عدد المهاجرين اليهود الى الولايات المتحدة في ٢٧ مايو

١٩٢٤ على أساس ٢٪ من عدد اليهود المقيمين في امريكا ؟! هل ندفع نحن .. نحن وحدنا ، ثمن جرائم النازية الألمانية ضد اليهود في اوروبــا ..؟

وهل من العدالة في شيء ان تقاوم الجريمة بجريمة ، وان يعالج الاضطهاد باضطهاد ، وأن يكون حل « الظلم » ، ظلما مثله .. ؟

ومع ذلك ، بل فوق كل ذلك ، هل استطاعت الدولة التي ولدت بسبب الظلم الذي تعرض له شعبها ، ان تمنع الظلم عن الذين طردتهـــم من بلادهم ، او الذين جاءت لتحكمهم بالحديد والنار ..؟

وهل يعرف العالم معنى العدالة في حكم اسرائيل للأقلية « غير الإسرائلية » في فلسطين المحتلة .. ؟

– هل لهذه الاقلية أي تمثيل في الهيئات المحلية ..؟

– لا ..

– كم هي نسبة القرى العربية في اسرائيل التي ليس لها أي تمثيل محلي ..؟

– اكثر من ثمانين في المائة .!

– هل كان لهذه القرى العربية تمثيل محلي في عهد الانتداب البريطاني ؟

– أجل .!

– كيف تطبق « المساواة » و « العدالة » في معاملة اهالي هذه القرى ..؟

– أهل هذه القرى محرومون من جميع المشاريع الحيوية كالكهرباء والمياه والرعاية الصحية والعلمية .. ان الدولة تعاملهم كمواطنين من الدرجة الثانية .! ان هناك قوانين « المناطق المغلقة » التي تطبقها « الدولة » على العرب وحدهم .. والعامل العربي لا يحصل إلا على « نصف » ما يحصل عليه زميله العامل اليهودي في الأجر ! وليس هناك أكثر من واحد.. واحد فقط في المائة من الموظفين العرب في الدولة .. هذا اذا كان الساعي والفراش يسمى موظفاً ..

– كم كانت نسبة التعليم العالي بين العرب في عام ١٩٥٢ ، وكم هي في عام ١٩٦١ .. ؟

-كانت في عام ١٩٥٢ حوالي ٦٦ في المائة .. وهي اليوم لا تزيد عـــن عشرة في المائة من مجموع التلاميذ العـــرب ..

هل في هذا شيء من معنى العدالة في اسرائيل ، قبل أن تقوم ، وبعد أن قامت .. ؟

وأين الأصوات المنصفة ، المحبة للحق ، المدافعة عن العدالة ، التي اعتادت - في الماضي - ان تدافع عن اليهود ضد الظلم الهتلري.. مثلاً .. ؟

أين اسقف «كنتربري» ليناديْ : «بأن ما يجري من اضطهاد لليهود في فيينا ، لصورة من أعمال الشيطان».. كما نادى في عام ١٩٣٨ .. ؟

أين فرانكلين روزفلت ، ليتألم لحال العرب في فلسطين كما تألم لحال اليهود في مؤتمر ١٩٣٨ فقال : «ان اخبار اليهود في المانيا قد أفزعت شعب الولايات المتحدة .. وانه شخصياً .. لا يكاد يصدق هذا الذي يجري..» !

أين البابا «بيوس الحادي عشر» يقول خليفته اليوم ما قاله هو في عام ١٩٣٨ ضد هتلر والنازية بسبب اضطهادهما لليهود .. ؟

أين هؤلاء ، او امثال هؤلاء ، او خلفاء هؤلاء ، ليرفعوا صوتهم ضد الحكم الصهيوني المجرم على الاقلية العربية في الوطن الضائع؟ ..

والجواب :

علينا نحن أن ننقل الحقيقة الى كل مسؤول في العالم ، ثم نطلب منه -كما فعل اليهود في الماضي بالنسبة لهتلر - أن يعلق عليها ..

علينا نحن أن نمد رؤساء الدول ، والمسؤولين ، وكبار رجال الفكر ، والأدب ، والمال ، والدين ، بحقيقة الحكم الصهيوني في اسرائيل .!

وبعد هذا ، فقد تحدث «ناحوم جولدمان»، رئيس الجمعية الصهيونية العالمية، في المؤتمر الصهيوني العالمي في ٢٧ ديسمبر عام ١٩٦٠ وقال: «ان حل المشكلة اليهودية لا يتم الا بحشد الشعب اليهودي في بلاده .. »

نقول : هل اتسعت فلسطين ، أو تستطيع أن تتسع ، لجميع اليهود في العالم .. ؟ واذا كان الجواب سلبياً ، ألا يعني ذلك أن المشكلة اليهودية

ستبقى قائمة؟ واذا صح هذا، فهل نجانب المنطق لو قلنا إن وجود اسرائيل، لم يفشل فحسب، بل وسيفشل أيضاً في أن يبرر سر بقائه ..

وفي جنيف، في صيف ١٩٦١ تحدث «ناحوم جولدمان» عن علاقة اسرائيل بيهود العالم امام اللجنة التنفيذية للمؤتمر اليهودي الوطني فقال: «انه يجب على اسرائيل ان تقوم بالدور الملقى على عاتقها وهو ان تكون النبع الجديد للقيم اليهودية، والعماد الرئيسي لحياة الأجيال القادمة وانه يجب ان تحل علاقات وثيقة بناءة محل هذه العلاقات العاطفية ..»

نقول: بعد مرور ١٤ سنة على قيام دولة اسرائيل لم تستطع هذه الدولة ان تكون «نبعاً» لأية قيم في العالم .. لا يهودية ولاغير يهودية! فقد اخذت اسرائيل كل شيء – مادياً وروحياً – ولم تستطع ان تعطي شيئاً اللهم الا القلاقل والاعتداءات، والحقد والدماء، والتفرقة العنصرية والاستمرار في سياسة الغرور، والغطرسة والتآمر.! وعندما حاول رئيسها بن غوريون، أن يجمع يهود العالم في دولته الممسوخة ويرغمهم على الهجرة الى الأرض المغتصبة، لم يجد ما يقوله لهم سوى ان «كل يهودي لا يهاجر الى اسرائيل سيبقى بلا رب ..»[1]. ومعنى هذا ان اسرائيل قد قامت لكي تشتري ولاء كل يهود العالم وتجردهم من ولائهم لدولهم التي يقيمون فيها وتجعل منهم جواسيس وآلات تخريب في داخل هذه الدول. وهذا هو السبب الذي أثار الخلاف الشديد بين الدولة الجديدة وبين حزب «المزراحي» الصهيوني في «اتلانتيك سيتي» بأمريكا .. وبينها وبين مؤتمر الحاخامين في بريطانيا .. وبينها وبين الاتحاد الصهيوني في جنوب امريكا .. وجنوب افريقيا .. وقد أجمع زعماء هذه الهيئات انهم لا يعتبرون اسرائيل ولا زعيمها بن غوريون، في مكان المسؤولية عن يهود العالم .. واذا كان ناحوم جولدمان يريد أن يرى في اسرائيل «العماد الرئيسي لحياة الأجيال اليهودية القادمة» فان معنى ذلك ان تتوسع

---

١ – قال ذلك في ديسمبر ١٩٦٠ .

اسرائيل وتكبر وتنمو وتسيطر على المزيد من الأرض ، ومن الأنهر ،ومن المياه ، ومن الخيرات حتى تستطيع ان تتجاوب مع خطورة المهمة الجديدة التي يضعها على كتفيها ناحوم جولدمان .. معنى ذلك ان ندفع نحن العرب ، من أرضنا وخيراتنا ومياهنا ، ثمن هذه العملية .. معنى هذا اننا على موعد قادم مع الصهيونية العالمية في معركة جديدة ، سواء رضينا ببقاء اسرائيل ، ام انكرنا عليها حقها المزعوم في مثل هذا البقاء .. وما دامت « هي » ، مصممة على التوسع ، والانتشار ، والاغتصاب ..

ونحن العرب لم نعترف يوماً بحق العلاقة التاريخية المزعومة التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين . ان الانتداب البريطاني —وحده— هو الذي اعترف بمثل هذا الحق وبنى سياسته على اساسه .. اما نحن ، فلم نعترف بهذا الحق ، ولم نعترف بشرعية الانتداب البريطاني على بلادنا ..

ونحن العرب لم نعترف يوماً بأن فلسطين —كجزء منفصل— شيء له الحق أن ينفصل وان يبقى منفصلاً عن بقية أجزاء الوطن الكبير ..! ان الانتداب البريطاني وحده .. باعتراف موشي شرتوك ، الزعيم الصهيوني المعروف —هو المسؤول عما أسماه « باستعادة ارض اسرائيل كيانها السياسي من جديد بعد أن بقيت مئات السنين لا تشكل وحدة سياسية بنفسها حيث صارت اقليماً منفصلاً جغرافياً وسياسياً عن البلاد المجاورة لها .. وبانفصالها اتحدت بمصيرها السياسي الخاص فقد تقررت لها حياة سياسية ليست متجهة الى تطوير الأوضاع القائمة وحسب ، بل استهدفت خلق شيء جديد اختص بها وحدها .. »[1]

الانتداب البريطاني ، لا نحن ، هو الذي فصل الجزء عن الكل ، ثم باع الجزء لغير اصحابه الشرعيين ..

الانتداب البريطاني ، لا نحن ، هو الذي فتح الأبواب ، وقاوم الثورات ،

---

١ – موشي شرتوك – المؤتمر اليهودي العالمي – استوكهولم اغسطس ١٩٥٩ .

وقبض الرشاوى ، وهادن المؤامرات ، وبنى المعتقلات ، وافتعل الأزمات ، وأرسل لجان التحقيق ، ثم سلم البلاد لغير أصحابها ورحل يجر العار والشنار مكتفياً بامتناع المندوب البريطاني في الأمم المتحدة عن إعطاء صوته على قرار التقسيم ..

وما دمنا غير مسؤولين عن جريمة غيرنا .. فمن حقنا ان نلجأ لكل ما عندنا من إمكانيات من أجل مسح عار هذه الجريمة ..

اليوم ، لا غداً .. وغدا ، لا بعد غد ..

فقد فشلت اسرائيل حتى اليوم ان تتسع لأكثر من (١٦) ستة عشر في المائة من الشعب اليهودي في العالم .. وعلينا ان لا ننتظر لكي يرتفع هذا الرقم اكثر .. واكثر .. مع مر الأيام ، والسنين ..

واذا قالت جريدة « دافار » الصهيونية — لسان حزب الماباي — « ان النار تشتعل بين قدمي كل يهودي يبقى في الغربة « ولا » يعود الى اسرائيل .. اذا ما قامت حرب عالمية جديدة .. » قلنا لها : ما اشد تنكر الصهيونيين لكل فضل يسبقه العالم عليهم .. هل نسي الصهيونيون مثلاً — ان الاتحاد السوفياتي — وحده — قد أنقذ خلال الحرب العالمية الأخيرة من اليهود أكثر مما انقذته جميع الهيئات الصهيونية في العالم[1] ؟

بل اننا نترك الكلام لزعماء اليهودية أنفسهم يردون على النظرية الخاطئة التي تزعمها اسرائيل لنفسها في أنها تمثل يهود العالم ، أو انها — بوجودها — تمثل الحـــل الأخير للمشكلة اليهودية ..

لقد قال الحاخام « ارفنج ميلر » الصهيوني الامريكي لليهود المجتمعين في المؤتمر العالمي في القدس عام ١٩٥٧ :

---

١ — عن تقرير دولي اصدرته مؤسسة « كارنجي » للسلام العالمي ، م ٣٨٩٥ بتاريخ ١٩٤٣ قال : « من مجموع المليون وسبعمائة اليهودي الذين انقذوا من الهلاك على يد النازية ، هناك مليون وستمائة الف يهودي انقذتهم سلطات الاتحاد السوفياتي من شرقي بولونيا . »

« .. بأي حق يتجرأ يهود اسرائيل على انتقاد يهود الولايات المتحدة بحجة انهم صهيونيون غير طيبين .. بينما انتم يا يهود اسرائيل لم تنقطعوا يوماً عن مطالبتنا بالمال والرعاية .. وها انتم تتحدثون عن الايديولوجية ، لكي تهاجموا الولايات المتحدة ، وترفرفوا علم اسرائيل فوق اجتماعاتكم ، وتعيشوا في الولايات المتحدة وكأنكم مواطنون اسرائيليون .. فيا لها من إيديولوجية .. غريبة .. »

وقال الحاخام في نهاية كلامه :

« كيف تطلبون منا أن نعطيكم – نحن يهود الولايات المتحدة – ولاءنا وقوميتنا بينما كل منا قد أقسم يمين المواطن الامريكي التي تنص على « انني هنا أرفض أولاً أي ولاء أو خضوع لأي حاكم أو أمير ، أو دولة ، أو سلطة سوى الولايات المتحدة .. الخ » .

وبين قرارات « المؤتمر اليهودي الامريكي » المعروف في الولايات المتحدة « American Council For Judaism » قرار يقول بالنص: « ان أي تعريف قومي ليهود الولايات المتحدة الامريكية يجب أن يكون على اساس كونهم أمريكيين فقط .. ان اسرائيل بالنسبة لنا شعب اجنبي .. وليس علينا أي واجب قومي أو ارتباط لا يشاركنا فيه اخواننا – غير اليهود – في الامريكتين .. » .

وظهرت في بريطانيا عام ١٩٦٠ رواية اكتسحت الأسواق تحمل اسم « حدود الحب » « Limits of Love » لمؤلفها اليهودي « فردريك رفائيل » وتحكي قصة اليهود في بريطانيا ، وفي هذه الرواية يقول المؤلف :

« لقد قيل لي أن عليّ ولاء لإسرائيل .. ولاء ماديّاً .. اي .. نقداً .. ، وولاء معنوياً .. فهل هذا صحيح ؟ انه من المؤسف حقاً ان نرى الشعب الذي أعطى للعالم فكرة « العالمية » في الحركة السياسية يقع اليوم فريسة الغلو والتغالي في الوطنية المصطنعة » . !

وليس سراً بعد هذا ان اسرائيل التي أرادت ان تكون الملجأ لليهود

الفارين من ألمانيا قد هجرها بعد ان دخل اليها أكثر من ١٢ الف يهودي ، عادوا جميعاً الى المانيا ، وأعادوا معهم الى الأذهان نكتة ذلك اليهودي .. الصهيوني .. الـــذي كان دائماً يطالب بإنشاء دولة يهودية لكي يصبح « هو » سفيراً لها في .. المانيا .. او في اية بقعة « خارج » اسرائيل !

ومن بين هؤلاء العائدين من صاح لدى عودته : المانيا — فقط — هي بلد آبائي وأجدادي . !

وهكذا كان ينادي اليهودي الألماني المعروف « جينو اوسترتاج » .. وهكذا ترددت صيحات اليهود ، الذين اجتمعوا في عام ١٩٤٦ في كنيس يهودي ببلدة « ساربروسكــين » « **Saarbruesken** » بألمانيا ، « ونادوا ربهم أن يساعدهم على اعادة بناء كنائسهم .. وبلادهم .. « المانيا »! . وهكذا نادى محرر جريدة اليهود الكبرى في المانيا «الهر كارل» مدافعاً عن الشعب الالماني قائلاً وهو اليهودي : « لماذا ندين الشعب الالماني كله بجريمة النازيين ؟ هـــل نسينا أن اليهود قد تعرضوا للاضطهاد لمدة الفي سنة قبل النازية وفي خارج المانيا ..؟ ! »

واخيراً ، ليس هناك أكثر واقعية أو حقيقة من قول الفيلسوف الفرنسي « جان بول سارتر » في حديثه عن علاقة اليهودي بتاريخه قال :

« اذا صح ما يقوله الفيلسوف « هيجل » «**Heggel**» من ان « الوحدات » التاريخية تشكل « مجموعة » تاريخية خاصة بقدر ما تذكر من تاريخها .. فان الوحدة اليهودية ، او المجموعة اليهودية ، هي اقل المجموعات البشرية تاريخية .. لأنها لا تذكر ، ولا تتذكر من تاريخها سوى « استشهاد » طويل .. او عذاب طويل .. او آلام طويلة .. اي انها لا تذكر ولا تتذكر سوى « سلبية » طويلة .! فما الذي — اذن — جعل المجموعة اليهودية وحدة متماسكة ؟؟ لا الدين ولا الأرض ولا الماضي ، هي الرابط الجامع ، لهذه المجموعة .! ولكن اذا استحقت هذه الأشياء اسماً يهودياً ، واذا كان لها قاسم مشترك عبر عصور التاريخ ، فذلك يعود الى امكانية اليهودي الذي

يعيش في مجتمع لا زال يعتبره .. كيهودي! وباختصار ، ان اليهودي قادر على ان ينصهر في مجتمع اية امة من الأمم الحديثة ، لو ان ذلك المجتمع رضي بأن يتقبله . اي ان اليهودي مدين بوجوده ، لا « لتاريخ ما » هـو الذي صنعه ، وانما لمجتمع نبذه! ان اليهودي نتيجة « بدعة » من بـدع المجتمع المسيحي .. » !!

المجتمع .. وطن صغير!

« إن آثار الاقطاعية في الشرق الأوسط أوضح منها في اية بقعة من العالم .. »

« الفرد بونيه »

١٩٤٨

كتاب « الدولة والاقتصاد في الشرق الاوسط »



« إن التحرر السياسي والاتحاد دعوتان تحمل لواءهما فكرة القومية العربية وحركتها . ولكن التاريخ قد دلنا على ان الحركة القومية – اية حركة قومية كانت – لا تتحقق وتنجح إلا في مجتمع قد بلغ نوعاً معيناً من التطور والانسجام ، وبعبارة موجزة مجملة يمكننا ان نقول ان القومية لم تقم في الغرب في مجتمع تسوده اوضاع القرون الوسطى ... »

« قسطنطين زريق »

ص ٢٠٣ من كتاب « نحن والتاريخ »

يجب ان نبــني مجتمعنا

١ ـ بالمعرفة :

لست بحاجة لكي أقول لكم يا أهل بلدي من هو المواطن العربي وما هو المجتمع العربي . فالمواطن أنتم حياته ، والمجتمع أنتم بناته .. وبقي عليّ معكم في هذا القول السريع ، ان أشد الخيط الرفيع الذي يربط بينكم وبين مجتمعكم .. فنحدد معاً دوركم فيه ، ورسالتكم اليه ..

واذا كان العلم رسالة عندكم ، فان عندكم رسالة لمجتمعكم ، بل ان قيمة هذا المجتمع مرهونة بمدى مساهمتكم في تخطيط جدران المبنى الذي يضم هذا المجتمع . فاذا كنتم أقوياء ، كان مجتمعكم قوياً . واذا كنتم مسلحين بالثقافة والمعرفة كان مجتمعكم مثقفاً عالماً . واذا كنتم كباراً بآمال كبار وأهداف كبار كان مجتمعكم كبيراً بكم . أنتم المجتمع .. كلكم بعضه ، وبعضكم كل ما لكم من أثر فيه ..

ويهمني قبل كل شيء ان أقول لكم كيف أستطيع آن أفهم دور المواطن العربي في هذا المجتمع . ان هذا الدور يبدأ في اللحظة التي يبدأ معها الفرد في تحسس معنى المجتمع الذي يعيش فيه .. ففي تلك المرحلة يبدأ الواحد في تفهم وجوده كإنسان ، كذات ، كعنصر ، كبعض من كل .. ومن واجب

« الطالب » في هذه المرحلة، ان يعلم بأن العلم في حد ذاته ليس وسيلة من أجل وظيفة ، ولا سبيلاً الى الترقي في الحياة الاجتماعية ، بل هو ، وكما يجب أن يبقى جزء من حياتنا ، من وجودنا .. نقبل عليه كضرورة لنا وكمتمم لاكتمال عمرنا ، شأنه في ذلك شأن المأكل والهواء والماء والدم .. فاذا كان البعض قوياً في رياضته البدنية ، مثلاً ، واستطاع ان يبني لنفسه جسماً رياضياً كاملاً ، كذلك يجب أن يكون قوياً في تفهمه للعلم والمعرفة بحيث يستطيع بها محاربة آفات مجتمعه ، وشروره ، واعدائه ، تماماً كما يستطيع من اكتملت عضلاته وصحته أن يحارب الضعف والمرض ..

اذن ، فالمعرفة هنا ، وفي هذه المرحلة يجب أن ننظر اليها بنواة جديدة ثورية ليس فيها معنى الاستفادة الذاتية في العلم من أجل (الوظيفة) أو المال أو الرقي الاجتماعي ،بل نفهمها كشيء طبيعي ، ضروري ، حيوي ، لا تكتمل حياتنا ولا يتم وجودنا الا بها وبوجودها .

من هنا كان بناء الذات من أجل بناء المجتمع هو أول اهداف الطالب في هذه المرحلة . فاذا تعارضت مصلحة الطالب مع مصلحة المجتمع ، ضحى الطالب بمصلحته من أجل مصلحة مجتمعه . واذا تطلبت مصلحة المجتمع خروجاً من الطالب عن خط سيره العلمي الاختصاصي للدخول في خط سير جديد يشعر المجتمع بحاجة اليه ، كان على الطالب أن يخرج عن خط سيره ويدخل في الخط الذي يناديه المجتمع اليه .. فالمحاماة ، والطب ، والتخصص الزراعي ليست أهدافاً في حد ذاتها بقدر ما هي ويجب ان تكون الهدف الذي يحضر الانسان للحياة ، كفرد ، وكمواطن صالح ، وتأهيله للدخول في صورة الرائد المتخلي عن أنانيته، المتحلي بجرأته ، المتميز بإيجابيته وخلقه ..

أيها الأخوة ..

وللطالب في المراحل المتقدمة في العلم ، رسالة أخرى تكمل الرسالة

الاولى ، وتمشي معها في تأدية الرسالة الصحيحة للمجتمع . هذه الرسالة تهدف الى ستة أهداف :

أولاً — تمهد لخلق محور تدور حوله النفس العربية ..

ثانياً — تسعى لتوسيع حدود المعرفة وتساهم في خلق المقومات الفكرية والخلقية ، والروحية ، والثقافية ، للإنسانية عامة ..

ثالثاً — تعيد النظر في المفهوم العربي للحياة الثقافية على أساس صهر التراث العربي القديم مع الحاضر العربي المتوثب الثائر .

رابعاً — تساعد على أن تمنح المزايا المطلوبة لمن سيأخذ من صفوف الأمة مناصب القيادة في السياسة والاقتصاد والثقافة ..

خامساً — تجاهد من أجل ازالة الفوارق الثقافية والتعليمية بين طبقات الأمة ، بحيث ترفع مستوى الذين لا يعلمون الى مستوى الذين يعلمون ..

سادساً — نعمل بلا تعب من أجل خلق طاقة مهنية لبعث وتقدم النواحي الاقتصادية والثقافية في بلادنـا ..

تلك هي الأهداف الرئيسية التي تحدد رسالة الطالب الجامعي في مجتمعه العربي .. الحاضـر .

ترى، هل للطالب العربي رسالة أخرى ، تكمل رسالته التعليمية فتميزه كعربي بالإضافة الى ميزته كطالب ؟؟

أعني ، هل هناك رسالة أخرى للطالب العربي بوصفه انساناً حياً ، ثائراً ، متطوراً ، مؤمناً بنفسه ، ويؤمن باشتراكيته ، ويؤمن بثورته ، ويؤمن بمستقبله .؟!

وجوابي البسيط :

— أجل .. هناك رسالة اعداد الطالب العربي في المجتمع العربي لكي لا يضيع معنى الحقد في نفسه تجاه من سرقوا له وطناً .. وشردوا له أهلا .. وأقاموا على حدوده خطراً ..

هناك ، القسَم الذي تردد لمدة ثلاثة آلاف سنة على ألسنة كل يهود العالم

حتّى عادوا ، فأصبح من واجب القدر علينا أن نردد هذا القَسم على شفاهنا حتّى نعود!. أقول بوضوح : علينا أن نقول لأنفسنا .. لأولادنا .. لأهلنا.. لغيرنا .. في السر .. في العلانية :

« غداً .. في القدس .! »

فقد كان اليهود يقولونها باللغة العبرية :

« هاشانا هبا بيورشاليم .! »

وعلينا ان نقولها بالعربية :

ــ غداً .. في القدس .. غداً في فلسطين .!

* * *

٢ ــ بالاشتراكية :

يحاول العدو ان يوهم العالم الحر بأن الاشتراكية ترفرف على كل متر مربع من الـ ٢٩ مليون دونم ، التي هي مساحة الأرض العربية التي اغتصبتها الصهيونية من العرب واقامت عليها دولة اسرائيل ..

فمنذ عام ١٩٢٩ ، أي قبل ان تقوم اسرائيل بحوالي عشرين سنة ، كان حزب « الماباي » الاسرائيلي ــ وزعيمه دافيد بنغوريون ــ يطلب الانضمام الى ما يسمى « بالدولية » او « المنظمة الاشتراكيـــة » .

وما ان قامت اسرائيل ، حتّى بادر العدو الى الاشتراك في جميع المؤتمرات الاشتراكية ، وكان أولها المؤتمر الاشتراكي في « بورما » حيث حضره ممثلون عن جميع الأحزاب الاشتراكية الآسيوية . وقام المستر « شريت » او « شرتوك » ــ كما كان معروفاً ــ بتمثيل اسرائيل في هذا المؤتمر نائباً عن وزارة الخارجية الاسرائيلية ، وبرفقته واحد من منظمة « الهستدروت » كما أرسلت اسرائيل ممثلين « دائمين » لها في اللجان الدائمة للمؤتمر المذكور وسكرتيريته العامـــة ..

وفي شهر نوفمبر من عام ١٩٥٦ ، انعقد في اسرائيل المؤتمر الثاني للأحزاب الاشتراكية وحضره ممثلون عن احزاب غانا وغينيا وغربي اوروبا ..

وفي شهر يونيه في عام ١٩٦٠ ، عقد مؤتمر « الدولية الاشتراكية » دورته في مدينة « حيفا » ، بفلسطين المحتلة ، تحت اشراف الصهيونيين وبدعوة منهم ...

وعندما اشتدت حرب الاستقلال الجزائرية ، وادرك اليهود ان الجزائر « قد » تصل الى استقلالها ، اغتنموا الفرصة ، وأرسلوا احد أعضاء عصابة « شتيرين » الارهابية المعروفة — واسمه « ناتان بيلن‌مور » الى نيويورك ، وطلبوا منه تشكيل لجنة صهيونية « اشتراكية » تضم خمسين عضواً يهودياً اشتراكياً وتحمل اسم « الجمعية الاسرائيلية لمناصرة الجزائر الحرة » .. وكل ذلك لكي يوهموا الرأي العام العالمي بأن اليهود الاشتراكيين يحبون السلام ، والحريـــة .. حتى لو كان الذين يطالبون بتلك الحريـــة .. من « أعدائهم » العرب في الجزائـــر .!

وبينما يسمع العالم اغرب القصص عن سيارات « الكاديلاك » الخاصة المغطاة أبوابها بالذهب .. والمصنوعة خصيصاً لحساب ملوك العرب وشيوخهم .. تقوم اسرائيل بصنع ما اسمته « بالسيارة الشعبية » — بالاتفاق مع شركة « كايزر فريزر » الامريكية ، وهذه السيارة لا تستهلك اكثر من ليتر بنزين واحد في العشرين كيلومتراً ، وتكون في متناول الكبير والصغير من عامة الشعب .!

وقد حرصت دولة الأعداء — وسط موجة التسابق بين ملوك العرب على بناء افخم القصور واكبرها واكثرها عظمة ووجاهة وبهاء — ان تبني ما يزيد عن مائتين وثلاثين « مستعمرة » زراعية تعاونية « كيبوتس » بالاضافة الى مساهمتها في تشجيع بناء ثلاثمائة وخمسين مستعمرة زراعية اخرى تشجع فيهـــا الملكية الفردية وتسمى « موث ليم » .! واذا صدقنـــا ما

أعلنه « ليفي اشكول » وزير المالية في ١ ـ ١ ـ ١٩٦١ بان حكومته تستعد خلال السنوات العشر القادمة لإنشاء ١٢ مدينة صناعية تعاونية في صحراء النقب تقوم الصناعة فيها على أساس المواد الخام الموجودة في تلك الصحراء ، ادركنا مبلغ التطبيق الاشتراكي في ميدان الصناعة بالإضافة الى ميدان الزراعة ، في الدولة الصهيونية المذكورة ..!

اريد ان أقول ان هذا يجري في دولة « صغيرة » تجاورنا .. في قلب شرقنا .. تتربص بنا .. وتستعد للتوسع على حسابنا .. بينما في معظم الدول العربية أنظمة فاسدة رجعية .. يأكل الاستعمار خيراتها .. وينهب المستعمرون بترولها .. ويجمدون ارباحها في بنوكهم ببريطانيا .. تاركين لهم الملذات والفسق ، والفجور ، والليالي الحمر ، والحياة الدنسة التي تطعن مبادىء الاسلام ، وتشوه سمعة العرب ، وتجعلنا في أعين العالم أشبه بالأمة المتأخرة الجاهلة التي لا هم لها الا النساء والجواري والجواهر والسيارات ..

اريد ان اقول ان علينا البدء فوراً في معركة « تذويب » الطبقات ، بحيث نرتفع بالجاهل الى مصاف المتعلم ، وبالمريض الى دنيا الأصحاء ، ونجد عملاً لكل قادر ، ومسكناً لكل مواطن ، وغذاء لكل جائع ، وكرامة لكل عربي !

ان الاشتراكية وحدها ، لا القبلية ، ولا العائلية ، ولا الرأسمالية ، ولا الشيوعية ، هي طريق قوتنا ! ولن نغلب العدو ما دمنا ضعفاء .. ولن نقوى ما دمنا مستسلمين الى حكم الفرد والعائلة والاقطاع .!

٣ ـ بالدعاية البناءة :

يستعين العدو ، علينا ، في ميدان الدعاية بشتى الأساليب . فهناك النفوذ الصهيوني المسيطر على اجهزة الدعاية الكبرى في العالم من تليفزيون ، وصحافة ، واذاعة ، وكتب ، ومحاضرات ، ونشرات ... وهناك الرحلات المنظمة الى اسرائيل برعاية الحكومة الاسرائيلية .. وهناك المؤتمرات المختلفة ، والمعارض

الفنية والتجارية ، والنوادي اليهودية في الخارج ، واتحادات الطلاب والشباب في العواصم الكبرى. كما ان هناك الاعلانات الكهربائية والملونة على جدران الشوارع ، والميادين ، والأحياء التجارية الواسعة .. وهناك الافلام القصيرة Short Films ، والبطاقات البريدية (كارت بوستال) واللعب الصغيرة التي تمثل جوانب الحياة الاسرائيلية من أقلام وعرائس وصـــور . وهناك المناورة الخفية في استغلال الدين المسيحي وإيهام العالم ان الأماكن المقدسة تقع في القسم اليهودي من القدس وبالتالي تضع اسرائيل اعلانات كبيرة تنادي : زوروا الأماكن المقدسة في اسرائيل .. وبالانجليزيـــة

Visit The Holy Land In Israel

ثم هناك الروايات التمثيلية التي تقدمها الفرقة اليهودية القادمة من اسرائيل .. وهناك استغلال جهود جميع الجمعيات المناوئة للاسامية في المانيا وتسخيرها لخدمة المبادىء والصهيونية . وهناك عملية استغلال القسس والرهبان في كنائس امريكا عن طريق الرشوة والمغريات وحثهم على الدعوة للصهيونية في الكنائس .. وهناك عمليات جمع المال لمساعدة اسرائيل بواسطة صناديق خشبية ملونة صغيرة مكتوب عليها «ساعدوا اسرائيل» .. والمساعدة المالية هنا ليست كل شيء ، بل كل شيء هو الدعاية المطلوبة في مثل هذه العمليـــة ..

كما ان هناك الافلام السينمائية الطويلة التي لا يحتاج الحديث عنها الى اعادة وتفسير بعد ان اصبحت سمومها معروفة للناس اجمع .. وهناك الاغاني الموسيقية القصيرة في اسطوانات صغيرة رخيصة الثمن تشتمل على معنى الحنين الى اسرائيل .. وهناك الدهاء في استغلال اسماء مشاهير الناس في العالم ، من ممثلين ومطربين وعلماء وادباء ، وفلاسفة ودعوتهم لزيـــارة اسرائيل واظهارهم بمظهر المعترفين بعظمة اسرائيل ، واظهار اسرائيل بمظهر المعترفة بعظمة الرجال وتقديرهم ..

كما ان هناك المبادرة بعرض المساعدات العلمية والفنية والصحية على

دول العالم على أثر ما قد تتعرض له تلك الدول من هزات او نكبات او فيضانات او اوبئة ، فتهرع اسرائيل الى التظاهر باستعدادها لتزويد البلد المنكوب « بكل » مـــا يحتاج اليه من ممرضات وادوية وامصال وتبرعات ..

واخيراً ، هناك التأثير على رجال الكونغرس الامريكي ، ورجال مجلس العموم البريطاني ، واستغلال المنابر الدولية ، كالأمم المتحدة ومجلس الامن من اجل الدعوة لإسرائيل او الدفاع عنها ، او تفسير سياستها ، او التغني بعظمتها او التهجم على خصومها ..

تلك هي الوسائل التي تلجأ اليها اسرائيل في الدعوة لنفسها والدعوة ضدنا ، وعلينا ان نقاوم السلاح بالسلاح ، وان نحطم تلك الدعاية باسلوبها .. وان ننازل العدو في معركته .. وبنفس خططه وألاعيبه .!

اما مظاهر الدعاية الصهيونية فهي المحاولات الاسرائيلية المستمرة لكي تظهر اسرائيل بمظهر :

١) الدولة الحضـــرية ..
٢) الدولة الديمقراطيـــة ..
٣) الدولة الحـــرة ..
٤) دولة العلم .. والأدب .. والفن ..
٥) دولة الثقافـــة ..
٦) دولة الاشتراكيـــة ..
٧) الدولة المسالمة التي لا تعتدي ..

وعلينا نحن ان نفسد جميع هذه النظريات ، بكل ما لدينا من استعداد ومعرفة ، وادراك ، ومثابرة ، وتفهم لحقيقة العدو ..

وليس هنا مجال البحث في تفاصيل هذا العمل ، ومتطلباته ، وشروط نجاحه . ان المهم — الآن — أن يدرك العرب أهمية الدعاية في العالم ، والأساليب والمظاهر التي تتخذها الدعاية الصهيونية في المجال الدولي لكسب المعركة ..

٤ – بترول العرب للعرب :

ان ورقة البترول التي يملكها العرب ، لم تدخل بعد ، ومنذ عام ١٩٤٧ حتى اليوم ، معركة فلسطين ، لا قضية ، ولا حرباً ، ولا نكبة ، ولا استرداداً ..

واذا علمنا أن (٢٦) ستة وعشرين في المائة من مجموع بترول العالم يخرج من منطقة الشرق الاوسط ..

واذا علمنا ان العراق تكسب من عائدات البترول ما يساوي ٢٥٩ مليون دولار في العام[1] ، وأن الكويت تكسب (٣٤٥) مليون دولار في العام ، وأن « قطر » تكسب ثلاثة وخمسين مليون دولار في العام ، وأن السعودية العربية تكسب ثلاثمائة وخمسة عشر مليون دولار في العام .. يضاف الى ذلك مجموع ما تكسبه سوريا ولبنان والأردن بدل مرور أنابيب البترول في أراضيها والذي يبلغ حوالي أربعين مليون دولار في العام الواحد ..

واذا علمنا أن (٦٢) في المائة من البترول العربي يذهب الى أوروبا الغربية ، و (١٥) في المائة يذهب الى الشرق الأقصى ، وعشرة في المائة يذهب الى الولايات المتحدة ، وسبعة في المائة يذهب الى جنوب افريقيا ، وأربعة في المائة يذهب الى استراليا ، وثلاثة في المائة يذهب الى غرب افريقيا .. وبالتالي مدى اعتماد هذه الدول على البترول العربي في ميدان صناعتها وحياتها العسكرية ..

واذا علمنا أن معظم أسهم شركات البترول في الشرق العربي يملكها إما شركة « ستاندارد أويل » الامريكية ، أو شركة « شل » أو « سوكوني فاكوم » أو شركة « البترول البريطانية » أو شركة « البترول الفرنسية » ..

واذا علمنا ان مدة امتيازات هذه الشركات في البلاد العربية لن تنتهي قبل عام ٢٠١٠ او ٢٠١٣ او ٢٠٢٤ او — على أقل تقدير — « ٢٠٠٠ »

---

١ – أرقام عن عام ١٩٦٠ .

كما هو الحال بالنسبة لشركة « بترول العراق » ..

اذا علمنا كل ذلك ، وعلمنا معه أن هذه الامتيازات البترولية قد بدأت في « السعودية » منذ عام ١٩٣٣ اي قبل ١٥ سنة من نكبة فلسطين .. وانها بدأت في « العراق » في نوفمبر ١٩٣٨ اي قبل عشر سنوات من نكبة فلسطين .. وانها بدأت في « الكويت » في ١٩٣٤ ، أي قبل ١٤ سنة من نكبة فلسطين .. ومدى ما كان يتوجب على حكومات هذه الدول من تفهم للقضية الفلسطينية وتطوراتها وخطورتها على ضوء مصالح الانجليز والامريكيين البترولية في الشرق العربي ..

اذا علمنا ذلك ، أدركنا مدى تقصير الدول العربية – المنتجة للبترول – في محاولة اللعب بهذه الورقة واستخدامها كضغط سياسي اقتصادي على دول الغرب من أجل ارغامها على عدم الاستسلام للنفوذ الصهيوني العالمي ..

بل انه لمن المؤسف حقاً أن لا يصدر تصريح عربي واحد – من أية دولة عربية تنتج البترول – والأزمة الفلسطينية في شدتها – ينادي – ولو من قبيل التهديد ، باعادة النظر في امتيازات البترول اذا لم يعد الحق الى أهله في أرض فلسطين ..

ولعله من المؤسف ، أكثر وأكثر ، انه بعد عام واحد فقط ، من قيام دولة اسرائيل على أرض فلسطين ، رفعت الحكومة السعودية تمثيلها الدبلوماسي مع الولايات المتحدة الامريكية التي خلقت – بنفوذ ترومان – دولة العدو ، الى مستوى .. السفارة ..

بل لعله من المحزن والمؤسف معاً ، انه عندما حاول المرحوم « فارس الخوري » وغيره من رجال السياسة العرب ، في احدى جلسات الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ .. وبالتحديد في شهر نوفمبر عام ١٩٤٧ ان يهدد بأن العرب سيضطرون الى اعادة النظر في امتيازات البترول اذا استمرت الدول الغربية – بريطانيا والولايات المتحدة – في سياستها العدائية نحو الحق العربي في فلسطين .. عند ذاك ، صدر بلاغ رسمي في الرياض يقول بأن موضوع

فلسطين شيء .. وموضوع امتيازات البترول شيء آخر .. وان لا علاقة بينهما ولا رابط .. ولا تداخل[1] .. !

وهكذا يستمر البترول العربي تدفقه الى اسواق « العالم الحر » بواقع خمسة ملايين برميل في اليوم الواحد ،دون أن تقال كلمة واحدة، في عبارة واحدة ، في منطق واحد : هل يجوز ان تكون فلسطين قضية العرب كلهم ، بينما بترول العرب – دون شرط ولا حدود ولا تفكير – يصب في الأسواق الاوروبية التي ما زالت تمد اسرائيل بالمال ، والسلاح ، والدفاع المعنوي والمـــادي !؟

وهل سيكون الحال على حاله ، لو أن مثل هذه الورقة السياسية الهائلة ، تقع في يد اسرائيل ، لا في يد العرب .؟

لقد سأل أحد أعضاء لجنة التحقيق الانجلو – أمريكية ، المستر « حايم وايزمان » الزعيم الصهيوني عام ١٩٤٥ :

– بأي حق تطلب منا أن نعطيكم فلسطين ..؟

فأجابه وايزمان :

– أنا أعطيتكم في الحرب العالمية الأولى كل خبرتي .. كل علمي .. كل ما عندي ..

وسكت العضو ولم يــرد ..

ومن هنا ...

إذا لم يكن للتسعين مليون عربي ، عند اخوانهم من دول البترول ، حق المشاركة في الحاضر القائم ، فإن لهم على اخوانهم حق المشاركة ، في المصير المجهول .! وهذا المصير سيبقى مهدداً ، مظلماً ، خطراً ، ملبداً بالغيوم

---

١ – تفاصيل هذا الموقف اوردها المؤلف الامريكي « جورج لنشوفسكي » في كتابه « الزيت والدولة في الشرق الاوسط » « Oil and State In The Middle East »
By George Lenezowski

ما دامت اسرائيل قائمة ..

وقد لا يرضى أصحاب البترول ان ينادي البعض : « بترول العرب للعرب .. » من حيث المال .. أو بمعنى المشاركة المالية ..

ولكننا سنترك لهم المال وننادي : « بترول العرب للعرب .. » من حيث النفوذ الدولي ، والأثر السياسي ، والضغط الاقتصادي ..

ومن هنا ، نبني سياستنا الاقتصادية على ضوء الواقع الذي يقول : « عدو عدونا ، صديق لنا .. وصديق عدونا ، عدو لنـــا . ! »

اننا لا نطالب بنسف اتفاقيات البترول ..

ولكننا نطالب « بإحياء » هذه الاتفاقيات ، بإعطائها مـــا تستحقه من قيمة دولية .. بدراستها على ضوء الواقع العربي .. بتفهم نصوصها على أساس المصلحة العربية الواسعة ..

نطالب بأن تكون اتفاقيات البترول نعمة على العرب ، لا نقمة عليهم .. فتصبح في خدمة المصلحة العربية ، لا ان تبقى ، هي واصحابها ، في خدمة الأجنبـــي ..

ومن أجل هذا يجب أن تتحسس الشعوب العربية ، في الدول التي تمتلك البترول، اهمية هذا السلاح الذي في يد حكامها وتحاول ان تتكتل.. وتقوى.. وتشتد بحيث يصبح البترول في يدها هي ، لا في يد الحكام وحدهم ، وبالتالي تبادر هي — اعني هذه الشعوب — في التحكم بمصير بترولها على ضوء المصلحة العربية كلها ، لا على ضوء مصلحة الحكام فقط ..

٥ — بالتفكير العلمي :

ولم تعد قضايانا ، كل قضايانا — وعلى رأسها قضية فلسطين — بحاجة الى المزيد من العاطفة ، بقدر ما هي بحاجة الى المزيد من المعالجة العلمية والتحليل المنطقي البعيد عن الارتجال والسذاجة ..

واذا كانت العاطفة تشدنا الى الماضي — بكل جروحه ويأسه وظلامه

وآلامه — فيجب علينا ونحن أمام عتبة معالجة أوضاع المستقبل، أن نتحرر من عبودية هذا الماضي ، بكل سيئاته ، وبكل حسناته اذا لزم الأمر .. فليس من دلائل الفطنة في شيء، أن نعالج مشاكلنا الخطيرة العالمية، في عصر الذرة والصواريخ ، بنفس العقلية التي كان آباؤنا يعالجون بها قضايا بلادهم . ان التاريخ يتطور ولا يتكرر .. ان الحلول الصالحة هي التي تتبدل مع تبدل الظروف والمكان .. ان التقيد بظروف الحاضر لا تعني الاستسلام لهذا الحاضر بقدر ما تعني التحرر من أغلال الماضي .

فاذا كانت الاتكالية على القدر ، من أساليب معالجة قضايا الأمس ، فيجب أن تكون الاتكالية على النفس وحدها ، هي اسلوب معالجة قضايا اليوم . واذا كان النفوذ « الديني » هو السبيل الى النجاح في الميدان الدنيوي بالأمس ، فان ميدان اليوم لا يقبل الا التخصص ولا يعرف إلا الالتزام بحدود المهنة وظروفها .. واذا كان عامل الدين هو المحرك الأكبر للنشاط السياسي بالأمس ، فان مكان الدين يجب ان يبقى — بعد اليوم — في المسجد والكنيسة ، ولا يتعداهما ليصبح عاملاً يستغل القضايا ، أو ضحية يستغله الناس .. واذا كان « العدد » أو « الكمية » هما عنصري النجاح المطلوب في أية معركة عسكرية أو تظاهرة سياسية ، بالأمس ، فان « النوع » و « السلاح » و « التكتيك » هي كل عناصر النجاح المطلوب في اية معركة عسكرية ، في هذه الأيام .. واذا كانت القناعة بالموجود أو الرضا القائم أو المنافقة للحاكم ، أو التأييد المطلق من مميزات العمل السياسي الحكيم في الماضي ، فان الانتقاد أو النقد الذاتي — حتى بمعناه الشيوعي **Criticism and Self Criticism** ، المنصوص عليه في المادة ٣ (١) من القانون المعدل للحزب الشيوعي ، والتي تنص على : « انما روح الانتقاد الذاتي والانتقاد الموجه من أدنى ، والعمل على فضح ومحو كل تقصير في العمل ومكافحة الظهور بمظهر الرضا مع الاعتزار بالنجاح في العمل .. الخ » .. حتى هذا المعنى لم يعد معدوماً لدى العمل السياسي الناضج المنظم في هذا

اليوم .. وبعد اليوم .

أريد ان أقول ، ان التفكير العلمي المنطقي يجب ان يجد طريقه الى عقولنا في محاولاتنا المستمرة للتغلب على ما يواجهنا من مشاكل وقضايا ، وعلى رأسها ، وفي مقدمتها قضية فلسطين ..

أريد أن أقول ، ان الأسلوب الحضري الصافي ، المنبثق من مجموعة صفات خيِّرة اكتسبها الانسان في ميادين الثقافة والتجربة والتطور والفهم والفكر السليم ، يجب أن تكون المفتاح الذي ندخل به — بعد اليوم — الى حل القضايا التي لا يواجهنا بها عدو جاهل ، أو خصم جائع ، أو عالم متأخر ، بل نحن في خضمها ضد أعداء ملكوا اسباب العلم والمدنية والفلسفة والطب والكيمياء والحضـــارة ..

أريد أن اقول ، ان التمسك والإخلاص المطلق لروح الاستمرار في البحث ، أو المثابرة في العمل ، أو الملاحقة الجادة لجواهر القضايا ، يجب أن تكون طابع طبيعتنا في النظر الى قضية القضايا العربية . أعني : يجب أن لا نذكر فلسطين في يوم « وعد بلفور » فقط .. أو في يوم ١٥ مايو فقط .. أو في ثورة معينة من ثورات العالم العربي فقط .. بل يجب أن « نحيا » قضية فلسطين ، « ونعيشها » ، « ونتنفسها » ، في كل لحظة من كل ساعة من كل يوم من كل سنة من عمرنا ..

أريد أن أقول ان نرتفع « بالقضية الكبرى » عن أن تكون مادة للشهرة ، أو وسيلة للمصلحة ، أو طريقاً للمساومة ، او مدخلاً لجمع المال ! يجب أن لا نقبل ذلك لأنفسنا ، ولا نقبله بيد سوانا .. ان سلامة الوطن وعروبة مقدساته ليست من اختصاص فرد ، ولا من مسؤولية بلد ، وانما هي ملك التاريخ ، كل التاريخ ، بكل ما ينطوي عليه من مواكب الأمة العربية ..

أريد أن أقول ، أن لا نترك الانتهازية أو السلبية أو الرجعية أو الانكماشية أو اللامبالاة .. تأخذ طريقها الى نفوسنا وتفكيرنا في مجتمعنا القائم .. ان من مصلحة عدونا أن يخلق في صفوفنا أية روح شاذة من هذه الأرواح ،

التي تتفاوت في خطرها وشرورها على مصير قضيتنا ومستقبلنا ..

أريد أن أقول إن الروح «الفردية» التي استشهدنا بها في الماضي Individualisim يجب أن تزول .. ويجب أن نتفهم روح «الفريق» Team في بناء مجتمعنا السياسي ، فنمارس السياسة على طريقة لعبة «كرة القدم» يلعبها احد عشر لاعباً ، ولا ينفرد واحد منهم بالكرة لنفسه .! إن من مزايا روح الفريق أن يكمل الواحد منهم زميله في صحة تحسسه للأمور ، وصحة حكمه عليها .. فالمعروف دائماً أن ليس هناك كمال بشري مطلق يحقق معاني المعجزات .. لا في الخلق ، ولا في الشخصية ، ولا في التصرف ..

وأخيراً ، أريد أن أقول ان على أصحاب «النكبة» ان يرتفعوا بتفكيرهم وروحهم ، واستعدادهم ، وبلائهم ، الى مستوى هذه النكبة .. يجب أن يقول التاريخ إن أهل فلسطين كانوا أهلاً «للأزمة الكبرى» التي خلقتها فلسطين القضية ، وفلسطين المأساة ...

٦ — بالايجابية :

نقول لأنفسنا : نحن فلسطينيون «عودة» لا فلسطينيون لجوءاً او تشردا ..

نقول لأنفسنا : نحن أصحاب فلسطين ، لا لأننا كنا ، وعشنا ، وامتلكنا ، أرضها .. بل لأننا سنعود اليها .. لأننا سنحارب من أجلها ، لأننا سنعمل في سبيلها ، لأننا سنستعد لمعاركها ..

نقول لأنفسنا : لا يكفي أن يكون دورنا كفلسطينيين أن نبكي على فلسطين .. لا يكفي أن نطالب بفلسطين . اعني لا يكفي أن نكتفي بالمعنى السلبي من فلسطينيتنا . بل يجب أن نمارس هذه الفلسطينية بمعناها الإيجابي ..

نقول لأنفسنا : ان الجمود لن يعيدنا الى فلسطين . يجب أن «يتحرك» المجتمع العربي كله .. بسائر نواحي نشاطه .. بمختلف عناصر وجوده .. بعماله ، بتلامذته ، بتجاره ، بفلاحيه ، بأدبائه ، بفنانيه ، من أجل فلسطين.

يجب أن نحشر اسم فلسطين في جميع رواياتنا ، في برامج اذاعاتنا ، في اسئلة التليفزيون ، في مختارات الاغاني ، في خطب الحفلات المدرسية ، في ليالي السمر ، في أناشيد الكشافة ، في المؤتمرات السياسية ، على طول الزمن ، ومر الأيـــام ..

نقول لأنفسنا : يجب ان نشعر الطفل الصغير في كل مجتمع عربي ان شيئاً ما ينقصه ، شيئاً ما ينغص عليه حياته ، شيئاً ما يهدد وجوده ويطعن استقراره ، شيئاً ما لا تكتمل سعادته ما دام قائماً .. وهذا الشيء هو ضياع فلسطين ووجود اسرائيل فوق أرضها ..

نقول لأنفسنا : يجب ان يكون « لفلسطين » أسبوع خاص في كل بلد عربي .. وفي مثل هذا الاسبوع تظهر طوابع بريد لا تحمل « الا » اسم فلسطين وكتب ونشرات وابحاث كلها عن فلسطين .. ومناظرات جامعية ومدرسية عن تاريخ فلسطين .. وحفلات تمثيلية عن نكبة فلسطين .. ومظاهرات شعبية ترفع شعارات فلسطين .. ونداءات للتبرع ، للتطوع للتدريب ، للاستعداد ، من أجل فلسطين .

نقول لأنفسنا : نطلق اسم شهداء فلسطين على أكبر شوارع مدننـــا وعواصمنا ، ان اسم عبدالقادر الحسيني ، وحسن سلامه ، ومصطفى حافظ ، وسعيد العاص ، والعشام ، وعبدالقادر التونسي ، وأحمد عبدالعزيز وصبحي شاهين ، وأبو ديه ، وكل شهيد ، بل كل بطل امتزجت دماؤه بتراب فلسطين ، يجب أن يبقى خالداً مضيئاً على مر الزمن . إن اول ما قام به اليهود في تل‌أبيب هو اطلاق اسماء هرتزل .. وديزنكون .. واحاد هاعام .. ونحماني .. وجابوتنسكي .. على شوارع مدينتهم قبل أن تقوم لهم دولة أو يصبح لهم كيان .

نقول لأنفسنا : نزرع الغابات ونطلق عليها اسم فلسطين . نبني قرى صغيرة ونسميها باسم فلسطين . نقيم مدناً خاصة تضم عائلات الشهداء وأولادهم وأهلهم ونختار لها أسماء من أرض فلسطين .. ان العدو لم يعترف

يوماً باسم فلسطين التي كان يطلق عليها اسم « ارض اسرائيل » وعلينا ان نسحق هذا الاسم ونعود بفلسطين حية .. عربيـــة .. اصيلـة .. مـــن جديـــد .

٧ – بالتضامن :

بالرغم من كل ما كان بين « وايزمن » و « بنغوريون » من خلاف مبدئي ، وسياسي واجتماعي .. وحتى شخصي ، فان « دافيد بنغوريون » هو الذي أيّد ترشيح « حايم وايزمن » لمنصب رئاسة الجمهورية بينما كان الأخير يقيم في أحد فنادق نيويورك بانتظار تطور أخبار « الغزو » العربي لفلسطين في منتصف مايو[١]..

وبالرغم من كل ما كان بين وايزمن ، وحزب الماباي اليهودي في فلسطين من خلافات جوهرية في أسلوب العمل ، ونتائجه ، واتجاهاته ، فأن أول برقية أرسلها زعماء حزبه « الماباي » بعد اعلان دولة اسرائيل ، كانت الى حايم وايزمن .. يبايعونه فيها بالزعامة ، ويشيدون ببطولته وجهاده ..

وبالرغم من كل ما كان بين عصابة الهاجانا ، وعصابة « الارجون زفاي لومي » من خلافات اساسية في العمل ، والاتجاه ، والاسلوب ، فان بنغوريون – وهو رئيس الوكالة اليهودية التي ترعى الهاجانا – كان يعقد المؤتمرات الصحفية المتلاحقة للاشادة بعظمة « الاعمال » التي كانت تقوم بها عصابة .. الارجون .

ولا أريد ان أمضي في اثبات الشواهد والبراهين التي تؤكد لنا – مع الأسف – تضامن اعدائنا في معركتهم ضدنا .. ان ما يهمنا في هذه المرحلة الفاصلة من حياتنا أن يفتح كل منا صدره امام جهاد أخيه من أجل المصلحة

---

١ – « التجربة والخطأ » لحايم وايزمن صفحة ٥٨٦ . قال بنغوريون في معرض تـأييده لوايزمن : « ان وايزمن لا يشرفه ان يصبح رئيساً لإسرائيل ولكن يشرف اسرائيل ان يرأسها وايزمن » .

العليا .. فالقضية الفلسطينية تتسع لكل عمل ، ولكل جهاد ، ولكل حزب ، ولكل موسسة ، ولكل لجنة . ومثل هذه القضية في خطورتها ، وقداستها ، لا تعرف وطنياً وخائنا .. يمينياً ويسارياً .. متطرفاً ومعتدلاً .. نزيهاً ومرتشيا .. من يعمل من أجل الله ومن يعمل من أجل الشيطان ..

ولا نريد ان ننبش صفحات الماضي المؤلمة ونعدد النكبات التي انهزت فوق رأس العرب بسبب اختلافاتهم .. لقد انقسمت فلسطين بين هذا ، وذاك وضاعت حقيقتها .. وبينما كان اليهود يزحفون بالآلات نحو شواطىء « دولتهم » ويتصلون بزعماء أمريكا وبريطانيا من أجل تأييدهم في معركة مصيرهم ، ويخرجون بالمقررات المتلاحقة من حزب العمال البريطاني ، والحزب الديمقراطي الامريكي .. ومن اتلي وترومان .. ومن تشرشل وايدن .. وكلها تؤيد « حقهم » في اقامة دولتهم .. في هذا الوقت بالذات ، كان العرب في فلسطين — وبصورة أدق — كانت القيادة العربية في فلسطين منقسمة بين هيئة عليا ، وجبهة عليا .. بين من يتولى مسؤولية الدعاية : اللجنة العليا .. أم المكاتب العربية ..؟ من يمثل فلسطين .. زعماؤها الغائبون ام موسى العلمي ..؟ وكم كان يؤلمنا ويحز في نفوسنا عندما كنا نعمل في « المكاتب العربية » التابعة لجامعة الدول العربية ، وكان يأتي الصحفيون الأجانب لزيارتنا في مقر عملنا في القدس .. كاتب هذه السطور .. والشقيري .. وياسين .. والترزي .. والحسيني .. والخالدي .. والتل .. والخطيب .. والدجاني وكان يسألنا احد هؤلاء الصحافيين :

— باسم من .. انتم تتكلمون ..؟

فلا نملك أن نقول لهم سوى اننا لا نتكلم الا باسمنا .. فقط !

وعندئذ ، كان ذلك الصحفي ، يطبع على وجهه ابتسامة باهتة ، ويشكرنا ، وينصرف دون أن يهتم بالاستماع الى كلمة واحدة من أقوالنا ..

وبعد هذا ، فهل هناك كتاب واحد — بأية لغة من لغات العالم — لم يتحدث بل لم يتغن بالخلاف القائم بين أحزاب فلسطين « الستة » .. حول زعامة

فلسطين .. ؟

اذا كنا سنقول : « عفا الله عما مضى » .. فيجب ان نتجنب الأخطاء التي عشناها — فيما مضى .. يجب ان نبني مجتمعنا الجديد على المحبة .. على التفاهم .. على التضامن .. لا على الشر .. ولا على الكراهية .. ولا على الشك ..

واذا كنا سنسعى لاسترداد فلسطين ، فيجب أن لا يكون بين صفوف فلسطين منحرف واحد .. الا الذي يسعى لشق الصف العربي وتفتيته .. وبالتالي نفهم تماماً الاخطاء التي أودت بفلسطين ..

اذا كنا نريد ان نعود ، فيجب أن نفهم ، تماماً، كيف ولماذا خرجنا ؟.

ترى هل انا بحاجة لأن أسرد هنا ، قصة فلسطين « المأساة » قبل أن أسرد قصة فلسطين .. العودة ؟

٨ — نسأل انفسنا : هل نحن فقراء ؟

لا .. لسنا فقـــراء ..

أعني : نحن الفلسطينيين ..

ولكن الانجليز سرقوا ثروات « البحر الميت » ، بحرنـــا ، وأعطوا امتياز الحصول على هذه الثروات في ٢٠ يناير عام ١٩٢٠ لشركة « البوتاس الفلسطينية اليهودية » لمدة خمسة وسبعين عاما .. ان الخبراء يقولون ان الثروات الدفينة في مياه هذا البحر لا تقل عن عشرة مليارات من الجنيهات .. ان شركة « البوتاس » يملكها صهيونيان هما « طولوخ » « ولوفوسكي » . وكانت حكومة الانتداب تمنح هذه الشركة كل اسباب الحماية الجمركية والتسهيلات المطلوبة ، وكما سرق اليهود مياه الأردن فإنهم قد بدأوا في عام ١٩٦٢ يبنون السدود على جنوب البحر الميت « من اجل الاستيلاء التام على ثرواتـــه » ..

وكذلك ان لنا حقوقاً في منشآت موانىء حيفا ، ويافا ، وعكا .. ان

هذه المنشآت قد اقيمت بأموالنا ، والضرائب المفروضة علينا ..

ولنا حقوق في خطوط سكة حديد فلسطين .. عشرات القطارات ومئات القاطـــرات .

ولنا حقوق في مطار « اللد » .. أعظم مطار في الشرق الأوسط ..

ولنا حقوق في بحيرة « طبريا » .. في مياهها الحلوة ، ومياهها المعدنية ..

ولنا حقوق في مشاريع الكهرباء التي أقامتها حكومة الانتداب بأموالنا .. ومساهمتنا .. وبنسبة تزيد عن نسبة اليهود ..

ولنا الاوقاف الاسلامية في المدن المختلفة التي تقدر قيمتها بالملايين ..

ولنا حقوق في المباني الحكومية – والأراضي الحكومية – التي سرقها منا الانجليز ، بالقوة ، ثم سرقها اليهود من الانجليز .. بالرضا ..

كل هذه الأموال ليست لفرد فلسطيني واحد ، بل للفلسطينيين كلهم . انها مصادر ثروة للشعب الفلسطيني .. يجب أن يطلع عليها ويعرفها كل فلسطيني ويشعر بأنه مهما كان فقيراً نتيجة « النكبة » فانه ليس بالفقير في بلده .. ان بلده غني بالثروة ، غني بالأنهر ، غني بالبحيرات ، غني بالمعادن غني بالموانيء ، غني بالمطارات ، غني بالصادرات ..

وبعد ذلك ، لا مكان لأية عقدة نفسية تستبد بنا ، وتشعرنا بالنقص .. أو بالفقر .. أو بالعوز .. أو بالحاجة .

لقد كنا أغنياء .. وما زلنا أغنياء ..

وبهذه الروح المنطلقة المستريحة المتحررة من أية عقد ، أو أزمات ، يجب أن ننظم مجتمعنا السياسي ، والفكري ، والاجتماعي .

فإن العبيد ، لا يقدرون على الحريـــة ..

والفقراء ، لا يعرفون الطريق الى الصراع المصيري ..

والمعوزون ، لا يصمدون امام الاحداث الكبـــار ..

يجب أن ننظم أنفسنا ..

« اذا وسع الكون فكر امرىء
فلا بأس للطرف . ان يحسرا
« على الشمس ان تهدي المبصرين
وليس على الشمس ان تبصرا !



« .. يجب تنظيم وربط كافة الشعب اليهودي بواسطة منظمات ملائمة : محلية ودولية ، لا تتنافى مع قوانين كل دولة .. »

« الفقرة ٢ من قرارات المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ »

علينا أن ننظم أنفسنا

اذا كان العرب في الماضي قد رفضوا مبدأ تشكيل «وكالة عربية» تكون على غرار الوكالة اليهودية، وتنطق — امام الانتداب — باسمهم.. فإن عليهم اليوم العمل على تشكيل مثل هذه الوكالة، او هذا «الصوت» او هذا الكيان، من أجل انقاذ بلادهم..

اعني: اذا كان العرب قد رفضوا في مارس ١٩٢٣ عرض الحكومة البريطانية تعيين مجلس استشاري ينطق باسم اهل فلسطين، أو رفضوا في ١٣ أكتوبر ١٩٢٣ عرض الحكومة تشكيل «وكالة عربية»، أو ما يشبهها من أجل الدفاع عن رأيهم وكيانهم أمام عصبة الأمم وامام حكومة الانتداب وأمام الدول العربية، فإن على العرب اليوم التكفير عن هذه «الغلطة» والمبادرة الى خلق الكيان الفلسطيني..

ولا يهمنا ان ينبثق هذا الكيان من ارادة رسمية لجامعة الدول العربية في دورتها الثانية والثلاثين في سبتمبر عام ١٩٥٩ بمدينة «الدار البيضاء» حيث قررت الجامعة انشاء «أجهزة قوية» متفرعة في الدول الاعضاء تختص بالمشكلة الفلسطينية من مختلف نواحيها السياسية والعسكرية.. مع اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابراز كيانه شعباً موحداً — لا مجرد لاجئين — يسمع

العالم صوته في المجال القومي وعلى الصعيد الدولي بواسطة ممثلين يختارهم .؟

وكذلك لا يهمنا اعتراض حكومة الاردن على قيام مثل هذا الكيان ، او محاولتها السيطرة عليه باسم الاغلبية الفلسطينية التي تسكن ما يسمونه « بالضفة الغربية » من الأردن .. ان مثل هذا الكيان يجب أن يقوم بأي شكل .. سواء رضيت الأردن ام لم ترض .. وسواء حاولت السيطرة عليه ونجحت ، ام لم تحاول ، ولم تنجح .. فالفلسطيني سيبقى أولاً واخيرا فلسطينياً .. يرى مصلحة بلده قبل مصلحة الأردن ، ويعمل من اجل انقاذ وطنه قبل أن يعمل من أجل تنفيذ ارادة هذه الدولة أو تلك .. فاذا ارتأى واحد من أبناء فلسطين المقيمين في الأردن في نفسه الكفاءة والمقدرة والاستعداد لكي يقوم بواجبه كعضو في جسم الكيان الفلسطيني ، فان عليه أن يفعل ذلك ، ويترك الأردن ، ويستقر في أي بلد عربي متحرر يملك من امكانيات العمل الوطني ما يساعده على أن يخلق مثل هذا الكيان ، ويمده بالمال ، وبالسلاح ، وبالرعاية ، وبالتنظيم ، حتى يؤدي واجبه كامــلا ...

ومن هنا اقول :

ـ يا شعب فلسطين تحرك !

هذه دعوة أكثر منها استغاثة ، اكثر منها حديث عاطفة ! فبالرغم من كل شيء أقول لشعب فلسطين : اين انت ؟ اين حقيقتك ؟ اين وجودك ؟

وكيانك اين كيانك ؟ وماذا تريد ؟ ومن ينطق باسمك ، وأين تنظيماتك ؟ وفي الأمم المتحدة من ينوب عنك ؟ وأي رابطة تجمعك بأخيك .. بابن عمك .. بالدول العربية.. بالدول الاجنبية .. بالعالم الكبير.. بمن حولك ؟؟

أسوق اليك في كتاب عودتك حديثاً ينبئك بأن هناك قراراً عربياً عاماً شاملاً ينادي بتنظيمك ، واحياء كيانك ، ومقاومة النشاط الصهيوني الذي اغتال بلدك ، واعادة نفسية المحارب الى قلبك ، وتفكيرك وعزيمتك ..

وأقول لك إن الدولة التي كان لها الفضل في اقتراح هذا القرار هي الدولة التي اعتدت ان ترى فيها نفسك ، وأملك ، وبلدك .!

واقول لك ، ان القرار المذكور التي أوصت به الجامعة العربية ، الدول الاعضاء، بها لم يكن سوى تجاوب معك وصدى لمطالبك ، وتلبية لإحساسك وجواب على ما تريده انت .. بالذات . وأقول لك .. ان اللجنة السياسية عندمااوصت الدول العربية بالموافقة على عقد مؤتمر عربي على مستوى عال غرضه تنسيق تلك المواضيع ، فهي انما توخت مصلحتك أولاً ، وبلدك أولا ، ومستقبل أولادك أولا ..

فقد بلغني كما بلغك مزاعم اليهود عني وعنك بأن الكيان الفلسطيني ، كياني وكيانك ، قد زال وتلاشى .. واندثـــر !

وقد بلغني كما بلغك ما يقوله الأعداء عني وعنك .! يقولون اين هو الشعب الفلسطيني ؟ اين هي القومية العربية الفلسطينية ؟ نحن لا نعرف أن هناك شيئاً اسمه شعب فلسطين .. نحن نعرف ان هناك « لاجئين » من فلسطين يسكنون الدول العربية .. بعضهم اكتسب جنسية الدولة التي يعيش فيها ، وبعضهم الآخر ما زال تحت الخيام ...!

وانت تعرف ، ان بعض اخوانك قد هاجر الى امريكا او الى كندا .! او الى البرازيل .. وبعض اخوانك يحمل جنسية الدولة التي يعيش فيها .. ولكن ، لا هذا ، ولا ذاك ، يعني ان جنسيتك انت .. جنسية الفلسطيني قد زالت أو تلاشت .. او اندثرت ..

والمليون لاجيء ، ما زالوا فلسطينيين ..

والمائة ألف منهم ، في لبنان ، ما زالوا فلسطينيين ..

والساكن منهم في قطاع غزة ما زال فلسطينياً ..

حتى الذي يعمل تحت شمس الكويت .. والبحرين .. وقطر ..

حتى الذي يوصل انابيب النفط على رمال السعودية ..

حتى الذي شهد اهوال الشيوعية في العراق ..

حتى الذي تعرض الى نقمة الحاكمين ، والاستعمار ، والبلاء الاحمر ، ما زال فلسطينياً .. ابن فلسطيني .!

ماذا خسرنا ؟ لا شيء .! اما اذا استسلمنا لمزاعم عدونا وبقينا كما نحن متفرقين بلا لواء ، مبعثرين بلا هدف ، نعيش لليوم ونخشى الغد ، ونكره الاحداث ، ونجهل المصير .. خسرنا ، كل شيء .!

هذا هو الدافع لكتابة هذه السطور اليك ..

ففي عام ١٨٩٧ ، وقف أبو الصهيونية « هرتزل » وصاح في يهود العالم : « انتظموا .. انتظموا .. انتظموا » .. وانتظم يهود العالم .. وأصبح لشذاذ الآفاق دولة وكيان وجيش ووطن .. ورئيس جمهورية وبرلمان !

ونحن ؟ ..

انتظموا ايها الفلسطينيون .. انتظموا .. انتظموا ! في نظامكم وانتظامكم سد أمام تيارات الشرق تيارات الغرب التي بدأت تغزو صفوفكم .!

في تجديد معنى كيانكم ، حياة لوجودكم كله .!

في توحيد صفوفكم بعث لحياتكم .!

جددوا الخطوط التي تبنون عليها يومكم ..

اخلقوا الروابط التي تشعر كل فرد منكم بأنه مسؤول .. وان عليه واجباً .. وان وراءه عملاً طويلاً فريدا ..

ايها الفلسطينيون .. تحركوا !

اجعلوا من النكبة موعداً لكم مع فجر جديد يبشركم بالعودة الى بلادكم .

واسألوا انفسكم : من يعيدنا الى الوطن ؟

واجيبوا : انتم وحدكم ، لا سواكم .!

ــ من يحمل الامم المتحدة على تنفيذ قراراتها كخطوة واحدة في طريق طويــل ..؟

ــ انتم وحدكم .!

ــ من يحافظ لنا على قوميتنا ، وكياننا ؟

ــ انتم وحدكم .!

ــ من يرد على أعدائنا ويثبت للدنيا اننا اقوى من الموت .. ومن الجوع ..

ومن النكبات ..؟

ـ انتم وحدكم .!

أيها الفلسطينيون . .

ان بقاءكم بلا تنظيم هو العدم لكم .. هو الشقاء .. هو أقصى أماني العـــدو ..

تحركوا ..

امشوا ..

انتظموا ..

اسألوا انفسكم : من نحن ؟ أين نحن ؟ ماذا نريد ..؟

ثم اقطعوا الخطوة الاولى في طريق الأمل وخففوا بها احزانكم ، بعد النكبة .. في حياة جعلتها النكبة كلها .. نكبة !

ايها الفلسطينيون . .

لقد حان الوقت ..!

أنظروا كيف نظم عدوكم صفوفه .. وقاوموه عن طريق تنظيم صفوفكم بصورة اقوى واحسن مما نظم « هو » صفوفه ...

فاذا جاز لنا ان نتعظ من الدرس الذي أخذناه في وطننا ، فقد جاز لنا ايضاً ان ننظم أنفسنا على المنوال الذي سار عليه أعداؤنا منذ مطلع هذا القرن الى اليوم ! فقد خلق العدو لنفسه « وكالة » ترعى شؤونه وجعل مركزها في القدس ...

وقد اشتملت هذه الوكالة على ثلاث وعشرين دائرة ، كل دائرة فيها تشتمل على دوائر فرعية أخرى .. منها مثلاً : ـ الدائرة المالية .. والدعاية والمهاجرة .. والدائرة الفنية .. والزراعية .. والمستعمرات . والمستعمرات الخاصة .. والشركات .. والشباب . والتربية . والثقافة . والادارة العامة . والمحفوظات الصهيونية . ودائرة فرع تل ابيب ، ودائرة فرع حيفا ، كما ان هناك المؤتمر الصهيوني الدائم في نيويورك ويضم ثمانية أعضاء تنتخبهم

الهيئات الصهيونية المختلفة .. ولهذا المؤتمر بالاضافة الى أعضائه الثمانية عدة دوائر تهتم بشؤون اليهود في أمريكا اللاتينية ، وبالدعاية ، والصحة ، والثقافة ، والتربية .. كما أن هناك صندوقاً صهيونياً خاصاً اسمه الصندوق القومي اليهودي المعروف « بالكيرن كايمت » وهناك الصندوق الصهيوني المتحد المعروف « بالكيرن هايسود » ويضم ممثلين عن دول اوروبا وشمال افريقيا والولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية .

وهناك « الهيئة الدينية اليهودية » الرئيسية التي تشرف على شؤون اليهود الدينية في العالم . وكل هذه المؤسسات أو الجمعيات أو الوكالات ما هي الا معنى من معاني التصميم الصهيوني على أن ينظم نفسه ، ويربط أهله ، ويحشد أفراده ، قبل — وبعد — معركة كفاحه من أجل الاستيلاء على فلسطين ! ويجب أن يكون مفهوماً أن النظام لا يحارب الا بنظام مثله . وان التعصب لا يقاوم الا بتعصب مثله . وان الروابط القوية التي تشد اليهودي الى اليهودي لا سبيل الى التغلب عليها الا بروابط قوية تشد العربي الى العربي . فقد استطاعت الوكالة « اليهودية » ان تساهم بمجهودها في تحويل العصابة الى دولة ، وعلينا ان نساهم في تحويل المأساة الفلسطينية الى نصر ..

ولكن العدو لم يكتف بكل ذلك .. لم يكتف بالتنظيم وحده !

لقد نقل العدو قضيته الى كل مكان في العالم .. وراح يحاول دائماً ان يكون على مقربة من كل مؤتمر أو كل جلسة او كل منظمة .. كانت القضية على جدول أعمالها .. منذ بداية الحرب العالمية الاولى حتى قيام اسرائيل ..

فما ان وصل « فيصل الاول » الى بريطانيا في ديسمبر عام ١٩١٨ حتى وجد .. « حاييم وايزمان » .. زعيم الصهيونية بانتظاره هناك قبل ان يكمل « فيصل » رحلته الى مؤتمر الصلح بباريس .! وراح يحاول اقناعه باقامة « جبهة » موحدة من العرب واليهود تظهر أمام مؤتمر الصلح وتطالب بحقوق العرب ، واليهود ، معاً .!!

وعندما بدأ مؤتمر الصلح جلساته ، كانت المنظمة الصهيونية قد تقدمت

اليه بمذكرة مطولة تطالب بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود ..

وفي ابريل ١٩١٩ كانت الاتصالات تدور بين المنظمات الصهيونية والحكومة البريطانية من اجل اعداد « مسودة » نصوص الانتداب البريطاني على فلسطين ..

ولم تكد الحرب الكبرى تضع أوزارها حتى كانت اول « بعثة صهيونية » منتدبة من المؤتمر الصهيوني ، تسافر الى فلسطين ، وتحمل معها « حــق » التفتيش على حالة اليهود الموجودين هناك ، والاضرار التي لحقت بهم كما تتصل بالحكومة البريطانية وتعمل كهيئة استشارية لدى الحكومة المذكورة برئاسة وايزمان وعضوية ثلاثة يهود بريطانيين ، ويهودي فرنسي ، ويهوديين ايطاليين ، يضاف اليهم المستر « اورمبسي غور » كمستشار !

وفي ديسمبر عام ١٩١٨ كان المؤتمر الصهيوني يجد لنفسه مكاناً في فلسطين ليجتمع ويبحث في قانون « الحكومة المؤقتة لفلسطين » والمطالبة بالاعتراف ان فلسطين وطن قومي لليهود ..

وبعد شهر واحد .. كانت البعثة الصهيونية قد اقامت لنفسها عدة دوائر وعدة فروع ، كل دائرة او فرع منها يختص بكل فرع أو دائرة من فروع الحكومة ودوائــرها .

وفي ابريل ١٩١٩ شكل « فلادمير جابوتنسكي » اول منظمة صهيونية « للدفاع عن النفس » امام الثورات العربية التي بدأت تظهر في القرى والمدن في فلسطين . !

وفي اول يوليو عام ١٩٢٠ .. كان أول مندوب سام بريطاني يتولى مهام الوظيفة في فلسطين .. وكان يهودياً . !

وفي « جنيف » .. مقر عصبة الأمم .. ومصير التقارير القادمة من القدس الى لجنة « الانتدابات الدائمة » اقام اليهود اكبر مكتب سياسي في اوروبا ، في عام ١٩٢٥ .. !

ذلك « كان » بعض مواقف الصهيونية ونشاطها خلال ، وفي اعقاب

الحرب العالمية الأولى ...

وإذا كانت الحرب العالمية الاولى هي الباب الذي دخلت منه انكلترا الى فلسطين .. فان الحرب العالمية الثانية هي الباب الذي خرجت منه انكلترا من فلسطين .! وفي الحرب الاولى انشأت انكلترا بدخولها فلسطين الوطن القومي .. وفي الحرب الثانية انشأت انكلترا بتركها فلسطين ، الدولة اليهودية !

في هذه المرحلة بدأت الصهيونية نشاطها « لقتل » الكتاب الابيض وتهجير اليهود على أوسع مدى الى فلسطين ..

وفي مايو ١٩٤٢ ، والحرب ما زالت في أوج اشتعالها كان اليهود يعقدون اجتماعهم المعروف في فندق « بلتمور » في نيويورك ويضمون اليه يهود امريكا ، ويطالبون بقراراته بوجوب فتح أبواب فلسطين امام الهجرة اليهودية وتحويل فلسطين الى «كومنولث» يهودي ..

وفي سبتمبر عام ١٩٤٤ ، استطاع اليهود ان « يخلقوا » اول فرقة عسكرية « يهودية » تساهم في صفوف الحلفاء ، وتشترك اشتراكاً فعلياً في المعارك الحربية .. ويكون لها علمها الخاص ، وشاراتها العسكرية الخاصة ..

وفي مارس ، ١٩٤٤، استطاع اليهود اقناع الكونجرس الامريكي بالموافقة على مشروع قرار يطالب الحكومة الامريكية بالعمل على « قتل » الكتاب الابيض وانشاء دولة يهودية في فلسطين ..

وفي ٢٢ مايو عام ١٩٤٥ ، ولم يمض على يوم الهدنة سوى اسبوعين تقدمت الوكالة اليهودية الى الحكومة البريطانية بمذكرة مطولة ضمنتها المطالبة بتنفيذ مقررات مؤتمر « بلتمور » والتي تتلخص في اعلان فلسطين —كلها — لا بعضها ، دولة يهودية .. مع وضع مسؤولية الهجرة اليهودية الى فلسطين في يد الوكالة اليهودية ومنحها قرضاً دولياً لمساعدتها في تهجير واستقبال أول مليون مهاجر يهودي الى فلسطين ..

وفي المؤتمر العمالي لحزب « العمال » البريطاني في عام ١٩٤٤ استطاع اليهود التأثير على اللجنة التنفيذية للحزب المذكور واقناع اعضائها بالموافقة

على اتخاذ قرار يوصي بانشاء دولة يهودية في فلسطين .. وقد وقف وايزمان في المؤتمر الصهيوني الدولي الذي عقد في لندن في ذلك الوقت وأعلن عن إيمانه بأن الحكومة الحالية الجديدة ستعمل على تنفيذ قرارها المذكور ..

وفي نفس الوقت ، كان هناك وفد صهيوني برئاسة « بن‌غوريون » يزور لندن ويدق باب المستر « هول » وزير المستعمرات الجديد ، ويطلب منه ضرورة اصدار بطاقات الهجرة لمائة ألف يهودي جديد ، واعلان فلسطين دولة يهوديـــة ..

وفي نفس الوقت ، كان الرئيس الامريكي « هاري ترومان » يتسلم عريضة موقعاً عليها من حكام ٣٨ ولاية امريكية من مجموع الثمانية والاربعين ولاية ، يطالبونه فيها بضرورة تحويل فلسطين الى دولة يهودية .. « في اقرب فرصة ممكنة » .. وقد قام « ترومان » بتحويل نسخة من هذه العريضة العجيبة الى المستر « اتلي » رئيس الوزارة البريطانية مع مذكرة أمريكية تأييداً لمضمون هذه العريضة ، ومعناها ، وروحها .. وهذا بالذات ما ارغم الحكومة البريطانية على ان تعلن بلسان وزير خارجيتها المستر بيفن في ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ ، وفي مجلس العموم على موافقتها للاشتراك مع الحكومة الامريكية في لجنة تحقيق انجلو — امريكية تسعى للوصول الى حل في موضوع هجرة اليهود الى فلسطين على ضوء الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في البلاد في ذلك الوقت ..

وهكذا انتصر اليهود — لأول مرة — في الزج بالعنصر « الأمريكي » الرسمي الجديد ، في قضية سياسية كانت حتى ذلك اليوم محصورة بين العرب واليهود والانجليز ، وحدهم .. وبالتالي ، ضمان التأييد الامريكي الذي يخضع بكل دعايته وأبواقه وصحافته وعاطفته للناحية الصهيونية .

نريد — من وراء سرد هذه الحقائق — ان نقول بأن العدو الذي وضع مخططاً للاستيلاء على فلسطين ، لم يحاول يوماً ان ينسى هذا المخطط ، او يتجاهله ، او يخفف من العمل لتحقيقه ، او يساوم عليه ، او ينشغل عنه

بأمور أخرى ..

وبالتالي ، على من يريد استرداد فلسطين من يد العدو ان يخلص لمفهوم « مخطط » العودة كل الاخلاص ، وان يتابع العمل من أجله ، وملاحقته ، وكسب الأنصار في سبيله ، وتكييف السياسات والآراء حسب مصلحته ، وترقب الأمكنة والمؤتمرات التي تؤثر عليه ، والانطلاق الى العمل المتصل المتواصل السريع من أجل الوصول به الى مرحلة التنفيذ والنجاح ..

ان تنظيم أنفسنا جزء لا يتجزأ من عملية الاخلاص لاستعادة الحق الضائع ..

التنظيم الذي يقول لنا : من نحن .؟

والتنظيم الذي يقول لنا : اين نحن .؟

والتنظيم الذي يقول لنا : من معنا ومن علينا .؟!

والتنظيم الذي يفرض لنا صوتاً ورأيا وفكرة في كل مؤتمر سياسي ، وكل حديث عسكري ، وكل موضوع اقتصادي يتعلق بمصير الشرق الأوسط من قريب أو من بعيـد ..

ان الوكالة اليهودية التي انبثقت من « الجمعية الصهيونية » المؤسسة في مدينة « بال » عام ١٨٧٩ ، والتي كان لها قبل نهاية الانتداب ومـا زال بعد قيام اسرائيل — فروع رئيسية في اكثر من « خمسين » بلداً .. مـن بلدان العالم .. والتي تسير على المبدأ الانتخابي التمثيلي لليهودية العالمية بحيث يشترك كل يهودي في عملية انتخاب نصف أعضاء هذه الوكالة .. نقول هذه الوكالة قد استطاعت أن تتحول — عن طريق النظام والعمل — من عصابة الى دولـة ..

وعلينا — بالنظام والعمل — ان نعود بالدولة الى حالها الاول : عصابة دولية ، تقتل وتعتدي وتنسف ، وتعمل على تهريب اليهود الى فلسطين .. ولكنها لا تستطيع ان تفوز بالوطن العربي الغالي ، وتسرقه من اهله من جديد ..

وبعد هذا — اذا اطلعنا على تنظيمات العدو — عدا الوكالة اليهودية ومتفرعاتها ، وعدا المؤتمر الصهيوني العالمي وفروعه — ادركنا مدى ما يفرضه

علينا العمل الجدي من سهر ، وتعب ، ومثابرة ، وروح تعاونية ..

واذا كنا نؤمن بفائدة القول المعروف « أعرف عدوك » ، فان علينا ان نعرف ما يلي بالنسبة للاسلوب التنظيمي الذي يسير عليه العدو في بناء دولته ..

ان قيام الدولة اليهودية ، لم ينه — مثلاً — اعمال « الصندوق القومي اليهودي » الذي اسكن — قبل قيام الدولة — مائة وخمسة وعشرين الف مهاجر يهودي ، واسكن — بعد قيام الدولة — ستمائة الف مهاجر يهودي ! ! والذي شيد « ٦٣٠ » مستعمرة تمثل ٨٥٪ من المستعمرات الريفية في اسرائيل ..!

وقيام هذه « الدولة » لم يضع نهاية لمنظمة « الهستدروت » العمالية التي تمثل ٥٧ ٪ من شعب اسرائيل .. ولا لمنظمة « اكلرين هايسود » لبناء الحياة الزراعية عند اليهود وتوفير اسباب الهجرة والمعيشة والمساعدات لهم .!

أريد أن أقول إن قيام دولة اسرائيل لم يمنع من « استمرار » وجود المؤسسات والهيئات والمشاريع والمنظمات الخاصة والتعاونية والعامة ، التي ساهمت في بناء الوطن القومي اليهودي ، ثم الدولة اليهودية ، لكي تستمر في عملها ..

وبالتالي ، ان انعدام وجود الدولة « الفلسطينية العربية » يجب الا يحول دون وجود منظمات وهيئات ومشاريع ومؤسسات ، تعمل من أجل استعادة الوطن السليب ، الى أن يأتي الوقت الذي تقوم فيه دولة عربية فلسطينية مسؤولة وتتسلم زمام العمل أو تترك هذه المنظمات أن تستمر في مجهودها جنباً الى جنب مع المجهود الرسمي الحكومي العربي ..

ترى ، هل انا بحاجة الى تفسير ..؟

أو تفصيل ..؟

أو أمثلة ..؟

وبعد هذا ..؟

ماذا يمنع أن يقرر مجلس الجامعة العربية تشكيل لجنة عربية « حيادية » مؤلفة من « المغرب » و « الجزائر » و « ليبيا » ويعهد اليها بمهمة الإشراف

على عملية انتخاب واسعة يقوم بها الفلسطينيون – اللاجىء منهم والمقيم – في مختلف انحاء الوطن العربي ، وفي المخيمات ، من أجل خلق « مجلس أعلى وطني فلسطيني » مكون من خمسين عضواً – مثلاً – وتنبثق منه حكومة فلسطينية ، أو « جبهة فلسطينية » تمسك زمام العمل وتقوم بمسؤولياتها كاملـــة ؟.

ماذا يمنع العرب من تنفيذ هذه العملية الواضحة الصريحة ، التي تضع الفلسطينيين امام مسؤولياتهم ، وجهاً لوجه ..؟

هل يعارض الاردن – كما هو الآن – بمثل هذه الخطة ..؟ إن الاردن لا يستطيع ، ولا يجرؤ ان يمنع الفلسطينيين من ممارسة حقهم في عبور الطريق التي تعيدهم الى بلدهم .. وكذلك فان « الاردن » ليس « كل » فلسطين ، والفلسطينيون الموجودون في الأردن ليسوا كل الفلسطينيين .. وعندما يجد الاردن – نفسه – امام ضغط عربي شامل يهدف الى تنظيم الفلسطينيين بصورة حيادية وصريحة ونزيهة ، لا يجد في نفسه ، ولا في حكامه الجرأة على معارضة مثل هذا الضغط ، والا كان – نفسه – متهماً بالتقصير والخيانة في قضية « مقدسة » ، كقضية استعادة فلسطين .

وابادر واقول ان تنفيذ مثل هذه العملية الكبرى في خلق « المجلس الوطني الفلسطيني الأعلى » يجب ان تجري بعيدة تماماً عن أية تأثيرات أو ادعاءات او دعايات عربية محلية ، لأية دولة عربية .. دون استثناء .

كما ان تنفيذ مثل هذه العملية « يفرض » على كل حكومة عربية أن تفتح أبوابها – بحرية تامة – لأي فلسطيني يود الدخول الى أي بقعة مـــن الوطن العربي لزيارة اخوانه اللاجئين الفلسطينيين هناك ..

كما ان تنفيذ مثل هذه العملية يتطلب التجاوب الصحيح المخلص مع آمال كل فلسطيني ، وآلامه ، بوجوب خلق كيان « جديد » ، « قادر » ، « صحيح » ، « حيادي » ، « أمين » ، « حر » ، « ثوري » ، ليس فيه « شيء » من رواسب الأمس ، ولا شوائب الماضي .. ليس فيه أحقاد ..

ولا أهواء .. ولا أنانية .. ولا عمى .. ولا غرض !

فقد حان الوقت ــ أن ننتظم ..

وليس أحب الى قلوب الأعداء ، والمستعمرين ، من أن نبقى «كما نحن » .. مشردين .. مفتتين .. سلعة معروضة للمتاجرة .. وجنازة تستجدي الدموع .. ومعرض يدعو الزوار .. ومناظر توحي بالشعر والخيال .!

وبعد أن يقوم هذا المجلس الوطني الأعلى ..

وبعد أن تنبثق منه الحكومة الفلسطينية العربية ..

تبادر هذه الحكومة وتقرر ما يلي :

أولاً ــ ان تقسيم فلسطين وما تبعه من تطورات وأوضاع عمل خاطىء لا يقره عرب فلسطين ، ولا يعترفون بشرعيته ..

ثانياً ــ ان الأسس التاريخية ، والجغرافية ، والدستورية ، والحقوقية ، تعترف للشعب الفلسطيني بملكيته ، و « بسيادته » لأرض فلسطين .

ثالثاً ــ ان الشعب الفلسطيني ليس مسؤولاً عن المجازر الهتلرية ضد اليهود ، وبالتالي ، ليس مسؤولاً لكي يتحمل نتائجها .

رابعاً ــ ان فلسطين بعد مرور ١٥ سنة على التقسيم قد أثبتت أن قيام اسرائيل كان أعجز من أن يحل المشكلة اليهودية العالمية .. وبالتالي ، ان اسرائيل لم تستطع أن تكون المكان ، أو الدولة أو الملجأ ، أو المأمن ، أو الحل الاخير لليهود ومشاكلهم ..

خامساً ــ ان قيام اسرائيل في قلب الوطن العربي كان سبباً في خلق المشاكل وتوتر الموقف العام في أنحاء الشرق الأوسط كله ، وعلى عرب فلسطين مسؤولية « ازالة » هذا السبب تجاه اخوانهم العرب في الوطن العربي .

سادساً ــ ان وجود اسرائيل سيبقى حجر عثرة في طريق تقدمهم ، وتطورهم وسعادتهم ، واطمئنانهم ، وبالتالي ، ان في عودة الامور الى ما كانت عليه قبل التقسيم ليس في مصلحة الشعب الفلسطيني وحده ، بل هو ضرورة للشعب العربي كلــه ..

سابعاً ـ اثبتت الامم المتحدة بعد مرور ١٥ سنة على التقسيم وعلى مأساة التشرد العربي الفلسطيني الواسع ، أنها عاجزة ـ رغم كل جهودها ، من أن تجد الحل العادل للقضية الفلسطينية ..

ثامناً ـ يدرك عرب فلسطين ـ مع الشعور بالتقدير التام والاعتزاز الصادق ، ان أوضاع الدول العربية وما ترتبط به من علاقات دولية ومسؤوليات تجاه الأمن الدولي والمؤسسات الدولية والمواثيق .. لا تساعد كثيراً على أن تدفع بهذه الدول الى خضم المعركة لاستعادة الوطن السليب . ولهذا ، فهم ـ مع كل امتنان واعتراف بالفضل لإخوانهم في الدول العربية ـ يقررون المبدأ في حرب التحرير ، وحدهم .. متوكلين على الله ، وعلى أنفسهم .

تاسعاً ـ يرفض عرب فلسطين كل حل لقضيتهم يجعل منها قضية لاجيء أو محتاج أو معوز أو مستوطن .. ان عرب فلسطين يفهمون بمعنى العودة أن لا يعودوا هم الى فلسطين تحت سيادة العدو ، بل أن تعود اليهم فلسطين تحت سيادتهم .. هم !

عاشراً ـ تقرر الحكومة الفلسطينية العربية المنبثقة عن ارادة الشعب الفلسطيني ـ لاجئة ومقيمة ومغتربة ـ البدء في حرب التحرير ، على أن تترك لخبرائها ومستشاريها تقرير نوع هذه الحرب ، وطبيعتها ، في مراحلها الاولى ..

أيها العرب ..

جاء الى سوريا ، سام وحام ويافث .. واستولى عليها الاشوري والفارسي والسلوقي والنبطي والروماني .. وبقيت سوريا .. عربية !

وجاء الى فلسطين الكلبي والصليبي وهولاكو والعثماني .. وبقيت فلسطين عربيـــة !

وحكم الفرنسيون أرض الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ ، وعادت الجزائر عربيـــة !

وبهذه العقيدة ، وهذا الأمل ، يخوض عرب فلسطين معركة تحرير فلسطين .! تماماً ، وبنفس الروح ونفس الخطة ، التي مضى بها « ديجول » عندما سقطت فرنسا .. و « تيتو » يوم سقطت يوغوسلافيا .. بل — وياللهوان — بنفس الخطة التي بدأتها عصابات العدو في أول مايو عام ١٩٤٥ .. على لسان عصابة « الارجون زفائي لومي » وباعتراف « مناحم بيجن » نفسه ، في الصفحة ١٧٧ و ١٧٨ من كتاب مذكراته .. عندما أرسل الى زعماء اليهود ، وأدبائهم ، وشخصياتهم ، ومفكريهم ، واحزابهم ، في جميع أنحاء العالم رسائل يطلب فيها اعلان مولد حكومة يهودية موقتة ومجلس يهودي وما يتبع ذلك من تشكيل قيادة عسكرية لتقود الثورة ، ومجلس اقتصادي لإعلان الاضراب العام ، ومجلس شؤون خارجية للاتصال بالهيئات الدولية ، ومجلس تشريعي لرسم دستور وانظمة تبنى عليها « الدولة اليهودية » .؟

أيها العرب ..

يجب أن نبدأ الآن .. خشية أن لا نقدر أن نبدأ أبداً ..

ويجب ان تنبثق النتيجة من ارادتنا نحن ، لا من ارادة سوانا ! نحن بحاجة الى الجامعة العربية — مثلاً — لكي ترعى عملية تبلور الصوت العربي الفلسطيني ، ولكن ليس من حق احد ان يفرض على الفلسطيني اي « صوت » لا يريده ولا يعبر عن ارادته ومشيئته . ان « نشاط » الجامعة العربية ، « الساذج » المفاجيء عام ١٩٤٥ — ١٩٤٦ في خلق كيان فلسطيني ، مستعجل ، ارتجالي ، لم يلبث بعد وجوده ان مشى الى العدم والانحلال .. كان من اسباب ابتعاد الشعب الفلسطيني عن مراكز القيادة في بلده ! إن ما رافق ذلك النشاط الكسيح عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٦ في اروقة فندق « الملك داوود » بالقدس ، وعلى يد وفد الجامعة العربية يومذاك ، كان من اسباب التمهيد الى .. البلبلة .. والقلق ، والضيق ، وتفتت القوى ، وانقسام الصف العربي ! وان البرقيات — مئات وآلاف البرقيات — التي تسلمتها الجامعة العربية في ذلك العام احتجاجاً

على بهلوانية وفدها الى احزاب فلسطين ، لتشهد وتؤكد صدق هـذا الكلام ...

أيها الفلسطيني ..

عليك ان تواجه – بتنظيمك – معركة .. مصيرك !

فاذا نظمت صفوفك ، عجز عـدوك من أن يتهمك او يتهم قيادتك بالاقطاعية ، او القبلية ، أو انك – انت بالذات – محكوم من مجموعة من العائلات ، او حفنة من « الأفندية » ، او قليل من الاقطاعيين .

اذا نظمت صفوفك ، اثبتّ للعالم كله – بغض النظر عن السبب الذي من اجله قد نظمت صفوفك ، أنك انسان تحترم ارادة الآخرين ، وانك تكره الاستبداد والانفراد بالرأي ، وانك ديمقراطي تساير روح العصر الـذي تعيش فيه ..

اذا نظمت صفوفك ، تكون قد سرقت من عدوك مزاعمه الاسطورية الكاذبة بانه وحده صاحب الدولة الديمقراطية الوحيدة في هذا الشرق .!

اذا نظمت صفوفك ، تنفي عن نفسك تهمة العجز .. والاقليمية .. والمحلية .. والضعف في نقل صوتك الى العالم ! يقول السر « رونالد ستورس » في كتابه : « شرقيات » : **Orientations**

« الصهيونية حركة عالمية » . العروبة حركة محلية ! وبالرغم مما يقال إن اللغة العربية تمشي معك من الهند الى الاطلنطي ، الا ان العروبة بمزاياها ، والعروبة بنقائصها .. العروبة بحقوقها والعروبة بآلامها ما زالت محلية في طبيعتها . ومن هنا كان شعور عرب فلسطين بالنقص وهم يحاولون تقديم قضيتهم الى العالم . كانوا يشعرون بعجزهم عن تنظيم الدعوة لأنفسهم . وكانوا يعلمون ان اخوة لهم قد سافروا الى الشرق والى الهند وعجزوا عن أن يؤثروا في أي جزء من الرأي العام في تلك البلاد . ولذا كان حظه في الانتصار على خصمه كحظ « الدراويش » في الانتصار على رشاشات « كتشنر »

في « امدرمان »! وبينما كان « المحافظون » الانكليز يميلون الى تأييد العرب كان « العمال » يريدون الصهيونية . ان كل العرب في العالم اعجز من ان يضمنوا لأي نائب بريطاني صوتاً إضافياً في منطقته الانتخابية . بل لعل العكس هو الصحيح عندما سألني ذات يوم احد مرشحي مجلس العموم عما اذا كانت حكومة فلسطين تسرع الخطى في تنفيذ الوطن القومي .. لأنه — حسب قوله — مسؤول في منطقته الانتخابية امام بضعة آلاف من اليهود، في الوقت الذي ليس في تلك المنطقة .. عربي واحد[1] !

---

١ — كتاب « ستورس » صفحة ٤٢٢ « Storrs »

الوحدة العربية .. طريق طويل ..

الدول العربية المتحدة ، ميزانيتها ثلاثة آلاف مليون جنيه .. وثالث ميزانية في العالم !



.. شواطىء الوطن العربي الكبير طولها ثمانية آلاف وسبعمائة كيلومتر ..!



نحن ٨٥ مليون .. عربي !



ليس كأمة العرب تشرف على شواطىء اربعة بحار كبيرة ..



مساحة الوطن العربي الكبير احد عشر مليون كيلو متر مربع .. ثاني مساحة لدولة ما ، في العالم !

يجب ان نسعى للوحدة العربية

ما دامت العروبة هي الطابع الأساسي لنا كشعب ، فان الوحدة هي أمل هذا الشعب .. هي كيانه .. هي وجوده .. ومهما حاول الاستعمار أن يفتت وجود الشعب الفلسطيني كشعب عربي مثل غيره من الشعوب العربية .. ومهما حاولت الصهيونية ان تضلل نفسها وتضلل غيرها وتزعم أن الشعب الفلسطيني قد ذاب في كيان غيره من شعوب الأرض ، عربية كانت أم غير عربية .. ومهما حاول الزمن أن يقسو على هذا الشعب ويضاعف من آلامه وجروحه .. فان ذلك كله لن يغير من الحقيقة الكبرى شيئاً .. اننا عرب .. وسنبقى عرباً .. يربطنا الكيان العربي بكل روابطه .. وتشدنا الارض الطيبة .. أرض آبائنا وأجدادنا .. بكل قوتها ..

من هنا ، نصل الى النتيجة الحتمية القائلة بأن الفلسطيني هو عربي ، وأنه بسبب ذلك ، بسبب قوميته التي هي منه وهو منها ، مخلص في صميمه ، في سر وجوده ، لفكرة هي بعضه ، وهو بعضها ، اعني بها فكرة الوحدة العربيــة ..

واذا قيل لنا : لماذا وجب على الفلسطيني – كعربي – أن يخلص لفكرة الوحدة العربية كمبدأ أساسي .. نقول :

أولاً – لان الوحدة العربية هي تجسيد لفكرة القومية العربية وشعب فلسطين مؤمن بهذه الفكرة، ومخلص لها . الوحدة العربية هي التنفيذ العملي للقومية العربية . وشعب فلسطين يحب قوميته في جميع صورها .. ما كان منها نظرياً ، وما كان منها حقيقة واقعة .

ثانياً – لأن فكرة الوحدة العربية ، ككل فكرة حية ، تنطوي على الكثير من الروح الايجابية في التفكير وفي العمل . انها مظهر تقدمي يتجه الى الامام وينفي عن نفسه تهمة الجمود التي يحاول الأعداء إلصاقها بها .. وبنا ! وما دام شعب فلسطين ، شعباً متحركاً أبداً ، فلا بد لهذا الشعب من أن يؤيد بكل قطرة دم في عروقه ، فكرة الوحدة العربية لانها فكرة حية ، ايجابية متحركة مندفعة ، ثائـــرة ..

ثالثاً – لان الوحدة العربية بالنسبة الينا ، هي الاصل ، وأن كل ما جرى من تقسيم للعالم العربي ، وتجزئة للوطن الكبير ، انما هو نتيجة من عمل المستعمر لا تتفق مع حقيقتنا ، ولا يعبر عن آمالنا .

ولكي نفهم معنى هذا الكلام يجب أن ندرس حالنا وأوضاعنا كما كانت عليه قبل الانتداب البريطاني على فلسطين يوم كانت فلسطين جزءاً لا يتجزأ من سوريا والعراق لا حدود بينها وبين بغداد ودمشق ولا فواصل بين أهلها وأهل بردى والفرات .. ويوم كان الفلسطيني هو السوري .. بل هو العراقي .. يذهب الى كلية الحقوق في استانبول جنباً الى جنب مع أهل الشام وأهل العراق . ويدخل المدرسة الحربية التركية فيزامل أخوة له من حلب والموصل ودمشق والبصرة وكركوك ... ويشعر انه مثلهم ، من نفس بلادهم من أرض لا يفصلها عن أرضهم حد ولا قيد، وأسر عربية متصلة بعضها ببعض اتصال القرابة والتراحم ، ومشاعر عربية واحدة تنبع من ماضٍ عربي واحد . وحاضر عربي واحد ، وهدف عربي واحد . فالعربي القادم الى استانبول من « فلسطين » كان يعلم تماماً ان فلسطين لا وجود لها كدولة ذات كيان مستقل . انها جزء

من بلاد الشام ، و « القدس » سنجق وله حكم الولايات يشرف على « يافا » ويتبع أوامر استانبول .. أما بقية البلاد ، فحكمها حكم اية مدينة عربية أخرى في البلاد الشامية كلها .. من جبال طوروس .. الى دجلة .. الى الأردن .. نظامها واحد .. وقوانينها واحدة .. وحاضرها واحد .. وفي الجمعيات السياسية كان ابن « القدس » يجتمع تحت مبدأ سياسي واحد مع ابن « بغداد » و « حمص ». وفي الجمعيات السرية كان العمل السياسي السري المنتظم منوطاً بشباب عربي من مختلف الاقطار والانصار تربطه الارض الواحدة والجنس الواحد ، والحكم الواحد ، والظمأ الى الحرية الشاملة الواحدة . ففي نادي « المنتدى » مثلاً ، كان الفلسطيني عضواً عاملاً بجانب العضو السوري أو العضو البيروتي. وعندما نصب « جمال السفاح » أعمدة المشانق عام ١٩١٥ للصفوة الممتازة من شباب العرب ، وأبطالهم ورجال الحركة بينهم ، لم يفرق في أحكامه بين سوري وفلسطيني وعراقي بل هو أعدم ابن « بيروت » بعد أن اعدم الشهيد « حسن حماد » ابن نابلس .. كما أعدم ابن دمشق بعد أن أعدم الشهيد الدكتور « علي النشاشيبي » عضو حزب اللامركزية وابن القدس .. كما اعدم ابن بغداد بعد أن اعدم الشهيد « سليم عبدالهادي » عضو حزب اللامركزية وابن فلسطين .. وهكذا أبت الطبيعة التي جمعت ووحدت بين أجزاء الوطن العربي الكبير الا أن توحد بين ابنائه .. في حياتهم وفي مماتهم .. في جهادهم وفي استشهادهم .. في عظم العمل الدنيوي .. وعظم الخاتمة الخالـــدة ..

ومن هنا تتضح عظمة الحقيقة القائمة في أن فلسطين قبل أن يطأ أرضها الانتداب البريطاني ، لم تكن جزءاً من الوطن العربي الكبير فحسب ، ولم تكن قطعة من الامة العربية فقط ، وانما كانت تعمل كما يعمل غيرها للوحدة العربية ، وتجاهد كما يجاهد اخواتها للحرية ..

وان المدن الفلسطينية قد أعطت للجهاد العربي صفوة أبنائها ، وقدمت للاستشهاد زينة شبابها .. وانها كانت الينبوع المتدفق لكل فكرة عربية متمردة

منطلقة .. وانها لم تنسلخ عن أخواتها ، وتصبح « دولة » أو كياناً « مستقلاً ذاتياً » دولياً معترفاً به الا بعد الاحتلال البريطاني وفي المادة ٢٢ من صك الانتداب البريطاني الجائر بالذات !

ترى كيف اصبحنا بعد الانتداب ؟

ان فلسطين ، وبعد بدء الادارة البريطانية المستعمرة في صيف عام ١٩٢٠ وحتى بعد الاحتلال وبعد بدء الانتداب البريطاني على البلاد ، كانت الحركة العربية المنظمة في عام ١٩٢١ تستمد وجودها وقوتها من دمشق ، وكان زعماء العرب في فلسطين يستمدون التعاون العربي الاخوي المثمر من اخوانهم السوريين في دمشق وفي « جنيف » بسويسرا ، وكانت بواكير الجهاد العربي تأخذ صورة العمل « السوري ــ الفلسطيني » المشترك ضد الانتداب البريطاني على فلسطين ، وضد الانتداب الفرنسي على سوريا في وقت واحد . جنباً الى جنب . بقوة واحدة . وايمان واحد . وسواعد عربية مشتركة واحــدة .

وقد حاولت الادارة البريطانية الجديدة على فلسطين أن تنتزع فلسطين من أحضان « الفكرة » العربية بعد أن انتزعتها من أحضان « الأم » العربية .. وحاول الانجليز بسياستهم وقوانينهم وحكامهم قطع كل رابط سياسي أو فكري أو اقتصادي يربط الفلسطيني بأخيه العربي في الخارج . حاولوا قتل الروح العربية الفلسطينية التي تطالب بالعودة إلى الجسم العربي الواحد الكبير ، والعيش في حياة عربية واحدة . ولكن الفلسطيني الذي ثار ضد الانتداب ، وضد وعد بلفور ، وضد الهجرة الصهيونية إلى بلاده ، وضد بيع الأراضي لليهود . وضد الحلول البريطانية الجائرة لقضية فلسطين . هذا الفلسطيني كان يستمد في ثورته بل في سلسلة ثوراته كلها ، منذ صيف ١٩٢٠ حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، ومن دخول الجنرال « اللنبي » الى القدس حتى رحيل آخر مندوب بريطــاني عن فلسطين السير « اللن كنغهام » في مايو سنة ١٩٤٨ . كان العربي الفلسطيني في ثوراته يستمد قوته من قوة العرب

جميعاً. ويستوحي مبادءه وآراءه من مبادىء الأمة العربية بأسرها وينادي بعروبة فلسطين ولا ينسى أن ينادي بالوحدة العربية. بل انه نادى بعروبة بلاده ضمن إطار الوحدة العربية الشاملة لإيمانه بأن بقاء هذه العروبة منوط بقيام الوحدة الكبرى.

ومنذ أول عملية عربية منظمة تهدف الى قيام لجنة تمثيلية لفلسطين في حيفا في ديسمبر من عام ١٩٢٠ وما تبع ذلك من مطالبة العرب للدولة المنتدبة بإلغاء الانتداب وتشكيل حكومة عربية .. ثم تشكيل لجنة عربية من ٢٤ عضواً لتمثيل فلسطين والدفاع عن أهلها .. إلى أول ثورة عربية .. ثم إلى مجيء أول لجنة تحقيق بريطانية، وما تبع كل ذلك من ثورات، وانتفاضات، وتضحيات واضرابات، ولجان تحقيق، كان الطابع «العربي العام» يلازم الجهاد المستمر من أجل فلسطين. جهاد عربي حكومي. وجهاد عربي شعبي. جهاد ممثل بالدول العربية ورؤسائها وجهاد بالشعوب العربية ولجانها، وهيآتها ونواديها وأحزابها. جهاد دبلوماسي يتولاه حكام العرب. وجهاد على الصعيد العام تتولاه الشعوب العربية في الغيرة على فلسطين وفي التبرع لإنقاذ فلسطين، وإعلان الإضرابات العامة في يوم ٢ نوفمبر من كل عام حيث تعود ذكرى وعد بلفور المشؤوم وإرسال الاحتجاجات إلى مقر عصبة الأمم، وإرسال المتطوعين إلى ثورات ١٩٢٩ و ١٩٣٦ و ١٩٤٧ وتأليف الكتب عن القضية الفلسطينية والاشتراك في المؤتمرات الاسلامية والعربية التي دعت إليها فلسطين .. وتشكيل اللجان في القاهرة ولبنان وسوريا والسعودية وشمال افريقيا .. للدفاع عن «البراق» والدفاع عن «الأقصى» والمساهمة في «صندوق الأمة» والمساهمة في «صندوق إنقاذ الأراضي»، والمساهمة في المشاريع العربية، ورعاية المجاهدين والزعماء الفلسطينيين، والدخول إلى القضية الفلسطينية من أوسع أبوابها. أجل، فقد كان العرب في فلسطين يشعرون بأنهم جزء لا ينفصم من الامة العربية. كانوا يعلمون أن معظم أراضيهم في فلسطين تمتلكها أسر وعائلات تعيش خارج فلسطين، في لبنان وسوريا ومصر.

وكانوا يعلمون أنه في الوقت الذي كان اللورد بلفور يكتب إلى « صديقه » اللورد روتشلد ، ذلك الوعد المشؤوم بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، كان الملك حسين ملك الحجاز ، والمستر ماكماهون المندوب السامي البريطاني في « مصر » يتبادلان المذكرات السياسية التي تهدف الى ضمان حقوق عرب فلسطين في وطنهم بالرغم مما رافق تلك المذكرات المتبادلة بين الملك والمندوب من تفسيرات غامضة ، وتحفظات دبلوماسية جائرة ، وميول تهدف الى صالح اليهود أكثر مما تهدف إلى صالح العرب .

وكذلك كان العرب في فلسطين يعملون جاهدين على اشراك اخوانهم العرب في سائر الأقطار العربية بمسؤولية تقرير مصيرهم في فلسطين . بل لعل التاريخ يقرر بوضوح وصراحة انه ما من لجنة تحقيق بريطانية أو أنجلو – أمريكية ، أو دولية ، جاءت إلى فلسطين لتبحث عن حل لمشكلتها إلا وكانت حريصة على أن تزور كل العواصم العربية وتستمع إلى وجهة نظر جميع الحكام العرب تجاه القضية الفلسطينية .

فقد كان العرب في فلسطين يشعرون بأن قضيتهم لا تخصهم وحدهم ولا تؤثر على حياتهم وحدهم ، بل هي قضية كل العرب .. وأثرها يتسع فيشمل كل عربي ، وبالتالي فمن حق كل عربي أن يدلي تجاهها برأيه ، ويساهم فيها بجهده ، ويعلن ما يعتقده بشأن حاضرها ومستقبلها . فهي – قبل وعد بلفور والانتداب ، جزء من الدنيا العربية ، وهي بعد وعد بلفور والانتداب أشبه بمعركة موجهة ضد كل العرب ، لا ضد أهلها الفلسطينيين وحدهم .. ولهذا ، كان عرب فلسطين اشد الناس حرصاً على معرفة رأي اخوانهم العرب – خارج فلسطين – في قضية بلادهم أكثر من حرصهم على معرفة رأي زعمائهم ورجال القيادة بينهم . كان الفلسطيني العربي في فلسطين يسأل عن رأي القاهرة ورأي سوريا ورأي بغداد في قضية بلاده ، أكثر مما يسأل عن رأي القدس في هذه القضية ..

ولم يفرح لقيام الجامعة العربية شعب من شعوب العرب كما فرح لقيامها

شعب فلسطين .. ولم يصفق للثورة المصرية عام ١٩٥٢ وللثورة العراقية عام ١٩٥٨ ولاستقلال سوريا ولبنان ولقيام الوحدة بين القاهرة ودمشق ولاستقلال المغرب العربي ، ولجلاء الجيوش عن ليبيا وتونس ، كما صفق لها وأيدها ، وبنى عليها الآمال الكبار ، شعب فلسطين ..

كان شعب فلسطين يعيش بقلبه في كل عاصمة عربية .. كانت صور ملوك العرب وزعمائهم وقادتهم تزين كل بيت عربي في فلسطين .. كان عرب فلسطين يحفظون عن ظهر قلب اسم كل زعيم عربي ، وتفاصيل مبادئه وما يكره وما يحب — وما يقرأ وما يكتب .. وكانوا على علم تام بكل حركة فكرية أو أدبية أو سياسية في أي بلد عربي .. وكانوا في أشعارهم وأدبهم يتغنون بزعماء العرب خارج فلسطين أكثر مما يتغنون بزعمائهم .. وكانت أغانيهم الشعبية وأناشيدهم الحماسية كلها مستوردة من شعراء دمشق .. ومن مطربي حلب .. ومن موسيقى القاهرة .. فاذا أنشد سجين سوري في سجن دمشق — « يا ظلام السجن خيّم » — ردد الصوت كل سجين عربي في سجون عكا وحيفا والقدس وبيت‌لحم ...

هكذا عاش الشعب الفلسطيني قبل الانتداب ، وبعد الانتداب ، روحه من روح الأمة العربية ، وحقيقته من حقيقتها . وكم استقبلت شوارع القدس ويافا وحيفا من الشخصيات العربية والعشرات والمئات.. كم شهدت قاعات أندية غزة وصفد وعكا والناصرة وبيسان حفلات تكريم لكل زعيم زار الأرض المقدسة ، وحفلات تأبين لوجه عربي كريم غاب عن هذه الدنيا !
وكم تغنى ابراهيم طوقان ، وإسعاف النشاشيبي ، وأبوسلمى ، والسكاكيني ، وعادل جبر ، وفدوى طوقان ، وعبدالحليم محمد ، في محاضراتهم وقصائدهم بالهوى العربي الذي يملأ قلوبهم والفكرة العربية التي استبدت بعقولهم فتجاوبوا مع شعر شوقي وأدب الرافعي وعاطفة الرصافي وعظمة هنانو وجهاد سعد ، وكانوا — على مدى الأيام — القيثارة القوية التي تغني افراح العرب ، وتؤرخ احداثهم وتستقبل أهل العلم والفكر والشعر منهم ، وتحافظ على لغة القرآن

وتراث العربية وسط معارك الحياة والموت في بلادهم ..

إلى أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، واستولت الأيدي الصهيونية على مفاتيح السياسة الأنجلو – أمريكية في العالم ، وبدأت أمريكا تمهد لقيام اسرائيل ، وقامت الثورة الفلسطينية من نوفمبر ١٩٤٧ إلى مايو ١٩٤٨ واستشهد من استشهد وحارب من حارب ، ودقت الساعة الحاسمة بانتظار دخول الجيوش العربية الى الأرض الطيبة لتخليصها وإعادتها إلى أهلها ، وانتهت الحرب بمأساة .. وتطورت المأساة إلى نكبة ... وفارق الأهل بلادهم وأملاكهم وذكرياتهم ، وهاموا على وجوههم ينتظرون معركة النار ، ويتحرقون للجولة الثانية .. وحملوا قضيتهم في قلوبهم ومشوا إلى الدنيا الواسعة ...

ترى ، إذا كانت فلسطين جزءاً من الأمة العربية ، ومن الوطن العربي الكبير ، قبل أن تقع النكبة ، ويرتفع علم إسرائيل فوق رمالها وجبالها ، فهل يجوز أن تنسلخ فلسطين عن هذه الأمة ، أو تنفصل قضيتها عن المصير العربي ، بعد أن وقعت النكبة وزال عن الأرض الطيبة طابعها العربي !؟

وفلسطين التي عاشت تجاهد باسم كل عربي ، لكي لا تسقط ، يجب أن لا يتخلى عنها أيّ عربيّ ، بعد أن .. سقطت !

وإذا كانت الدعوة إلى الوحدة العربية ، أمر تفرضه « الآمال » العربية – قبل أن تقع النكبة ، فإن الدعوة إلى الوحدة العربية أمر يفرضه « الوجود » العربي بعد أن وقعت هذه النكبة ..!

ان الوحدة – معناها – عندنا كفلسطين ، وحدة المصير !

الوحدة معناها وحدة النضال العربي المشترك ، وفلسطيننا الغالية لا تعود إلينا ولا نعود إليها إلاّ بنضال عربي مشترك ..

تلك حقيقة ثابتة لا تقبل أي نقاش .. وحكمها صالح على مجرى الأمور في يومنا الحالي .. كما هي حقيقة ثابتة لا تقبل النقاش ، وحكمها صالح على مجرى الأمور في الماضي .! فالتاريخ تاريخنا واضح مكشوف ، يقول ،

عندما كنا موحدين كنا مستقلين ، ولم يحكمنا أحد إلاّ عندما تجزأنا واختلفنا. ففي الجاهلية كان منا الغساسنة في الشام تحت حماية الروم ، والمناذرة في العراق تحت حماية الفرس ، وكان عرب اليمن من أهلنا تحت سيطرة الأحباش ، فلما جاء الإسلام وحدنا وجمع شملنا وأنشأ لنا العز والمجد ، وبقينا مستقلين ما دامت وحدتنا قائمة ..

وعندما انفصلت الأندلس عن الجزء العربي من الشرق بدأ الأسبان في احتلالها .. وعندما حاولت الدويلات العربية في العراق والشام ومصر تفكر في كيانها دون كيان المجموعة الكبرى ، بدأ الأتراك في استعمارها ! كان التباعد والفرقة طريق الاستعمار إلينا . كان التفكك سبيل الأجنبي إلى بلادنا ، أردنا – أو أراد بعضنا أن ينعزل بنفسه عن إخوانه ، فجاء الاستعمار وسيطر عليـــه . !

وما يقال عن الأمس البعيد ، يقال مثله عن الأمس القريب ، وعن اليوم الحاضر وعن الغد القادم .. هذه الطاقة لا ضمان لحريتها ، ولا موئل لوجودها إلاّ بوحدتها ، وإذا كانت الوحدة للعربي لأي عربي ضماناً لوجوده وبقائه ، فإنها لنا نحن الفلسطينيين طريق بعثنا ، وناقوس صحوتنا ، ونار ثأرنا ، والدرب الذي سنمشي عليه في رحلة العودة القادمة ..

وإذا أردنا أن نفهم عظمة الحاجة إلى « وحدتنا » فما علينا إلاّ أن نتطلع إلى موقف العدو من هذه الوحدة ، فقد يكون من قبيل التكرار أن يقال بأن اسرائيل قد أعلنت موقفها الصريح الواضح في أية محاولة عربية تهدف إلى تحقيق أية وحدة بين أي قطرين عربيين . فاسرائيل قاومت الوحدة بين مصر وسوريا .. وما زالت تقاومها .. وما زالت تدس عليها .. وما زالت تشوه أخبارها .. وما زالت تتآمر ضد مقوماتها ..

وكذلك فإن اسرائيل تقاوم قيام أية وحدة تضم الأردن أو أية بقعة عربية إلى الوحدة العربية لان إسرائيل ترى في قيام مثل هذه الوحدة خطراً على وحدتها .

إن الوحدة بالنسبة لاسرائيل أشبه بعملية تطويق محكمة القوة لا منفذ لها منها ، ولا مخرج . انها – في نظر إسرائيل – الكماشة القاتلة لليهود !

ولم تبادر إسرائيل إلى مهاجمة « مصر عام ١٩٥٦ » والاشتراك مع فرنسا وبريطانيا في العدوان الثلاثي ، إلاّ نتيجة الضيق الذي أحست به اسرائيل من جراء انضمام الأردن يومذاك إلى ميثاق الضمان الجماعي ومعاهدة الدفاع المشترك مع سوريا ومصر والسعودية ، ثم شعور إسرائيل بأنها قد وقعت في المصيدة .

واجتمعت القوى العربية « الحقيقية » الضاربة تحيط بها من جميع الجهات..

وليس أنشط من إسرائيل ولا أحرص منها على القيام بأعمال الدس الخفي بين الدول العربية . لا لأن إسرائيل تكره الدول العربية فحسب بل لأنها تقاوم كل عملية تقارب بين أية دولة عربية وأخرى ..

إنها ترى في التقارب بين الدول العربية بداية العمل الجدي لوحدة هذه الدول ، والوحدة العربية ، بالنسبة لاسرائيل – هي أن تصبح إسرائيل أشبه بنقطة ماء في أوقيانوس كبير من العرب ...

إن الوحدة العربية تجعل إسرائيل جزيرة انعدمت فيها أسباب التوسع على حساب الآخرين .

إن الوحدة العربية بالنسبة لاسرائيل تعني وحدة الشعور العربي « وتجسيده » في قوة عربية واحدة تقف أمام العدو وجهاً لوجه .

إن الوحدة العربية في ذهن إسرائيل هي أن تنعدم كل خلافات عربية وتزول كل منازعات عربية ، ولا يبقى أمام العرب الا .. عدو واحد .. هو إسرائيل .

ولهذا ، كان بن‌غوريون – رئيس وزراء إسرائيل يهدد على الدوام « بحرية العمل » اذا انضمت الأردن الى العراق .. أو لبنان .. أو انضم أي بلد عربي « مجاور لاسرائيل » إلى أي بلد عربي آخر ..

ولهذا كانت « جولدا مايير » وزيرة خارجية إسرائيل – تهدد دوماً

بالاستيلاء على الضفة الغربية من الأردن أو الشرقية من بلادنا ، إذا وقع في الأردن أي تبديل في الوضع من شأنه أن يقضي على الكيان الأردني ويضمه الى أي بلد عربي ...

ولهذا كانت أمريكا ، حريصة على أن تدفع للأردن في كل عام خمسين مليون دولار ، وأن تعده بأسباب الحياة المصطنعة كي يبقى الأردن دولة مستقلة ذات كيان ، ولا يقع في يد أية وحدة عربية من شأنها أن تهدد وجود اسرائيل بالخطــر ..

هل عرفنا الآن كيف تفهم اسرائيل وجود الوحدة العربية ؟ إنها تفهمها خطراً مستمراً على حياتها وعلى شعبها ، ومشاريعها ، وخططها .

تفهمها القضاء المبرم على أهدافها ، ومشاريعها ، وخططها .

تفهمها الضربة القاضية على دسها ومؤامراتها وفسادها ونشاطها الاجرامي.

تفهمها السد الكبير في وجه نواياها التوسعية إلى الشرق والشمال والجنوب.

تفهما إمكانية عربية هائلة تفوق امكانياتها وتقضي عليها .

أيها الأخوة :

يقول « أبوخلدون ساطع الحصري » في الصفحة ١٤٨ من كتابه « العروبة أولاً » — ان تحقيق الوحدة العربية أصبح من واجب الواجبات علينا لأننا خسرنا حرب فلسطين ، ولأننا لم نحل دون قيام دولة إسرائيل التي تهدد مستقبلنا جميعاً في عقر دارنا وفي سرة حياتنــا .

ويستطرد أبو خلدون ساطع الحصري فيقول : « يجب أن نسرع في العمل لتحقيق الوحدة العربية لكي نستطيع أن نحارب في المستقبل صفاً واحداً كرجل واحد . » .

وينهي كلامه قائلاً : « إنني أكرر هنا ما كنت كتبته قبل نحو خمس سنوات إننا خسرنا حرب فلسطين لأننا كنا سبع دول .. فيجب أن نتعظ من دروس حرب فلسطين فنسعى لتكوين دولة عربية متحدة لكي لا نخسر حروب المستقبل .. » !

وما قاله «الحصري» في المناداة بالوحدة العربية كجواب ، وعـلاج للنكبة الفلسطينية ، قال مثله ، وكتبه ونادى به كل زعيم وكل مؤرخ وكل معلق ، وكل من رافق الظروف الدقيقة التي أحاطت بأسباب نتائج النكبة الفلسطينية .

فالاستعمار الذي خلق إسرائيل سيقاوم كل مشروع عربي يؤدي الى القضاء على اسرائيل .

ومن هنا ، كانت دعايات الاستعمار المتتابعة في محاربة الوحدة العربية، والدس بين الدول العربية وخلق الاشاعات عن نوايا بعض الدول العربية تجاه البعض الآخر .

بل هنا ، كان الاستعمار حريصاً على الاحتفاظ بكل الثروات على يد أصحابها وعدم تنقل «الامكانيات البترولية» الهائلة من مكانها الحالي على حدود إيران والخليج العربي ، إلى حدود إسرائيل .. ومن حيث هي في قلب آسيا إلى حيث يجب أن تكون .. على حدود العدو .. في قلب الشرق العربي ! !

لا أريد أن أنهي هذا الكلام قبل أن أنتقل إلى المعنى الرمزي من علاقـة بلدنا بالوحدة . فقد قلت لكم شيئاً عن المعنى المحسوس الذي يربط تاريخكم بالتاريخ العربي ، كما يربط — بالتالي — مستقبلكم بمستقبل هذا التاريخ ولكني أريد أن أتحدث الآن عن الواجب الملقى عليكم — أنتم — في وجوب نقل مشكلة بلدكم وامتكم من نطاقها الفلسطيني ، الاقليمي ، الضيق إلى مستواها العربي الشامل العام بحيث تصبح قضيتكم قضية كل عربي معكم . ويصبح حق العودة ليس لكم أنتم فقط ، بل لكل عربي غيركم ، ويصبح من حق كل عربي من التسعين مليون عربي أن يشعر بأن القضية الفلسطينية ، هي قضيته ، وإن من حتمه أن يثأر وأن ينادي — حتى ولو لم يبق على وجه الأرض سواه — سوى عربي واحد — : «إن فلسطين لي .. وإنني سأجاهد لأستعيدها .. وان لي فيها حقاً كبيراً .. » !

ولكي يتحقق هذا الهدف .. أعني لكي تتجسد القضية الفلسطينية في قلب كل عربي وتصبح جزءاً لا يتجزأ من تفكيره وحياته وآماله ويصبح من حق أي عربي في الجزائر أو في الجنوب العربي ، أو في حلب أو المغرب أو في حضرموت أن يطالب — ولو بعد سنين قصيرة أو طويلة — بحق العرب في فلسطين — وكأنه حقه .. يجب أن نترسم الخطى الصحيحة التي توصلنا إلى هذا الهدف .

وقبل أن أسرد هذه الخطى ، أريد أن أعود بالتاريخ قرابة عام إلى الوراء إلى شهر سبتمبر وشهر أكتوبر من عام ١٩٦١ ، عندما كان كل عربي يمسح من عينيه دموع انفصال الوحدة القائمة بين القاهرة ودمشق ..

ولا أريد في هذه السطور أن أنتقل بالقارىء من موضوع « العودة » ، إلى موضوع « الوحدة » ، وأن أفصل الخسائر « والأرباح » ، ان كان هناك أي أرباح — التي أسفرت عنها عملية الانفصال . انني هنا لا أكتب تاريخ الانفصال ، ولا قصته ، ولا حسابه ، وإنما أعالج أثر هذا الانفصال في صفوف الذين أرى فيهم اعداءً لي ومغتصبين لوطني ..

وعندما أنتهي من تفصيل مثل هذا الأثر ، أترك للقارىء حرية الحكم على موقف العدو من أية حركة وحدوية .. سابقة كانت أم لاحقة .

قالت جريدة الجويش أوبزرفر ، الصادرة في ٦ — ١٠ — ٦١ ما يلي: « لاحاجة لأمريكا ولابريطانيا في التفكير في أمر الاستقرار في الشرق الأوسط . لقد تم هذا الاستقرار فعلاً وإننا قادمون على عهد جديد في هذا الشرق بعد أن تحطمت الجمهورية العربية المتحدة .. » !

وفي نفس ذلك اليوم ، قالت جريدة « الجويش كرونيكل » لسان حال الصهيونية البريطانية : « إن الرضا يغمر إسرائيل بعد حركة الانفصال .. » ! ثم قالت بالحرف : « إن إسرائيل تأمل في أن تعيد الدول الأفريقية — بعد حركة الانفصال — النظر في موقفها « الودي » من القاهرة . » !

وكلام طويل .. كثير !

وفرحة عارمة ممزوجة بالشماتة والسرور ..

ورغبة ملحة في نسف أي جسر يربط بين أية عاصمة عربية ، وأية عاصمة عربية أخرى .! بل تأييد مطلق – وهذه هي الحقيقة بغض النظر عن أي شيء وعن كل شيء – لكل حركة انفصالية .. انطوائية .. انعزالية في أية بقعة من بقاع الشرق العربي .!

ولم يكد يمضي على الانفصال خمسة عشر يوماً ، حتى انطلق الهجوم الصهيوني ضد رئيس وكالة « غوث اللاجئين » ، وضد تقريره في الأمم المتحدة ، على أساس أن إسرائيل لن تقبل أن تعيد لاجئاً واحداً إلى بلده .. وإنها – أي إسرائيل – لا ترى حلاً لمشكلة اللاجئين سوى توطينهم في البلاد العربية التي لجأوا إليها .. وانها لم تعد ترى في قضية فلسطين سوى انها « بقايا » قضية لاجئين .!

وفي ١٦ أكتوبر ١٩٦١ ، أي بعد ثمانية عشر يوماً من الانفصال ، وقف « بن‌غوريون » في مجلس الكنيست الاسرائيلي وقال إنه يرفض « بلا تحفظ » أي قرار أو تقرير دولي ينادي بعودة اللاجيء إلى بلده ، أو التعويض عليه .. كما انه يرفض منح اللاجئين حرية الاختيار بين العودة أو التعويض ..

وفي منتصف شهر أكتوبر عام ١٩٦١ قالت جريدة « هارتس » الاسرائيلية في مقالها بعنوان : « حقيقة واقعة » :

« هناك حقيقة واقعة يجب أن نعلنها وهي أن هناك « عالماً عربياً » ولكن ليس هناك « أمة عربية » . إن للشعوب التي تتكلم اللغة العربية دوراً في القيم الحضارية والثقافية ، ولكن هذا كله « لا » يكفي لبلورة وحدة قومية تستطيع أن تقوم عليها دولة موحدة أو متحدة » !

أعود وأقول إنني لست هنا في معرض الهجوم على أحد ، أو الدفاع عن أحد .. وإنما أنا في معرض التأكيد بأن في أية وحدة عربية ، خلاصاً لنا ، وفي أي انفصال أو انعزال عربي ، ضربة لنا .!

أقول إننا – بطبيعتنا ، وتاريخنا ، وآلامنا ، طلاب وحدة . هكذا كنا .

وهكذا يجب أن نبقى ..

أقول ، آمين ، وأمامي قول للمؤرخ البريطاني الأشهر « أرنولد توينبي » ألقاه ، على مسمعي في نادي بلدية القاهرة في شتاء ١٩٦١ ــ ١٩٦٢ قال فيه بالحرف مترجماً عن الأنكليزية :

« ... وإذا تطلعنا إلى المستقبل ، لا يملك الفرد إلا أن يسأل نفسه في كيف تستطيع الشعوب العربية الأخرى مساعدة عرب فلسطين مساعدة فعالة . من الواضح أن هذا الموضوع شائك إذا تناوله أجنبي بالدراسة ، ومع ذلك فإنني أقدم على إبداء رأيي في هذا الموضوع . انني أعتقد أن لا شيء يمكن أن يخدم قضية عرب فلسطين كحركة تعمل في سبيل اتحاد وثيق وفعّال للعالم العربي كله . وهناك مثل يقول : « الاتحاد قوة » وأنا على ثقة من أن هذا القول سليم إلى أبعد حد ، كما أني على ثقة من أن العالم العربي كله إذا تكلم بصوت واحد فإن هذا الصوت سيسمعه العالم وينصت إليه باهتمام أكثر مما يفعل الآن . والواقع أنني أعتقد أن هذا الصوت العربي الموحد سيكون أكثر فعالية في تقصير أمد الفترة التي يعاني فيها الفلسطينيون العرب من الظلم الواقع عليهم الآن . ! »

إلى أن يقول في نهاية كلامه :

« إن العالم العربي عالم كبير . وقد يكون من الطبيعي أن يحتاج انتشار حركة تتجه نحو الوحدة والتعاون في كل البلاد العربية إلى بعض الوقت . فإذا نظرنا إلى المستقبل فإنني أعتقد أن حركة الوحدة العربية ستسود كما سادت منذ ثمانية قرون . واليوم نجد العالم العربي كله واقعاً تحت ضغط من الخارج . فنحن نعيش في عصر أصبح فيه من الصعب على أية دولة أن تعيش بمفردها . نحن نتحرك إلى عصر الوحدة ، فالشعوب الأوروبية تتجه نحو الوحدة مع بعضها البعض بعد فترة من التفكك دامت لأحد عشر قرناً . وهذا الأتجاه الجديد راجع كما أعتقد إلى إدراك الشعوب الأوروبية بأن عليها أن تختار بين الاتحاد أو التدهور . وفي رأيي أن نفس العوامل تنتهي إلى نتائج

متشابهة بالنسبة للعالم العربي بل بالنسبة لغيره من مناطق العالم كذلك .. ولا شك في أن الوحدة العربية والانتعاش العربي سيعودان بالفائدة على العالم كله ، فالعرب لديهم الكثير ليقدموه إلى إخوانهم في الانسانية .. إن الوحدة العربية موضوع شائك .. واني أدرك انني أعالج موضوعاً شديد الحساسية تتعدد فيه وجهات النظر .. وأنا أخاطر بإبداء وجهة نظري لأني أهتم اهتماماً مخلصاً بخير العرب جميعاً ، وليست لي مصلحة خاصة في ذلك .. »

آمين .. آمين .. آمين !

يجب أن نجعل عروبتنا عالمية ..

« .. كل فلسطيني ليس في فلسطين .. هو لاجيء وفي المنفى .. »



« ان مائة وثمانين مليون امريكي يجدون اليوم سياستهم الخارجية تحت رحمة ضغط جماعة من الاقليات. ! »
«وقائع الكونجرس أبريل ٢٩، سنة ١٩٦٠»

السناتور « فولبريت »



« .. ان الشعب الذي يسكن في غرب منطقة الاردن ليس شعباً عربياً ! انه شعب يتكلم العربية فقط . ان اهل غزة معظمهم من اصل مصري ! وفيما تبقى فان الشعب هناك مختلط ومتنوع » !

« British Peace Hand Book » No 60
الكتاب البريطاني في سلسلة « الصلح »
سوريا – لبنان : نمره ٦٠

يجب ان نجعل عروبتنا عالمية

استبد بي الشوق إلى الحزن والأسى والدموع .. فذهبت إلى القدس .!
لقد عدت إليها ذات يوم أفتش عن بقية قلبي بين الأسلاك الشائكة والبيوت المهدمة والعز الذي مضى ..

ورأيت اليهود ..

رأيتهم أمامي على بعد خطوات من شرفة مدرسة فرنسية في أعلى المدينة. لقد وقفت على السور القديم ورأيت شراذم العالم وزبالته يمرحون في شوارع بلدي ويسكنون بيتي ويستحلون مالي وأملاكي ! ونظرت إلى جموعهم البشعة النتنة تتهادى على أرصفة مدينتي جيئة وذهاباً .. وأفلت مني زمام الموقف، فشعرت بنفسي تتيه وبأعصابي تثور وبصوتي المبحوح يصرخ فيهم من بعيد .. «أيها الكلاب .. أيها اللصوص .. اخرجوا .. اذهبوا .. عودوا إلى بلادكم . ! »

ولكن الكلاب واللصوص ، لم يخرجوا ولم يعودوا إلى بلادهم ! لقد نظروا إلي بأعين ملؤها الحقد والشراسة والاستخفاف ومضوا في لهوهم وغنائهم واستهتارهم ...

وسألت نفسي في حيرة المذهول : هل هذه بلدي التي أعرفها وأحبها ..

هل هي الأرض التي باركها الله فقال عنها في كتابه العزيز « .. ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين .. » ؟

أم هي الأرض التي عناها الله في قوله : « .. وإذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين .. » ..؟

وهل قضى الله على القدس أن يبدل أهلها بأهل ، وسكانها بسكان فيرحل العرب ويدخل اليهود ويتحقق حديث « محمد » على لسان ربه : « يا قدس أنت صفوتي من بلادي ، أسوق اليك من أختار من عبادي »

لا أدري ، فلعل في النكبة وفي معانيها سراً لا أدريه ! لعل في السماء علم المأساة وأخبارها .! لعل عند الخالق ما لا دراية لي به فالروح من أمره وما أوتي البشر من العلم ، إلاّ قليلا !

وتركت الماضي ورحت أبحث في الحاضر ..

الحالة الاقتصادية هادئة هدوء الموت .. هدوء الأهالي .!

الصحف تتحدث عن اعتداءات يهودية هنا ، واعتداءات يهودية هناك .. وبضعة سوّاح قد يظهرون وقد لا يظهرون .!

السكون يخيم على البلدة الهادئة الوديعة مع غروب الشمس ، فلا حركة ولا نواد ولا سمار..

الشباب المثقف يرقب منافذ العمل في الخارج بعد أن ضاقت في وجهه سبل الحياة في بلاده ..

ولم يبق في البلد المقدس إلاّ قدسيته : صخرة الله المشرّفة وكنيسة القيامة ومسجد عمر وأرض مشى عليها الأنبياء وتهادت عليها الملائكة ..

وسمعت الشعب في بلد الحيرة والذهول يتحدث عن .. الاستقرار . ورأيت حركة البناء والعمران تقوى وتشتد وقلت لهم : هل تلاشى من قلوبكم الخوف من خطر اسرائيل ..؟ فكان جوابهم سريعاً صريحاً بلسان الشاعـــر :

— أنا الغريق فما خوفي من البلل .!

ووقفت على بوابة «مندليوم» وتحسست آثار الدموع والشوق والفراق ودخلت القيامة ووقفت على الصخرات التي جلد عليها المسيح .. وصلب عليها المسيح .. وصعد منها المسيح إلى السماء ..

وتهت في أروقة المسجد الأقصى .. ووقفت في المحراب ودعوت الله : لبلدي .. ولأمتي .. ولنفسي .. ثم تساءلت :

— هل هذه الأرض لنا .. وحدنا ؟ هل هي لأهلها فقط أم للمسلمين جميعاً ؟ هل هي لعرب فلسطين ، أم لكل العرب .. للمائة مليون عربي ؟

وسمعت نفسي أجيب :

— لكي تعود الأرض الضائعة إلى أهلها ، يجب أن يشعر كل عربي وكل مسلم في العالم أن هذه الأرض الباقية .. هي له .. وأن مأساتها مأساته .. وان مصيرها من مصيره .. وأن عروبتها من عروبته ..!

ولكي يتحقق كل ذلك ، يجب أن تصبح عروبتنا .. عالمية !

ومن أجل ذلك يجب أن نعترف أولاً إلى أنفسنا . من نحن ؟ ماذا عندنا من أسباب القوة ، وماذا عندنا من أسباب الضعف ..؟

ويجب أن نفهم أولاً معنى العروبة في حياتنا . هل العروبة أن يبقى العرب كما هم ، بأوضاعهم الحالية ، بدولهم الحالية ؟ .. ام أن للعروبة مميزات أخرى ومظاهر أخرى ، هي — في حد ذاتها — التفسير الصحيح لمعنى العروبة وحقيقتها ...

ويجب أن نفهم أولاً ماذا نعني بالعالمية . هل العالمية أن يصبح للدول العربية العشر مقاعد في الأمم المتحدة ؟ هل العالمية أن يكون للعرب سفارات في عواصم العالم ؟ هل العالمية أن نملك إذاعات موجهة نطلقها صوب القارات الخمس ؟ أم للعروبة بمعناها العالمي مجازات أخرى ، وشروط أخرى ، هي في حقيقتها وأهدافها ونتائجها أخطر وأعمق وأبعد أثراً من مجرد سفارة ترفع علماً أو دولة تحتل مقعداً دولياً ، أو إذاعة توجه موجة معينة ؟ ..

أجيب أولاً على السؤال المتعلق بحقيقة أنفسنا وأقول : نحن تسعون مليون انسان .. نحتل أبواب أعظم قارتين .. ونسيطر على شواطىء أربعة بحور ونملك من أسباب القوة أغنى آبار البترول في العالم ، ونملك من أسباب الضعف ما عندنا من أقليات ، هي بحكم أوضاعها لا تأمن على نفسها إلاّ بمحاولة الاعتماد على قوى خارج نطاق بلادها ..

والعروبة كما نفهمها هي وحدة المشاعر واللغة والثقافة والتاريخ . فكل من تكلم لغتنا ، وتحسس مشاعرنا ، وعاش بثقافتنا ، وشعر انه منا ، فهو منـــا ..

أما لماذا نحن عرب فذلك لأننا نؤمن بالله لا بالمادة .. ونقدس الرسل لا المدفع .. ولأن قوتنا هي أساس كياننا ، فإذا نسيناها أصبحنا مثل أعدائنا لا سبب عندنا لعدائهم ولا مكسب لنا من صداقتهم .

فنحن عرب لأننا أصحاب رسالة انسانية تدعو لخير المجموع ، وللعدل الاجتماعي ، وللتعاون بين الطبقات .

نحن عرب لأننا نحب استقلال بلادنا واستقلال جميع الشعوب معنا . لذلك لا نعتدي على أحد ، ولا نسلب أحداً حقه في الحياة . نتقدم ونأخذ بيد كل من يريد أن يتقدم معنا ..

نحن عرب لأننا نتصل بماضينا ، ونعتز بتقاليدنا ونفخر بتراث أجدادنا . إن جيلنا يحافظ على هذا التراث لكي ينقله سالماً ناصعاً إلى أولادنا وأحفادنا . إننا نؤمن بالخلود ، خلود الروح وخلود الوطن .

نحن عرب لأن القيم الروحية عزيزة علينا ، لا نفرط فيها ولانستبدلها . ان عناصر هذه القيم هي الحق والجمال والخير . ان في هذه القيم شيئاً مـــن عند الله . فيها صفات الله .

نحن عرب لأننا لا نأخذ بأية نظرية اجتماعية وفلسفية مستوردة مـــن خارج أفقنا .. خارج حدودنا .. خارج وطننا الكبير .. ان مثل هذه النظرية تحطم كياننا وتتعدى على كل ما لدينا من مقدسات ..

نحن عرب لأننا ننتسب إلى القومية العربية ونتبناها : هي منا ، ونحن منها ، نحن بعضها وهي بعضنا . فيها لغتنا المشتركة .. وتاريخنا الواحد ، واحاسيسنا الواحدة. فيها التحديد الثابت لحقيقة أيامنا الماضية .. وحاضرنا فيها الكشف الواضح لجذورنا الممتدة عبر الأجيال المنصرمة البعيدة . فيها الروابط الراسخة والمعاني الأتنولوجية والأنثروبولوجية الصحيحة التي تؤكد انتماءنا إلى الجنس العربي ، وتمتعنا بجميع خصائصه ، وثقافته ، ومستواه الفكري ..

من أجل هذا ، وبسببه — أيها الأخوة — كنا وأصبحنا وما زلنا وسنبقى عرباً . وما دامت العروبة هي الطابع لنا كشعب ، فإن الوحدة هي أمل هذا الشعب .. هي كيانه .. هي وجوده .. وهذه الوحدة لا تقبل تجاوزاً عن أي عنصر من العناصر التي تكتمل بها . فليس عند العروبة أي مكان لأي ضعف في التحمس باللغة . وليس فيها أي مكان لأي ضعف في التحسس بالمشاعر العربية . وليس فيها أي مكان لأي ضعف في التحسس بحق حياتها .

إن الحياة على هامش العروبة قد تكون حياة ولكنها ليست عروبة . والحياة بلا ثقافة عربية قد تكون حياة ولكنها خالية من معناها العربي . فالعروبة المتكاملة العناصر هي العروبة التي يتحدث أهلها بالعربية ويشعر أهلها بأنهم عرب ، ويعيش أهلها بالثقافة العربية ويتحسس أهلها بالأحاسيس العربية ، ويقول أهلها إنهم عرب .

تلك هي الخطوة الأولى نحو تبلور فكرة العروبة ، أو بمعنى أصح تلك هي العروبة بمعناها الصحيح الخالي من مآخذ النقد .

فكيف نستطيع أن نجعل من هذه الفكرة ، قوة ، ونستمد منها وجوداً ؟

كيف نعمل لكي يشعر العالم بوجود هذه الفكرة ، ويحس خطرها ويحسب لها حساباً في ميزان التفكير السياسي الدولي ؟ ..

أعني كيف نبعث معنى الحياة في هذه الامكانيات العربية المجمدة التي لو لم تكن مجمدة ، لما قامت اسرائيل ، ولما بقيت عروش الخيانة ، ولما تركزت الأساطيل في مشيخات الخليج ، ولما عاش الاستعمار في الجنوب

العربي. إلى هذا اليوم ..

أريد أن أقول لكم أولاً انه إذا كان اليهودي – قبل قيام اسرائيل ومنذ ثلاثة آلاف سنة ، قد عاش في أزمة الصراع من أجل البحث عن وطن، فاننا نحن العرب قد أصبحنا بعد قيام اسرائيل في أزمة الصراع من أجل استعادة الوطن الذي فقدناه.

أريد أن أقول لكم إن الاضطهاد العالمي لليهود قد أدى إلى مولد الفكرة الصهيونية في نفس هرتزل ، ومن بعده في نفوس وازني وبن‌غوريون وجابو فعلينا أن نتعرف إلى‌مولد فكرة عربية‌جديدة نرد بها على اضطهاد العرب‌تسكي . داخل اسرائيل ، وضياع الفلسطيني العربي خارج فلسطين ..

الاضطهاد العنصري ، أو الاضطهاد اللاسامي هو الذي حمل يهودياً في المجر تعلم في فيّنا ، وعاش في باريس ، وشهد مجرى قضية « دريفوس » أمام القضاء الفرنسي عام ١٨٩٤ ، على أن يضع كتاباً يطلق عليه لأول مرة في التاريخ اسم الدولة اليهودية **Der Juden Staate** ويختار أرض فلسطين مقراً لتلك الدولة.

الاضطهاد الروسي لليهود ، بعد مقتل القيصر إسكندر الثاني عام ١٨٨١ ، هو الذي أدى إلى هجرة اليهود من روسيا ، وبالتالي إلى تشكيل جمعيات يهودية أطلقوا عليها اسم : حب صهيون « **Chibbath Zion** » ، تهدف إلى عملية هجرة اليهود إلى فلسطين ..

أريد أن أقول ان اضطهاداً لاقاه اليهود في روسيا ، أو قضية أمام القضاء كشفت عن كراهية لليهود في فرنسا ، قد أدت كل منهما إلى مولد جمعيات صهيونية سرية تنادي بالهجرة إلى فلسطين في روسيا ، وبانشاء الكتب الصهيونية عن دولة اسمها دولة اسرائيل ، في فرنسا ..

ترى ، وقد مضى على نكبة فلسطين خمس عشرة سنة ، هل جاءكم خبر جمعية سرية عربية سياسية واحدة ، في الوطن العربي كله ، عملت أو تعمل من أجل الرد على معنى النكبة التي أصابت العرب في أرض فلسطين ؟

وبعد هذا ، فليس العامل « العربي » — ان صح التعبير — هو الذي يدفعكم ويدفعنا إلى الوقوف في وجه الخطر الصهيوني . فالمطامع الصهيونية ليست محصورة في أرض فلسطين حتى تكون المعركة مقتصرة على فلسطين أو على الفلسطينيين . ان الصهيونية لم تعترف يوماً بأن أرض فلسطين — وحدها هي الحد الفاصل لدولة اسرائيل . ان مذكرة المؤتمر الصهيوني للمجلس الأعلى المنبثق عن مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ ، قد طالبت بضم شرق الأردن وجبل حرمون وجنوبي لبنان إلى فلسطين وجعلها ، كلها تحت الانتداب البريطاني الذي ينطبق عليه وعد بلفور . وعندما أصدر تشرشل الكتاب الأبيض عام ١٩٢٢ وقرر عزل شرق الأردن عن فلسطين قال وايزمان في مذكراته : « إن هذا العمل قد طعن آمالنا في وعد بلفور . فقد أبعد منطقة شرق الأردن من ميدان العمل الصهيوني .. » وقد اعترف وايزمان صراحة بأن الصهيونيين يطمعون في جنوبي لبنان ، وانه شخصياً — قد اتصل بالفرنسيين عام ١٩٢٠ وطلب منهم ضم ذلك الجزء من لبنان إلى أرض فلسطين كي تصبح جزءاً من الميدان الذي ينطبق عليه وعد بلفور وصك الانتداب البريطاني ..

بل اني أقترب معكم من هذه الساعة التي أتحدث فيها إليكم ، وأضع أمامكم نص ما قاله دافيد بن‌غوريون ، رئيس وزراء إسرائيل ، في مقدمة الكتاب السنوي لدولة اسرائيل لعام ١٩٥٢ قال :

« يجب أن نقول الآن إن دولة اسرائيل قد انشئت في جزء واحد فقط من أرض اسرائيل .. »

ثم عاد بن‌غوريون وردد هذا القول في مقدمة الكتاب السنوي لعام ١٩٥٥ فقال :

« إن قيام الدولة الجديدة لا يتفق تماماً مع الحدود التاريخية لأرض إسرائيل ، بل إن حزب حيروت الصهيوني ، الممثل بأكثر من ثلث أعضاء البرلمان الأسرائيلي وحزب أحادوت هافودا ، لم يترددا في إعلان سياستهما التوسعية ضمن برامجهما الانتخابية عاماً بعد عام . وإن حزب الصهيونيين العموميين

قد أعلن هذه السياسة التوسعية في مبدأه القائل بأن « إسرائيل لا تعيش من أجل ذاتها بل من أجل أن تكون وسيلة لتنفيذ مجموعة الفكرة الصهيونية .. »

معنى هذا أيها الإخوة أن العدو لن يهادنكم حتى ولو أنكم هادنتموه، ولن يتركّكم حتى ولو أنكم تركتموه.

وما دامت الصهيونية تحاربكم ، تحاربنا كوحدة دولية عالمية فإنه يجب علينا أن نحاربها – بنفس سلاحها وطبيعتها كوحدة عالمية دولية ..

وليس معنى تحويل نهر الأردن من مجراه الطبيعي حيث هو إلى مجرى جديد يصب في صحراء النقب بدلاً من البحر الميت .. أقول ليس معنى تحويل هذا النهر سوى العزم الصهيوني على تعمير صحراء النقب . وليس تعمير صحراء النقب سوى تعبير عن العزم الصهيوني لحشد أكثر من خمسة ملايين يهودي في تلك الصحراء .. على حدودنا .. في قلب بلادنا .. بالقرب من سينا .. بالقرب منا ! وعندما تكتمل هذه العملية ، وعندما تضيق رمال النقب بالملايين اليهود الخمسة ، سيتطلع العدو الى أراض أخرى يتوسعون إليها ، إلى ما وراء النقب .. إلى ما وراء الحدود .. إلى بلادكم أنتم .. إلى بلد كل عربي !

من هنا ، ندرك طبيعة المعركة القادمة بيننا وبين أعدائنا .. ومن هنا أيضاً ، نقول إنه ما دام العدو يحاربنا بصهيونية عالمية ، فيجب علينا أن نحاربه بعروبة عالمية . نفس المعركة تتطلب نفس السلاح ..

نحن بحاجة لكي نلعب الدور العظيم الذي نستحقه كشعب كبير ، فتي عريق ..

ولكي نصل إلى تحقيق ما نستحقه يجب أن تتحول الجامعة العربية – في ميثاقها الحالي – إلى أداة فعالة في ربط الشعوب العربية بعضها ببعض من جهة وربط هذه الشعوب بأبنائها المهاجرين والمغتربين العرب في أمريكا وآسيا وأفريقيا من جهة أخرى.

وإذا قلت لكم – نتيجة ما أعرف – إن اللغة العربية عند كل مغترب

عربي في تلك البلاد مهددة بالموت ، عندئذ أرى من واجبي أن أنبه إلى ضرورة تسجيل هؤلاء المغتربين ، واحداً واحداً ، ومدهم بالمجلات والجرائد والمنشورات وتزويدهم بالاذاعات العربية الموجهة ، وإحياء معنى الغناء العربي في نفوسهم — إن الجيل العربي الجديد في الأمريكتين يكاد يجهل معنى لغة آبائه وأجداده — ومن هنا ترون خطورة المسؤولية الملقاة على عاتقنا تجاه هؤلاء الناس .

وكذلك ..

يجب على الدول العربية أن تبعث بالوفود الرسمية إلى زيارة .. القارات الخمس .. وإلقاء الخطب .. ومقابلة المسؤولين .. وتبادل وجهات النظر ودعوتهم لزيارة بلادنا .. والتعرف على مشاكلنا . قلت للنائب العمالي البريطاني المشهور ريشارد كروسمان : كيف أصبحت صهيونياً ؟ قال : بعد أن زرت مستعمرات الكابونز اليهودية الاشتراكية في إسرائيل .

وكذلك ..

يجب أن تفتح الجامعة العربية مكاتب لها في قلب البلاد العربية .. فتنقل إلى شعوب تلك البلاد صورة من أحوال الشعوب العربية الأخرى ..

وكذلك ..

يجب أن تكون قيمة البترول السياسية من حق جميع الدول العربية ، لا من حق الدول العربية المنتجة لذلك البترول وحدها . قد يكون من حق تلك الدول الحصول على ثمن البترول الذي تنتجه . ولكن البترول كورقة سياسية ،البترول كلعبة استراتيجية .. البترول كقوة عربية .. البترول كحلقة كبيرة لها أثرها في تقرير موقف الدول الكبرى من الدول العربية .. هذا البترول يجب أن يخضع للدول العربية ، هذا البترول يجب أن يخضع للدول العربية كلها .. لا للسعودية وحدها ، ولا للعراق وحده ، ولا لدول ومشيخات الخليج العربي وحدها ..

وكذلك ..

يجب أن تتسم سياستنا العربية تجاه الدول الكبرى بطابع مصلحتنا نحن أولاً وأخيراً .. دون أي نظر لمصلحة تلك الدول .. اذكر لكم أن الصهيونية عندما فقدت ثقتها في بريطانيا كدولة كبرى عقب الحرب العالمية الأخيرة ، نقلت مركزها ونشاطها وصداقتها إلى .. أمريكا .

وكذلك ..

يجب أن تظهر الدول العربية العشر في الأمم المتحدة كدولة واحدة في الرأي وكعشر دول عند التصويت .. فمهما كانت الاختلافات بين الحكومات العربية في العواصم العربية ، فعلى المندوبين العرب ترك هذه الخلافات وراءهم في المطارات العربية .

وكذلك ..

يجب أن يخرج معنى التسامح .. والسمو ، والعظمة ، في ديننا العظيم إلى خارج بلادنا . لقد صور المستعمر الدين الإسلامي بأسوأ الصور ، وأصبح من واجبنا ، من واجب أصحاب الثروات من المسلمين ، تعمير المساجد الكبيرة في قلب العواصم الأوروبية والأمريكية ، وجعلها مقراً لإلقاء المحاضرات الحديثة عن الدين الاسلامي باللغات الأجنبية ، وبواسطة أساتذة يتقنون اللغة إتقاناً تاماً . وعندما أذكر العواصم الأوروبية والأمريكية ، لا أنسى العواصم الأوروبية والآسيوية القريبة منها والبعيدة .

أيها السادة ..

ليست معركتنا في هذا الوجود محصورة في معركة واحدة تحارب ضد الصهيونية هنا ، أو معركة تحارب ضد الاستعمار هناك ..

نريد أن نحول معاركنا فيما بعد ، إلى معارك إيجابية يكون لنا رأي في مصير قضاياها التي تشغل بال العالم ..

ولكي يتحقق ذلك ، يجب أن يكون لنا القوة التي تشعر العالم بوجودنا ، بعالميتنا . ولكي تتحقق هذه القوة ، يجب أن نعيد النظر في أكثر من موقف ، في أكثر من مشكلة من مشاكلنا .. الماضية منها والحاضرة ..

كان نابليون يقول عن جيش فرنسا انه « فرنسا تسير » .. وقد لا يكون للعرب جيش كجيش نابليون تصح فيه التسمية « العروبة تسير » .. ولكن الله قد منحنا ما هو أعظم من الجيش الكبير ، وما هو أكبر من قوة الجيش الكبير .. منحنا الله إيماناً عظيماً ، وحقداً عظيماً ، وتحفزاً ليوم الثأر عظيماً ..

تعالوا أيها الأخوة ، نثبت للتاريخ ،لأنفسنا، اننا نستحقأن نكون السلاح في يد هذا الجيش العظيم ..

بل تعالوا — انت أيها الفلسطيني المشرد ، وأنت أيها العربي المتحفز لغسل عار النكبة عن نفسك ، وقوميتك ، وتاريخك .. تعالوا ننظر ونتفحص كيف قامت إسرائيل لكي نستطيع أن نعرف كيف .. تزول ؟

سأقول لكم كيف قامت إسرائيل !

وقد « لا » أحتاج بعدها كي أقول لكم .. كيف تزول !..

إن إسرائيل لم تستمد أسباب وجودها من غلطات بعض العرب ، وخيانة بعضهم الآخر .. فحسب ! إن إسرائيل لم تكسب اللعبة كما يلعب لاعب التنس جولته على حساب أغلاط خصمه اللاعب الآخر . إن إسرائيل لم تصبح شيئاً له وجود لأن صندوق شراء الأراضي « الكرين كانت » مثلاً قد استطاع أن يشتّري بعض الأراضي من أصحابها ،ويسرق بعض الأراض من الحكومة المنتدبة على فلسطين ، أو أن صندوق « الكيرن هايسود » قد جمع القروض والتبرعات واشترى بها مشاريع ومؤسسات ..

لا ...

إن إسرائيل لم تولد في ٢٥ مايو ١٩٤٨ .! إنها لم تنبثق إلى الوجود نتيجة معركة أو حرب ! وإنها لم تحقق أحلام الصهيونية في فلسطين بجهود بضعة أنفار من زعمائها أمثال بن زفي .. وبن‌غوريون .. وموشى شاريت.. وجولدا ماير.. انها لم تظهر على مسرح الأمم المتحدة ، وتصبح دولة مستقلة لها مقعد خاص بين الأمم نتيجة تحقيق عاجل،قامت به لجنة التحقيق الدولية في مايو ١٩٤٧ ، وقررت فيه تقسيم فلسطين وإقامة دولة للعرب ، ودولة

لليهود .. إن معركة الصهيونية في فلسطين لم تقررها عوامل داخلية في داخل حدود فلسطين .

لا ...

ألف .. ألف ... لا !

إن كل هذه الأسباب قد ساعدت — فقط — على إنشاء دولة لليهود في أرضنا ، ولكنها ليست السبب الكبير الذي أدى إلى خلق تلك الدولة ..

السبب الكبير في خلق دولة إسرائيل هي .. الصهيونية العالمية .. خارج إسرائيل ! هي التي انبثقت في أوائل هذا القرن وجعلت « تيودور هرتزل » يتغنى بجمال بريطانيا عام ١٩٠٠ مستجدياً ، باكياً ، قائلاً « انكلترا .. أيتها الكبيرة .. شعاعك ينساب فوق كل البحور ..! يا انكلترة الحرية إنك ستفهمين وتشعرين بقيمة وآمال الصهيونية !! » .

إنها الصهيونية التي تردد صداها على لسان « حايم وايزمان » في تحيته لبريطانيا .. الصهيونية ، حيث يقول لها عام ١٩٣٩ :

« .. إنه لشرف أزلي لبريطانيا العظمى أن لا تكتفي بأن تفهم حقيقة المشكلة اليهودية ، بل أن تفهم وتعمل على تنفيذ الحل الوحيد لتلك المشكلة » .

إن الصهيونية العالمية التي استبدت بتفكير خالقها تيودور هرتزل وجعلته يقول وهو على فراش الموت : « أجل سأموت .. وأنا أعرف متى سأموت .. ولكني أعرف أيضاً أن الصهيونية لن تموت ! » .

إنها الصهيونية العالمية التي جعلت رجلاً كـ « ونستون تشرشل » يقول في نهاية الحرب العالمية الثانية ، وفي كتاب تهنئة لحايم وايزمان بمناسبة ذكرى وعد بلفور : « أنا صهيوني .. أجل أنا صهيوني .. وأنا أفخر بصهيونيتي ! » .

أنها الصهيونية العالمية التي أقنعت قطب الأمبراطورية البريطانية الفيلد مارشال « سمطس » لأن يقول في عام ١٩٢٧ : « كلما شاهدت شيئاً عظيماً .. وكلما أبصرت شيئاً يستبد بعقلي وتفكيري ، أتجه ذهني في الحال إلى .. شعب الله المختار ! » .

انها الصهيونية العالمية التي أعطت وعد بلفور وعينت هربرت صموئيل ــ اليهودي ــ كأول مندوب سام بريطاني على فلسطين ! .. هي التي أمطرت فلسطين بعشرات اللجان . لجنة بعد لجنة بعد لجنة من أجل إيجاد منفذ تبرر جريمة انشاء دولة لليهود في فلسطين ! هي التي استبدت بحزب العمال البريطاني وجعلته يتعهد في إبان المعركة الانتخابية عام ١٩٤٥ بانشاء دولة لليهود في فلسطين ! هي التي أحالت بريطانيا ، كل بريطانيا إلى دولة يهودية !

وعندما انتهت الحرب العالمية الأخيرة ، وظهرت الولايات المتحدة الأمريكية على المسرح الدولي كدولة .. عظمى .. حاربت وانتصرت .. عندئذ ، فوجىء عرب فلسطين بالعنصر الأمريكي الجديد يتسرب إلى بلادهم بالطريقة الرسمية العلنية ، وعن طريق أول لجنة أمريكية رسمية تأتي إلى فلسطين منذ قيام الانتداب البريطاني حتى ديسمبر ١٩٤٥ !

وقال لي أحد أعضاء تلك اللجنة ــ وهو الذي أصبح فيما بعد أول سفير لأمريكا في إسرائيل .. قال لي جيمس ماكدونالد واللجنة لم تبدأ بعد أعمالهـــا :

ــ لا يهمنا ماذا سيقول اليهود أو العرب . يهمنا فقط أن نحظى برضا الرجل الذي أمر بتعييننا في هذه اللجنة . وهذا الرجل يريد منا أن نقرر فوراً ــ وقبل كل شيء ــ فتح أبواب فلسطين لليهود . هذا الرجل هو الرئيس ترومـــان ...

والصهيونية العالمية هي التي استبدت بالولايات المتحدة وببيتها الأبيض وبوزارة خارجيتها ، وضاعفت الضغط على بريطانيا لكي تتخلى عن القضية برمتها وتعيدها من جديد إلى الأمم المتحدة .. حيث استبدت أمريكا بكل دولة تمشي في فلكها ، وكل حكومة تطلب مساعدتها ، واستبدت حتى بـ « ترجفي لي » سكرتير الأمم المتحدة وأمرته أن يزوّر الحقائق ، ويشطب التواريخ ، ويؤخر الجلسات ، ويقدم التقارير ، ويقنع مندوب هذه الدولة بالحضور إلى جلسة التصويت ومندوب تلك الدولة بالتغيب .

حتى تمت المؤامرة وأسدل الستار والتقطت اذاعة اسرائيل السرية ليلة ١٥ مايو ١٩٤٧ اشارة لاسلكية من صوت أمريكا تقول : إن الرئيس الأمريكي قد اعترف بقيام دولة اسرائيل .

فصاح دافيد بن‌غوريون ودموع الفرح في عينيه : « .. شيء عظيم .. شيء مفرح .. شيء لا يصدق » !!

هي .. هي .. الصهيونية العالمية التي أقامت إسرائيل .. ولو أنها لم تنجح في اقامتها عن طريق الأمم المتحدة لأقامتها بطريق آخر .. ولو أنها خسرت الحرب عام ١٩٤٧ لقامت تستعد إلى حرب جديدة في عام ١٩٥٠ ، ولو أنها لم تحقق أهدافها على النحو الذي تعرفه لبادرت إلى البحث عن طريق آخر يوصلها إلى فلسطين ..

ان الصهيونية العالمية ، وليس يهود فلسطين ، ولا زعماء يهود فلسطين ، ولا أموال وتبرعات يهود فلسطين هي التي أضاعت منا فلسطين !

الصهيونية العالمية التي استغلت اضطهاد الهتلرية لليهود فأقامت الدنيا وأقعدتها ، وجعلت من الضحية الواحدة ألف ضحية ، ومن الحادثة الواحدة ألف حادثة ، وملأت العالم ضجة وصراخاً ، وبكت واستبكت وطالبت بأن تكون فلسطين ملجأ للشعب الذي عاش عمره ضحية الاضطهاد والقتل ، وجندت كل قواها ، وحشدت كل امكانياتها وزورت في الأرقام والتواريخ ، واشترت كل القوى السياسية في غربي أوروبا وجنوبي أفريقيا ، والبلقان ، وأمريكا الشمالية والجنوبية ، ودعت فروع الأحزاب الصهيونية في العالم إلى مواصلة الاجتماعات ومتابعة الجهد من أجل تحقيق نصر ملموس يجعل من فلسطين أرضاً للشعب الاسرائيلي .

فما كاد العالم ينسى ويلات الحرب حتى كان حايم وايزمان — كما يقول في مذكراته — يدق أبواب هاري ترومان .. وكانت الصهيونية في بريطانيا تستولي على عقلية جميع أقطاب حزب العمال البريطاني ..

وكانت أبواق الدعاية الصهيونية تستولي على جميع الصحف الكبرى

في كل عاصمة أوروبية وأمريكية .. وكانت الصيحات تنطلق من قلب تل أبيب إلى الرأي العام العالمي وتقول : « أعطونا فلسطين كما أعطيناكم تأييدنا في الحربين العالميتين ! » وتقول : «كان العرب ضدكم وكنا نحن معكم فانصرونا كما نصرناكم ! » وتقول : « أعداؤكم هم أعداؤنا ، تعالوا نتحالف من أجل فلسطين وتخليصها من أعدائنا وأعدائكم ! » .

والصهيونية العالمية هي التي اشترت أصوات الدول في الأمم المتحدة لتحملها على التصويت على قرار التقسيم .. إشترت معظم أصوات دول « أمريكا اللاتينية » وحصلت على ما تريد ..!

وهي ، هي الصهيونية العالمية في استوكهولم وفي كوبنهاجن وفي باريس وفي لندن وفي أوتاوا وفي نيويورك وفي روما، التي حركت أصابعها وأنفقت أموالها واستطاعت أن تكسب تلك الدول إلى جانبها في الأروقة الدولية وفي المؤتمرات وفي الأمم المتحدة .

ومن تلك الدول كانت الصهيونية العالمية تشتري السلاح وتبعث به إلى فلسطين. ومن تلك الدول كانت الصهيونية تستأجر المراكب والبواخر وتبعث بها إلى شواطىء فلسطين محملة بالمهاجرين اليهود .

وكان اليهودي في جميع تلك البلاد يعيش بعقلية اليهودي المتعصب الحاقد المليء بالآلام والعقد النفسية ، المنتظر لفرصة الانتقام ، المتعطش للدم ، الحالم بالسفر إلى فلسطين وإنشاء دولة يهودية على أرضها (كان اليهودي في جميع تلك البلاد لا يخرج بتفكيره وتصرفاته عن أخلاق اليهودي. فاليهودي في أمريكا يهودي أولاً ثم امريكي وهو في اسكنديناڤيا يهودي أولاً ثم اسكندناڤي .. وهو في بريطاني يهودي ثم بريطاني .!

وقد استطاع هتلر والدعاية اليهودية ، والخلق اليهودي ، والعطف الأنجلو أمريكي والمقاومة العربية ، أن تضاعف من شراسة التعصب الصهيوني في الحصول على فلسطين .. فلم يكد يمضي على نهاية الحرب شهور حتى كانت لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية تأتي إلى فلسطين .

ولم يكد يمضي على مآسي أوروبا عام أو يزيد حتى كانت لجنة التحقيق الدولية تتجه إلى زيارة فلسطين .. ولم يكد يمضي على نهاية الحرب ثلاث سنوات حتى كانت إسرائيل قد أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة .

تلك أيها الإخوة كانت طبيعة معركتنا ضد الصهيونية العالمية ، في فلسطين وبالتالي .. أيها الإخوة إن معركة فلسطين هي معركتنا ضد الصهيونية العالمية ، وليست ضد يهود فلسطين وحدهم .

ومعركتنا ضد الصهيونية العالمية لن تضمن لنا الفوز إلاّ إذا قابلناها بنفس سلاحها .. نفس أساليبها .. نفس قوتها . اذا قابلناها بعروبة عالمية ، بوحدة شاملة تضم التسعين مليون عربي بكيان عربي واحد . بجيش عربي واحد . بسياسة عربية واحدة ، بميزانية عربية واحدة . بأسطول جوي عربي واحد . بأسطول بحري عربي واحد . بعلم عربي واحد .. واحد .. بدنيا عربية واحدة . بيد عربية واحـــدة ..

فكرة نعيش من أجلها :

« سنحطم قرطاجنة ! »

« . [illegible] ختم كتابي بالكلمات التي بدأت بها : ان اليهودي الذي « يريد » ان يكون له دولة .. سيحصل عليها ! »

« هرتزل »

الدولة اليهودية ١٨٩٦



قال اليهود مساء « ١٤ مايو » ١٩٤٨ ، كلمتهم العبرية المشهورة : « **Ein Brera** » ، ومعناها بتصرف : « لا بد مما ليس منه بد .. »

وحاربوا ... وكان ما كان !

وعلى العرب اليوم ان يقولوا بلغتهم وتفكيرهم في استعدادهم للثأر :

— **Ein Brera !**

فكرة نعيش من أجلها !

كنت أتحدث إلى المخرج التليفزيوني الأمريكي الشهير « جاك بيار » الذي يوثر ببرامجه على آراء عشرات الملايين من الشعب الأمريكي .. وقال لي « جاك بيار » في معرض حديثنا عن فلسطين :

« اسمع يا صديقي ، إننا في الولايات المتحدة نعتقد أن الفرق بينكم بين اليهود بسيط واضح ، تتمثل فيه جميع الأحداث التي مرت على مسرح الشرق الأوسط — وخاصة فلسطين — منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وحتى اليـــوم .

« فاليهودي — كما قيل لنا وكما نعتقد — عنده — في صميم روحه شيء يحارب من أجله . وقد حارب من أجل ذلك الشيء ، وانتصر ، وها هو يحارب من أجل المحافظة على ذلك الشيء . أما أنتم فسر خسارتكم للحرب — وهذا ما قيل لنا وما نعتقده — أنكم لا تملكون شيئاً تحاربون من أجله ولهذا خسرتم الحرب . ولهذا لم يبد منكم — حتى اليوم — ما يؤكد أنكم عازمون على الثأر واستعادة ما خسرتموه » .

ما رأيكم ؟

وهل عندنا أيها الأهل ما نرد به على هذا الاعتقاد الخاطىء المجرم الذي

يسيطر على أذهان الشعب الأمريكي ؟ وقد يكون مسيطراً أيضاً على أذهان شعوب العالم ..

اننـــا لسنا بحاجة للبحث عن شيء نؤمن به ، أو نحارب من أجله . فالشيء موجود ، وكل ما ينقصه هو المزيد من الإيمان به والثقة بمستقبله .. إن فلسطين أمامكم ، بكل صخرة من جبالها ، بكل حبة رمل من شواطئها ، بكل الحب الذي فيها والذي في قلوبنا لها .. وما علينا إلاّ أن نجعل من هذا الشيء الذي أمامنا قصيدة شعر نتغنى بها ، صلاة نرددها ، ودرساً نعلمه لأولادنا .. يجب أن نقول للعالم إننا نعيش كباراً لأن ما نحلم به ليس صغيراً .

وإذا عرفنا أن الحفاظ على « قوميتنا » معناه الحفاظ على الحلم الكبير الذي نعيش من أجله .. عندئذ أدركنا كم نحن مسؤولين عن الدفاع عن هذه القومية ، وكم نحن أقوياء لو استطعنا إبقاء هذه القومية .. في حد ذاتها .. قويـــة !

لقد سألني الكاتب « اليهودي » — ويؤكد انه غير صهيوني — « دون بيترنر » في معرض زيارته للقاهرة عام ١٩٦١ لكي يضع كتاباً عن عرب فلسطين .. سألني :

— أين أنتم ..؟

قلت : نحن هنا .. وقد أصبحنا أقوياء .. وسر قوتنا في قوميتنا .! مشينا ولم نتبع أحداً .. لم نستمد حقنا من أحد .. لم نعتمد على أحد .. لم نقلد أحداً .. كانت الحركات التي سبقتنا تسير على خطوات من سبقها .. كانت نسخة من اليمين أو من اليسار .. وعندما جاء دورنا أثبتنا اننا نسير وحدنا .. أخذنا العبرة من تاريخنا .. جعلنا محور سياستنا لا يدور إلاّ في فلك لغتنا وتقاليدنا .. ونجحنا وخلعنا رداء الضعف والتخاذل والاستسلام .. وارتدينا رداء القومية العربيـــة !

وهذه القومية هي سرنا الكبير ..

هي التي حفظت لنا قوتنا .. هي التي صهرتنا في آمالنا وآلامنا .. هي

التي أظهرت مطامع الغرب فينا .. فكلما اقترب العدو منا ، ارتد مطارداً بها مهزوماً ...

ونحن في شدة إيماننا بها ، أصبحنا جزءاً منها ، أصبحنا هي .!

ونحن من وفرة إخلاصنا لها .. اتخذناها دواء لأوجاعنا .. بها نعالج الخطر الاستعماري .. وبها نعالج الخطر الصهيوني .. وبها نعالج الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ..

وأصبحت شعارنا الدائم .. لقد حملنا هذا الشعار فوق رؤوسنا أمام كل زائر هبط أرضنا .. لقد رأى هذا الشعار : جورج ألن ، ولوي هندرسون ، وجيمس ريتشاردز ، وروبرت مورفي ، وراونتري ، كما رآه من قبلهم همرشولد وبيرنز وسلوين لويد وجنستون وكل مراقب هدنة ، وكل خبير مالي ، وكل باحث عن المتاعب أو حلال للمشاكل أو حريص على الحقيقة ..

ولو سألتني : كيف ستحاربون إسرائيل ؟

قلت لك : بالقومية العربية ..

ولو سألتني : وكيف ستقاومون الأحلاف ؟

قلت لك : بالقومية العربية ..

ولو سألتني : وكيف تدبرون أحوالكم ومشاكلكم وقضاياكم ..؟

قلت لك : بالقومية العربية ..

فقد أثبتنا للدنيا كلها أننا — بهذه القومية — أقوياء ناجحون ..

وعرف العالم كله أن العرب الذين يسكنون هذا الجزء من العالم ، قد نسجوا لأنفسهم الرداء الجديد الذي سيرتدونه .

إنهم لم يستوردوا هذا الرداء من لندن ، ولم يأخذوه من موسكو .. ولم يسرقوا موضته من واشنطن .. بل إنه رداء عربي خالص ، كل خيط فيه يحمل كل ما في تاريخنا من حروب وانتصارات ومآسٍ ودموع ..

وبهذه القومية ، وبهذا الشيء الجديد ، نستطيع أنَّ نتيه فخراً على كل

ثورة أو حركة سياسية سبقتنا .. فلا الثورة الفرنسية .. ولا الثورة الاستقلالية الأمريكية ، ولا الثورة البلشفية .. استطاعت أن تقول ما نقوله نحن اليوم بلسان ثورتنا .. إننا نقول للدنيا كلها :

ــ لقد جددنا آمالنا فجددنا تفكيرنا .!

وهذا التفكير الخالص مشى بنا إلى الشمس التي لن تغيب .. شمس القومية العربية .. فهل عرفت بعد .. هذا .. أين نحن ؟

هكذا نحن ..

في القاهرة أو في العراق أو في دمشق أو في كل بقعة عربية ، هذا طريق خلاصنا ، هذا مصباح ليلنا ، هذا موئلنا ومرجعنا ، من هنا انبثقنا .. من هنا خرجنا .. وإلى هنا نعود .!

وإذا كانت القومية العربية هي اللغة التي نتحدث بها إلى أنفسنا وإلى العالم حولنا ، فإن هناك « لغات » أخرى يريد منا العالم أن نتحدث بها إليه ..

ومن هذه اللغات ، لغة القلوب ..!

فإنني في كل مرة أزور فيها عواصم أوروبا أبحث عن لغة واحدة تقربنا إلى العالم وتشعره بوجودنا ! إنني أشتهي أن يفهمنا العالم باللغة التي فهم بها أعداءنا فانتصر لهم علينا ! إنني أريد أن نخاطبه بالكلمات التي تلمس مواطن الحس والجمال عنده ...

وطالما قرأنا مقالات مصورة في المجلات الأجنبية تحمل عرضاً تفصيلياً للبلاد التي استطاعت أن تهضم الثقافة الفرنسية والأجنبية وأن تصدرها إلى العالم ، فإذا بإسرائيل على رأس القائمة ..

إسرائيل .. بنت السنوات العشر أو تزيد .. استطاعت أن تبعث إلى باريس بفرقة « باليه » يهودية تلعب وتمثل وتغني باللغة العبرية القديمة على أعظم وأكبر مسرح فرنسي وأعني به دار الأوبرا ..

وتساءلت : أين موسيقانا ؟ وأين فننا ؟ وأين رسومنا ؟ وأين ثقافتنا ؟ وقد يمضي الوقت ، ويتسلح العرب فنتفوق على إسرائيل في الميدان

العسكري .

وقد تمضي السنون .. ويثأر العرب لكرامتهم المهدورة فيقضون على إسرائيل في أرض إسرائيل ..

أما القضاء على إسرائيل في العالم .. وأما إثبات حقنا أمام الإنسانية العالمية في أن تموت إسرائيل لنحيا نحن ، فلن يكون إلاّ عندما نستطيع أن نخاطب شعوب العالم باللغة التّي خاطبتهم بها إسرائيل فمست بها قلوبهم ..

.. لغة الفن ، والثقافة ، والموسيقى ..

وإذا كان للدين – ديننا الحنيف – أو لأدبنا العربي ، أو لثقافتنا المتعددة المظاهر أي أثر فعال في جوهر قوميتنا العربية ، فإني أسمح لنفسي أن أقف – لأول مرة من عمري – موقف الذي يستجدي شيئاً من أجل تحقيق أشياء ...

أجل إنني أستجدي ...

فهذه التبرعات المادية السخية التّي تنطلق من أموال بعض الأمراء العرب في مصر وسوريا ولبنان ، قد أعادت إلى ذاكرتي أيام خلفاء الإسلام في قصص كرمهم وسخائهم ..

وحتّى كتابة هذه السطور ، لم يبق ناد أو جمعية في لبنان او دمشق ، أو شرق الأردن إلاّ وقـد نالها « شيء » من جود هذا الأمير الكويتي أو ذاك . وهناك أمير من هؤلاء الأمراء لم يقصر تبرعاته على الهيئات الإسلامية في هذا الشرق ، بل تعداها – كرماً منه وترفعاً – إلى الهيئات المسيحية الأخرى كجمعية الشابات المسيحيات وغيرها .

وإني لأشعر بالسعادة إذ أرى « بعض » أموال البترول تأخذ هذا الاتجاه الخيري الكريم وتشق طريقها لإغاثة الملهوف وإطعام الجائع ومساعدة المحتاج ، في مختلف العواصم العربية .

ولأول مرة في حياتي ، على ما أذكر – سأسمح لنفسي أن أطلب شيئاً ! سأمد يدي إلى هؤلاء الأمراء وأطلب منهم أن يتبرعوا بشيء من المال ، للبلد الذي كان معروفاً إلى الأمس القريب باسم فلسطين فأصبح

اليوم قسماً من الأردن ! سأطلب منهم أن يساهموا بالإضافة إلى إصلاح قبة الصخرة المشرفة بجوار المسجد الأقصى المبارك ، بنسبة ضئيلة من أموالهم، لمساعدة الحرس الوطني الأردني المرابط على جبهة يزيد طولها على خمسمائة كيلومتر ! سألفت نظرهم إلى مئات الأطفال من أبناء الشهداء الذين سقطوا في ميدان البطولة والشرف، دفاعاً عن أرض القداسة والأجداد وهم اليوم لا يجدون إلاّ الحشائش يقتاتون بها والكهوف الصخرية يتظللون تحتها .. وأطلب منهم التبرع لبناء مساكن ومدارس لهؤلاء الأبناء ! سأطلب « زرع » الضفة الباقية من أرض فلسطين بالمساجد .. بالمؤسسات .. بالمراكز الثقافية .. بالميادين التذكارية .. بالأندية .. بالجمعيات .. و كلها بقصد « تجسيد » التمسك العربي بما تبقى من أرض فلسطين ، وتحويل الأرض هناك إلى « جنة » كبيرة فيها شجرة عربية ، من كل أرض عربية .!

ويجب ــ ألاّ يغيب عن خاطرنا لحظة واحدة أننا في حالة حرب مع إسرائيل .. وأن الحالة القائمة بيننا وبين أعدائنا اليوم ليس معناها ــ كما يقول اليهود ــ أن تؤدي إلى صلح دائم ، بل معناها ــ كما نقول نحن ــ أن نستأنف الحرب وندخل الجولة القادمة ..

وما دمنا في حالة حرب ، فإن لهذه الحالة آدابها ، وحرابها .. فمن آداب هذه الحرب أن نبقى على استعدادنا الروحي والمعنوي ضد أعدائنا .. لا ننسى ظلمهم .. لا ننسى أخلاقهم .. لا ننسى دسائسهم ومؤامراتهم .. لا ننسى أطماعهم وأغراضهم ..

ومن آداب هذه الحرب أن نتمسك بحرفية كل قانون أو قرار دولي يساعدنا على حصر إسرائيل وعزلها .. وهكذا تستمر القيود المفروضة ضد العدو بشأن الملاحة في قناة السويس إلى ما شاء الله ، سواء شكا العدو ــ من جديد ــ لمجلس الأمن ، أم للجان الهدنة ، أم للدول الكبرى ، أم مضى يهدد باللجوء إلى القوة .. ويجب أن يكون مفهوماً أن الجنرال ــ رايلي ــ وهو المعروف بميوله الصهيونية ، لم يستطع في ١٢ يونيو ١٩٥١ إلاّ أن

يعترف في برقيته للأمم المتحدة بأنه لا يمكن اعتبار القيود المفروضة على مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس خرقاً لاتفاقية الهدنة .. يضاف إلى ذلك أن اتفاقية الهدنة لا تمنع السلطات المصرية الجمركية من حق الزيارة والتفتيش والضبط .. إذ أن المنع يقتصر على السلطات العسكرية أو شبه العسكرية كما أن حق الدفاع الشرعي عن النفس وحق المحافظة على البقاء – يبرران – تماماً الإجراءات المتخذة – حالياً – في قناة السويس، كما تبررها أيضاً – مخالفات إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة وامتناعها عن تنفيذ هذه القررات.. وأخيراً، إن المادة العاشرة من اتفاقية ١٨٨٨ تعطي لمصر الحق في هذا التصرف استناداً إلى أحكام المواد ٤،٥،٧،٨ ..

وسواء أخذ مجلس الأمن بوجهة نظرنا حول هذا الموضوع أم لم يأخذ فإن ذلك لن يؤثر، ويجب أن لا يؤثر، قيد شعرة على ثباتنا في موقفنا. فقد رفض مجلس الأمن – مثلاً – أن يقتنع بوجهة النظر المصرية في أول سبتمبر عام ١٩٥١ وقرر «دعوة مصر إلى إزالة القيود المفروضة على مرور البضائع أو السفن – لجميع الدول – من قناة السويس» .. ولكن المجلس المذكور – كما يبدو – لم يتعرض في قراره المذكور إلى النواحي القانونية واكتفى بأن يبني قراره على الناحية السياسية وحدها .. كما أنه لم يستند في قراره إلى اتفاقية القسطنطينية حيث لم يعتبر نفسه ذا صلاحية تسمح له بمراقبة تنفيذ اتفاقية دولية ذات جهاز دولي خاص بها .. ولهذا رفضت القاهرة أن تتراجع عن موقفها وامتنعت عن تنفيذ قرار مجلس الأمن في سبتمبر ١٩٥١ بوصفه قراراً غير مشروع إذ راح «يضع حلاً سياسياً لمشكلة قانونية لا يتوافر له اختصاص الفصل فيها ..» ..

وبالرغم من أن إسرائيل قد عادت إلى إثارة الموضوع أمام مجلس الأمن في فبراير ومارس عام ١٩٥٤، وفي ديسمبر عام ١٩٥٤، وفي يناير عام ١٩٥٥ تارة بسبب حجز السلطات المصرية للباخرة اليهودية «بات جاليم» وتارة لأسباب أخرى، إلا أن ذلك كله، لم يؤثر في صلابة الموقف العربي تجاه منع مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس .. فبقيت هذه القيود مفروضة،

وبقيت إسرائيل – بضاعة وسفناً وعلماً ومصلحة – ممنوعة من تلويث مياه القنـــاة ..

إننا نقول ان إسرائيل – بالنسبة إلينا – غير موجودة ..

ونقول إنها – من ناحية قانونية – ليس لها أي اعتبار ..

ونقول إن وضع إسرائيل في فلسطين كوضع أي سارق أو مغتصب أو دخيل ..

ونقول إن حالة الحرب بين أهل الحق وسارقيه ، ما زالت ، وستبقى قائمـــة ..

حتى يعود الحق ..

أو يزول السارق ..

وإذا زعمت إسرائيل أن بينها وبين « مصر » اتفاقية هدنة ، فإن الجواب على ذلك هـــو

إن الفقرة الثانية من المادة الخامسة لاتفاقية الهدنة تنص على « أن خط الهدنة لا يفسر بأي حال من الأحوال انه حدود سياسية أو إقليمية . وقد وضع دون المساس بحقوق أو موقف أو مطالب أي من الطرفين بالنسبة للتسوية النهائية للقضية الفلسطينية .. » .

وكذلك فإن المادة (١١) من اتفاقية الهدنة تنص على أنه لا « يخل أي حكم من أحكام هذه الاتفاقية بأي حال من الأحوال بالحقوق والمطالب والموقف الخاص بأحد الطرفين فيما يتعلق بالحل السلمي النهائي للمسألة الفلسطينية .. »

وكذلك .. فإن الفقرة الأولى من المادة الرابعة من الاتفاقية تنص على مبدأ « عدم الحصول على أي ميزة عسكرية أو سياسية أثناء الهدنة التي أمر بها مجلس الأمن .. » يعني : لا يحق لإسرائيل أن تتمتع – قانوناً – بحق المرور في قناة السويس ..

وأخيراً ..

لقد جاء عدوان ١٩٥٦ فأكد – من جديد ودون حاجة إلى تأكيد – استمرار حالة الحرب بين العرب وإسرائيل. وقد أعلن زعماء إسرائيل عشرات المرات أنهم « ألغوا » اتفاقية الهدنة بيننا وبينهم ، وبالتالي أمروا ممثليهم في لجنة الهدنة بالامتناع عن حضور الجلسات.. كما أن الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على الحدود العربية تثبت وجود حالة الحرب..

فماذا بقي ..؟

بقي أن لا ينسى أي عربي انه في حالة حرب..

وأن هذه الحالة تتطلب منه كل ما تتطلبه حالة الحرب من الشعوب ، من يقظة واستعداد وعمل وتضحيات.. وحقد..

حتّى نحطم قرطاجنة..

فقد « استغلت قرطاجنة » فترات الهدنة التي فرضها علينا مجلس الأمن ، أسوأ استغلال.. واعتدت.. وحطمت.. واستولت.. وجعلت من الاتفاقيات الدولية بيننا وبينها ، أو بينها وبين الأمم المتحدة أشبه بقصاصات ورق لا قيمة لها..

فمنذ ١٥ مايو حتى اليوم ، رفضت إسرائيل أن تنفذ حرفاً واحداً من قرارات « التقسيم » الدولية..

وفي ليلة ١٤ – ١٥ أكتوبر عام ١٩٤٨ خرق اليهود قرار الهدنة وهجموا على خطوط المصريين في بلدة « عراق سويدان » واتصلوا بمستعمراتهم المحاصرة في النقب.. ورفضوا تنفيذ قرار مجلس الأمن في ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٨ القاضي بسحب قواتهم من الأماكن التي احتلوها.. بل إنهم قاموا بعدة هجمات عسكرية أخرى ، اكتسبوا منها مزيداً من الأرض المغتصبة.. ففي ١٠ مارس ١٩٤٩ ، ولم يمض على توقيع الهدنة أكثر من اسبوعين ، احتلت القوات اليهودية منطقة « أم رشرش » و « بيرقطار » الواقعة على ساحل خليج العقبة وأنشأت في الأولى ميناء « إيلات » وفي الثانية مركزاً عسكرياً.. كما أقامت عدداً من المستعمرات العسكرية داخل منطقة النقب..

وأنشأت في ١٩٥٣ مستعمرات مماثلة في منطقة « العوجة » المجردة من السلاح .. وكل ذلك رغم قرار الهدنة ، ورغم وقف القتال ، ورغم إرادة المراقبين الدوليين ، ورغم الأمم المتحدة ..

وبالنسبة « لسوريا » فقد تجاهلت إسرائيل حقيقة اتفاقية الهدنة بينها وبين السوريين فاعتبرت المنطقة « المجردة من السلاح » منطقة يهودية .. واعتبرت الحدود الفلسطينية – السورية القديمة كحد فاصل بينها وبين سوريا .. وراحت تقوم بمشاريع الري والإنماء داخل المنطقة المجردة من السلاح .. وطردت أهالي تلك المنطقة من العرب وأسكنت عدداً من المهاجرين اليهود في أرض المنطقة .. وبنت عليها مستعمرات جديدة مسلحة .. ولم تأبه للقرار الدولي الصادر عن مجلس الأمن في ٢٧ – ١٠ – ١٩٥٣ والذي يرغم إسرائيل على وقف استمرار محاولة تحويل مجرى نهر الأردن ..

وبالنسبة « للأردن » فقد سرقت إسرائيل بعد « الهدنتين » زهاء نصف مليون دونم من أخصب أراضي فلسطين في منطقة المثلث العربي : « طولكرم جنين – نابلس » .. وبعد اتفاقية رودس في ٣ إبريل سنة ١٩٤٩ وما رافقها من خريطة مقياس ١ – ٢٥٠ ألف ، راح اليهود يعملون على استبدال تلك الخريطة بخريطة جديدة من مقياس ١ – ١٠٠ ألف .. وعندما رفض الجانب الأردني طلب اليهود ، طار اليهود إلى تل أبيب .. ومنها نزلوا إلى قصر « المصلي » الشتوي في الشونة وقابلوا الملك عبدالله وحصلوا منه على الموافقة على خريطة مقياس ١ – ١٠٠ ألف بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٤٩ ، فوافق بعده وزير دفاعه ، ثم لما عاد رئيس وزرائه أبوالهدى من بيروت وقّع بأمضائه عليها .. وأرسلوها إلى وفد المفاوضة في رودس لتنفيذها .: ويجب ان نعلم أن الفرق بين الخريطة مقياس١ – ٢٥٠ الف والخريطةمقياس ١ – ١٠٠ألف ، يعطي اليهود ما مساحته ٤٥ ألف دونم زيادة على ما سرقوه في الخريطة ١ – ٢٥٠ .. مع العلم أن هذه الخريطة التي سعى اليهود إلى استبدالها حتى نجحوا ، أعطتهم ما مساحته أربعمائة وستين ألف « ٤٦٠،٠٠٠ »

دونم .. دون حرب .. دون دماء .. دون عناء ..

واتفق معهم أبوالهدى أن يتولى حراسة الأمن في القرى العربية التي ستسلم لليهود ، وفقاً للاتفاق ، ففرض البوليس العربي ، ولكنهم لم ينفذوا ذلك .. وفتحت الكماشة اليهودية فمها وضمت دون قتال قرى : باقة الغربية وجلجولية .. وفرديسيا .. كفرقاسم .. وبئر السكة .. وميسر .. والنزلقان .. ضربةخربش .. وقلنسو .. و .. كلها في منطقة طولكرم في المثلث العربي .

ثم جاء عدوانها المسلح عام ١٩٥٤ على « قبية » و « بدروس » ..

ثم جاءت جريمتها المروعة على حوسان و « قلقلية » في عام ١٩٥٦ .

وقبل ذلك .. وبعد ذلك .. واليوم ، وغداً .. وبعد غد ..

وكل حد عربي ، وكل جبهة عربية ، كان لها مع العدو أكثر من موعد ، لعب فيه العدو بأوراق الغدر ، والخداع ، والتدليس ، والمكر ، والاغتصاب. فلم يعد بيننا وبينه أية اتفاقيات . ولا تربطنا به أية معاهدات .. ولا علاقة لنا به إلاّ علاقة الدم والثأر ، والجولة القادمة ..

لقد جاء اليوم الذي يقف فيه « موشى شاريت » رئيس وزراء إسرائيل ووزير خارجيتها السابق، ويقول أمام المؤتمر الصهيوني العالمي في استوكهولم [١] « إن حياة جيلنا الشاب في إسرائيل قد تضمنت أشياء عجيبة دلت على روح التضحية العميقة التي تتمشى في قلوب أبنائه من أجل سلامة الأفراد العاديين من الأمة اليهودية في المهجر .. ولنذكر مثالاً على ذلك أعمال الهجرة المهربة السرية التي أنقذ فيها شبان إسرائيل ألوف اليهود من جحيم أوروبا إذ نقلوهم إلى فلسطين مدفوعين بروح عالية في نكران الذات . ولنذكر أعمال الفرقة اليهودية التي قامت بجمع وتنظيم البقية الباقية من يهود أوروبا وترحيلهم إلى فلسطين .. ولنذكر أيضاً البطولة الرائعة التي أظهرها المظليون اليهود

---

١ – في ٢١ – ٨ – ١٩٥٩ .

الذين هبطوا خلف خطوط العدو ، مواجهين أشد الأخطار ، ومضحين بأرواحهم لإنقاذ إخوانهم الذين حكم عليهم بالابادة .. ثم فلنذكر عشرات العمال وأصحاب الإنقاذ في عدن أثناء حملة الهجرة الطائرة ليهود اليمن .. ولنذكر الحماسة العظيمة التي أبداها مئات من جيل المهاجرين الشباب من أبناء إسرائيل الذين خفوا لمساعدة المهاجرين الجدد في مستعمراتهم .. ولنذكر أعمال جيش الهاجانا وحشد المهاجرين الجدد في مستعمراتهم ، ولنذكر الروح العالية التي ظهرت لدى جماعات الشبان الإسرائيليين الذين حملوا بشرى قيام دولة إسرائيل الحرة إلى يهود الاتحاد السوفييتي . كل هذه وغيرها من الأحداث العظام تشهد شهادة خالدة على شدة تعلق أبناء جيل إسرائيل بيهود المهجر .. »

أيها العرب ..

من واجبكم أنتم الرد العملي على هذه الاقوال .. سواء بالنسبة لعلاقة اللاجىء الفلسطيني ببلده ، أم علاقة العربي غير الفلسطيني ، بأرض فلسطين ، وباللاجىء منها ..

ولئلا يستطيع الزمن أن يضعف الحقد الذي في قلوبنا ، او يخفف النقمه التي في دمائنا ، أو يغلب الثأر الذي تتأجج به صدورنا ، أو يحجب ما بيننا وبين حقيقة نوايا العدو نحونا ، يجب أن نذكر دائماً ما يقوله العدو عنا ، وما يبيته ضدنا .. من آراء ، ومشاريع ، وخطط ، وأهداف ..

هل يريد العدو أن يعود اللاجىء إلى وطنه ..

وما هو موقف العدو من حق اللاجىء في العودة .. ؟

والجواب نجده في بيان « دافيد بنغوريون » رئيس وزراء إسرائيل الذي ألقاه في الكنيست (البرلمان) الإسرائيلي يوم ١١ أكتوبر ١٩٦١ .. قال بنغوريون في البند الحادي عشر من بيانه المذكور : « إن إسرائيل ترفض رفضاً باتاً الاقتراح الرامي إلى منح اللاجئين حرية الاختيار (بين العودة أو التعويض)، لاقتناعها بأن هذا الاقتراح يستهدف تدميرها . وهناك حل

عملي وعادل واحد لمشكلة اللاجئين وهو إسكانهم في البلاد التي توجد فيها أراضٍ واسعة ومياه غزيرة وتحتاج إلى أيد عاملة .. »

وفي التقرير الذي رفعه المبعوث الخاص الدكتور جوزيف أ. جونسون، إلى لجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة،بعد زيارته للعالم العربي وإسرائيل في أواخر عام ١٩٦١ .. قال جونسون في الباب « ح » الفقرة ٥٢ من تقريره ما يلي بالحرف :

« من الواضح أنه في الظروف الحالية لا يوجد احتمال لحل المشكلة الفلسطينية ككل، وأنه كما يتبين من الفصل السابق، هناك دلائل كثيرة على « استحالة » إحراز التقدم بالنسبة للاجئين الفلسطينيين العرب، يكون منفصلاً أو سابقاً على تسوية شاملة .. » .

والتسوية الشاملة التي تفهمها إسرائيل، ويعنيها المبعوث الدولي هي .. الصلـــح ..

وفي ٢١ إبريل عام ١٩٦١، صدر عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة القرار التالي : « إن الجمعية العمومية تلاحظ بالأسف الشديد أن الفقرة (١١) من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ (٣٥) الخاصة باعادة اللاجئين أو تعويضهم لم تنفذ. وان لجنة التوفيق الفلسطينية لم تستطع حتى الآن أن تحقق تقدماً في مهمتها .. »

وفي ٦ نوفمبر ١٩٦١، قالت « غولدا مايير » وزيرة خارجية إسرائيل أمام الكنيست اليهودي: « إن الأغلبية العظمى من الشعب (اليهودي) تؤيد سياسة الحكومة بمنع عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى إسرائيل.. ثم أعلنت غولدا مايير، إن إسرائيل قد سحبت عرضها بالموافقة على عودة مائة ألف لاجيء فلسطيني الذي سبق وأعلنته قبل ١٢ سنة قائلة « إن هذا العرض لم يكن له أدنى أثر لدى أي من الزعماء العرب، ومنذ تقديمه حتى اليوم تشبع أطفال هؤلاء اللاجئين بتحريضات ضد إسرائيل.. فإذا عادوا فإنهم سيكونون جنوداً .. جنوداً أعداء » .

وفي ٧ نوفمبر عام ١٩٦١ ، وافق الكنيست (البرلمان) اليهودي بأغلبية ٦٨ صوتاً ضد ٧ أصوات ، على « عدم » إمكانية إعادة اللاجئين العرب إلى المنطقة المحتلة ، وأن حل مشكلتهم يقوم على أساس استيطانهم في البلاد العربية ..

وقد أعربت أحزاب حيروت .. والأحرار .. والماباي .. وأحدوت هاعقودا .. والمابام .. تأييدهم لقرار عدم السماح بعودة اللاجئين العرب إلى بلادهم .

ذلك هو « بعض » موقف العدو من أهل فلسطين الذين نزحوا عنها .. فهل يفيد الحديث عن موقف العدو من أهل فلسطين الذين ما زالوا هناك .. ؟

العرب هناك يعيشون في بطالة .. العرب هناك في حكم عسكري يفرض عليهم الإقامة الجبرية ومنع التجول . العرب هناك لا يحاكمون أمام محاكم مدنية بل امام محاكم عسكرية .. العرب هناك انتزعت منهم السلطات أكثر من مليونين ومائتين وخمسين ألف دونم .. العرب هناك تقطع عنهم السلطات مياه الري .. العرب هناك يتقاضون نصف الأجور التي يتقاضاها العامل اليهودي .. العرب هناك ليس بينهم أحد بين ٣٥ ألف موظف يهودي . العرب هناك ذبحوا ذبح النعاج في «كفرقاسم » عام ١٩٥٦ .. العرب هناك فقدوا أراضيهم بموجب قانون « تركيز الأراضي » ، الذي أعده وأشرف على تنفيذه رئيس الجيش اليهودي السابق ، ووزير الزراعة اللاحق .. المجرم موشى ديان .. العرب هناك يسمعون « شمعون بيرس » المدير العام لوزارة الدفاع الإسرائيلي ، يقول في مطلع شهر فبراير من عام ١٩٥٩ ،أمام اجتماع عام نظمته مديرية الدعاية العامة الإسرائيلية في القدس : « لن يلغى الحكم العسكري في إسرائيل إلاّ بعد تهويد منطقة الجليل وبعد أن يصبح العرب أقلية في هذه المنطقة ضمن أكثرية يهودية ساحقة » .. العرب هناك — عرب الزبيدات — أجلوا عن قراهم وأراضيهم في الطرف الشمالي لمرج « بن عامر » إلى مكان

آخر اختارته لهم السلطات اليهودية .. العرب هناك — عراب السواعد — البالغ عددهم أكثر من خمسمائة عربي،أجلوا عن قراهم في الجليل ، ونسفوا المياه التي تسقيهم ، وأرغموهم على الرحيل إلى منطقة جرداء .. العرب هناك — عرب النقب — وهم أكثر من خمس وعشرين قبيلة يصل عددهم إلى عشرين ألف عربي ، اغتصبت السلطات اليهودية أراضيهم ، وأرغمتهم على التشتت في أنحاء العراء .. بلا مأوى .. يعطشون .. يمرضون .. يموتون .

أجل يجب أن نحافظ على كل ذرة « حقد » ، وكل خفقة « كراهية » في قلوبنا .. يجب أن نكره الذين أخذوا منا بلادنا وسرقوا منا أموالنا .. يجب أن نحقد على من حقد علينا .. ويجب أن لا يزول هذا الحقد إلاّ بزوال الأسباب التي تمنحه معنى الحياة . ويجب أن نستمد من هذا الحقد القدرة على العمل ، والتحرك . والانتقام . لقد قال « مناحم بيجن » في مقدمة كتابه « الثورة » : لو قدر لي أن أواجه السؤال الكبير الواحد من جديد : ماذا يكون موقفي ، وموقف شعبي ، لو وجدنا أنفسنا مرة أخرى في نفس ذلك الموقف الذي أرغمنا ذات يوم على أن ننزل تحت الأرض لنحارب ولنصبح ثواراً .. ماذا يكون موقفنا في مثل هذه الظروف ، وهل نفعل ما فعلناه يومذاك ..؟ والجواب بلا تردد : نعم .[1]

يجب أن نفهم معنى هذا الكلام .. معناه بالنسبة لأصحابه ، ومعناه بالنسبة لنا .. يجب أن « ندرك » منطق رجل كـ « مناحم بيجن » .. ونفهم مدى الحقد والكراهية ، وحب الانتقام التي ملأت صدره ضدنا .. قال في الصفحة ٥١ من كتابه : « عندما كان علينا أن نقطع يد العرب .. لم نتردد في قطعها[2] .. وقال في الصفحة ٥٢ من الكتاب : « لقد علمنا التاريخ والخبرة اننا إذا استطعنا أن نحطم سمعة الدولة المنتدبة في « أرض

---

١ — مناحم بيجن زعيم منظمة « الارجون » الارهابية وزعيم حزب « حيروت » بعد قيام اسرائيل في كتابه : « الثورة » « The Revolt » By Menachem Begin

٢ — نفس الكتاب .

إسرائيل » ، فإن زوال حكم هذه الدولة سيقترب من موعده . لذلك ، حرصنا منذ بدء ثورتنا على أن نضرب سمعة الانجليز بلا رحمة ، ولا سرية ، ولا انقطاع .. وقال في الصفحة ١٦٤،من كتابه المذكور، انه بالرغم من « الدعاية » العربية واللوم اليهودي لمنظمة « الأرجون » بعد مذبحة « دير ياسين » .. إلاّ أن هذه المذبحة قد أدت إلى فرار ستمائة ألف عربي مـــن فلسطين [1]. ثم يقول في الصفحة ١٦٥ : إن قصة ديرياسين قد أدت إلى خلاص طبريا واحتلال حيفا » .. [2]

وكذلك يجب أن لا ننسى ما قاله بالحرف سفير أمريكا الجديد المستر لوسون،في ١٢ – ١٠ – ١٩٥٤،وهو يقدم أوراق اعتماده إلى رئيس دولة إسرائيل قائلاً : « لا يسعني إلاّ الفخر بما قامت به بلادي في سبيل إنشاء بلادكم . وإنه لجدير بنا،نحن الأمريكيين،الذين ندين بحضارتنا إلى الكثير من إلهام أبناء إسرائيل،أن نعمل متحدين مع أحفادهم في المهمة العظمى وهي بناء أمة حديثة في الأرض المقدسة » .

ويجب أن نفهم معنى كلام زعيم عصابة « الأرجون » الصهيونية ، « مناحم بيجن » عندما يقول في كتابه « الثورة » ، صفحة ٢٩٦ ، بالحرف الواحـــد :

« .. وعندما اجتمعنا لأول مرة مع رئيس اللجنة الدولية، القاضي « ساندرستروم » في مخبئنا السري ، وراح القاضي ساندرستروم يسألنا : ماذا يحدث لو قام العرب بمهاجمتكم – أي اليهود – بعد انسحاب الانجليز من البلاد ؟ قلت : كنت أعلم أن التمسك بحجة الخوف في حرب بين العرب واليهود كانت دائماً تطرق أسماعنا ، كذريعة واهية يتسلح بها الانجليز من أجل البقاء في فلسطين .. لذلك يهمني أن أقول بأن العرب « لن » يهاجموننا

---

١ – المصدر السابق .
٢ – « «

إلا إذا ساعدهم طرف ثالث . ومع ذلك – فإنني أؤكد – بأننا مقتنعون تماماً بأنهم لو قاموا بأي هجوم علينا، فإننا قادرون على أن نضربهم ، قياماً وقعوداً، لأن فن الحرب الحديثة لا يعتمد على العدد ، وإنما يعتمد على العقل ، والنفسية . وفي الأولى أمامكم أعمالنا تشهد لنا .. أما بالنسبة لنفسية المحارب عندنا فقد استمعتم إلى الذين هاجموا قلعة عكا .. وإلى الذين ذهبوا إلى المشانق .. وفي أحاديثهم أمامكم ما فيه الكفاية » ..

هكذا ..

وأصبح اليهود ، لا يفخرون بشجاعتهم علينا فحسب ، بل وينكرون علينا – نحن العرب – فضل الشجاعة ..

هكذا .. هانت الأمور إلى الحد الذي ظهر فيه من يقول عنا إننا « لا نثور » إلا إذا قيل لنا – من الانجليز – أن نثور ..

يجب أن لا ننسى أن الدكتور « بانش » الوسيط الدولي ، عندما جاء إلى فلسطين مع اللجنة الدولية عام ١٩٤٧ ، قد حرص على أن يقابل زعماء المنظمات الارهابية الصهيونية وانه قال لزعماء عصابة « الأرجون » وهو يودعهم بعد حديث طويل :

– إنني أستطيع أن أفهمكم تمامـاً .. إنني مثلكم أنتمي إلى أقلية مضطهدة ..

يجب أن لا ننسى أن الدكتور « هو » « Hoo » ، مساعد الأمين العام للأمم المتحدة ، وسكرتير اللجنة الدولية لفلسطين ، قال لزعيم عصابة « الأرجون » وهو يودعه مع زملائه أقطاب العصابة يعقوب كوهين .. وافراهام شمويل :

– إلى اللقاء في إسرائيل المستقلة ..

كان هذا قبل أن تقوم إسرائيل ، وقبل أن تقرر اللجنة تنظيم فلسطين ، وقبل أن تقرر الأمم المتحدة منح أصواتها لمشروع التقسيم ..

وهكذا ذهب رئيس أكبر لجنة دولية في تقرير مصير فلسطين .. ذهب

يقابل زعماء عصابات الارهاب الصهيونية في مخابئهم ويستمع إلى وجهات نظرهم ويصفق لشجاعتهم .. ثم تبعه في ذلك بقية أعضاء اللجنة .. الدكتور « جرانادوس » العضو الجواتيمالي .. والبرفسور « فابريجات » عضو الأرجواي .. اللذان اجتمعا بأعضاء المنظمات الارهابية وقالا لأعضاء عصابة الأرجون :

ــ كان بودنا لو قررنا أن تصبح فلسطين كلها لكم ، لولا أننا لا نستطيع أن نطلب لكم أكثر من الحدود التي رسمتها الوكالة اليهودية في مطالبتها بتقسيم فلسطين بينكم وبين العرب ..

أما العضو الثاني البرفسور « فابريجات » فقد رفض الدعوة لحضور حفلة أقامها المندوب السامي البريطاني في فلسطين تكريماً للجنة ، بسبب ــ احتجاجه ــ على أحكام الاعدام التي كانت السلطات البريطانية في فلسطين قد أصدرتها ضد بعض المجرمين اليهود ..

لقد تذكرت الآن ، ما سمعته من الحاج أمين الحسيني عندما دعاني لمقابلته في منزله بمنشية الزيتون بالقاهرة في بداية عام ١٩٤٧ ، للبحث في ماذا سيكون عليه موقف العرب من اللجنة الدولية . فقد ذهبت لمقابلة المفتي بناء على دعوته ووجدت عنده أحد الأمراء اليمنيين . وقال لي الحاج أمين : لقد طلبت أن أراك لكي أكلفك بمهمة معينة . أريدك أن تسافر إلى فلسطين ، وتقابل الزعماء العرب هناك « راغب بك » و « أحمد حلمي » و « عبداللطيف صلاح » و « موسى العلمي » و « سليمان طوقان » و « عوني بك » .. وغيرهم وتنقل إليهم واحداً واحداً ما سأقوله لك . إن الأخبار التي وصلت إلينا من نيويورك تؤكد لنا أن معظم أعضاء اللجنة الدولية القادمة إلينا هم اما من اليهود ، أو من الصهيونيين ، ولهذا قررنا أن نقاطع هذه اللجنة ما دامت الغاية من مقابلتها أو الشهادة أمامها قد أصبحت معدومة ..

وسألني الحاج أمين :

ــ متى تستطيع أن تسافر ..؟

فقلت له :

ـ أستطيع أن أبعث بوجهة نظرك إلى أصدقائك وعلى الخصوص « راغب بك » دون حاجة للسفر ، وإني مقتنع تماماً بأن من حقنا أن نرفض الحق لأية لجنة أن تقرر مصيرنا ، لا لأن تلك اللجنة صهيونية فحسب ، بل لأن مصير فلسطين لا يقرره إلاّ أهل فلسطين .. وحدهم .:.

ما أبعد تلك الأيام وما أقربها إلى الحقيقة .!

بل ان هذه العصابة « الكبرى » لما تحولت إلى « دولة » لم تستطع إلا أن تحافظ على روح العصابة في وجودها وكيانها .. وأخلاقها .

ففي عام ١٩٦١ ، مثلاً ، أي بعد ثلاث عشرة سنة على قيام الدولـــة ، كانت اعتداءات « العصابة » المسماة إسرائيل على الحدود العربية ، كالآتي :

على	الحدود	السورية	بلغت	الاعتداءات	في	شهر	يناير	٢٠٩	اعتداءات
»	»	»	»	»	»	»	فبراير	٢١٠	اعتداءات
»	»	»	»	»	»	»	مارس	٣١٠	اعتداءات
»	»	»	»	»	»	»	إبريل	٣٢٥	اعتداء
»	»	»	»	»	»	»	مايو	٣٢٨	اعتداء
»	»	»	»	»	»	»	يونيو	٣٩٤	اعتداء
»	»	»	»	»	»	»	يوليو	٢٨٤	اعتداء
»	»	»	»	»	»	»	أغسطس	٢٢٨	اعتداء

أي ان « الدولة » اليهودية قامت بأكثر من ٢١٨٨ اعتداء على الحدود السورية منذ أول يناير ١٩٦١ حتى آخر أغسطس عام ١٩٦١ ..

فإذا أضفنا إلى ذلك أكثر من أربعمائة اعتداء على الحدود الأردنية من أول يناير حتى آخر أكتوبر من عام ١٩٦١ ، كان المجموع حوالي ٢٥٨٨ اعتداء في أقل من عام واحد ..

وهذه هي إسرائيل ..

هذه هي أخلاقها ، ودستورها ومعنى وجودها ..

بل هذه صفحات موجزة ، صادقة ناطقة ، من ماضيها وأيام مولدها ..

ويجب أن لا ننسى أنه بعد أن رفض العرب مشروع « موريسون » المتضمن إنشاء اتحاد عربي – يهودي في فلسطين ... ثم رفض العرب مشروع « بيفن » في يناير ١٩٤٧ ، المتضمن إنشاء عدة مناطق « مستقلة » في فلسطين تحت سيطرة حكومة مركزية لمدة خمس سنوات .. وفشل مؤتمر لندن في ١٤ فبراير عام ١٩٤٧ ،وأعلن بيفن أنه سيعيد القضية الفلسطينية برمتها إلى الأمم المتحدة لكي تنظر فيها خلال دورة سبتمبر من ذلك العام ، عندئذ وقف ونستون تشرشل .. البريطاني .. الصهيوني إياه .. وقال في مجلس العموم وكأنه يستنكر مثل هذه العملية التي يرى فيها « تأخيراً » و « تأجيلاً » لتحقيق المطالب الصهيونية :

– إنني أحتج على مثل هذا التأجيل .. وهل معنى ذلك أن تستمر الحكومة البريطانية في تحمل نفقات مائة ألف جندي بريطاني في فلسطين بما يقدر بحوالي ثلاثين إلى أربعين مليون جنيه إسترليني ..

ووقف بعده النائب العمالي الصهيوني البريطاني « ريشارد كروسمان » وكان فيما مضى عضواً في لجنة التحقيق الأنجلو– أمريكية ، وأيد احتجاج تشرشل في التأجيل قائلاً :

– إننا نفهم من بيان « بيفن » أن الموضوع لن يصل إلى حل قبل مضي مدة عامين ..

أجل .. فقد كان تشرشل ، وكان كروسمان ، وكان كل بريطاني ،يؤيد الصهيونية ، ويطالب بسرعة خروج الأنجليز من فلسطين بعد أن شعروا بأن قوة الارهاب الصهيوني قد وصلت إلى الحد الذي يمكن اليهود من فرض وجودهم في البلد .. إنهم يستعجلون الخروج ، لأن اليهود – هم – الذين كانوا يستعجلون الخروج .. لقد كان « بيفن » يحاول أن يكسب بعض الوقت الذي يحرره من ملاحقة ترومان ، وضغط تشرشل ، وصيحات

اليهودية العالمية .. ولكن اليهودية العالمية، ومن ورائها تشرشل ، ومن ورائها ترومان ، ومن ورائها الارهاب الصهيوني المتفشي فوق أرض فلسطين قد وضع بيفن في أحرج المواقف السياسية في عمره .. ولقد انبرت الصحف الصهيونية الاستعمارية في بريطانيا يومذاك كالصنداي اكسبرس ، تقول بصراحة : يجب أن تخرج بريطانيا من فلسطين . إن بريطانيا ليست كألمانيا النازية ولا تستطيع أن تقاوم الارهاب اليهودي بارهاب مثله .. ولكننا يجب أن نفضل الحل السريع ونخرج بسهولة وبسرعة .. ونسلم الأمر إلى سوانا ..

وعندما مضى اسبوع واحد ، وتفاقمت عمليات الارهاب الصهيوني وفرض الانجليز الحكم العرفي على فلسطين كمحاولة يائسة لمقاومة الارهاب ، وقف تشرشل .. نفس تشرشل في مجلس العموم وقال : « لماذا تعتقد الحكومة أن مثل هذه الإجراءات التي أعلنت أخيراً ، تكون أكثر فعالية من غيرها في الماضي ؟ »

يعني : ما الفائدة ؟

يعني : لماذا التعب ..؟

يعني : ارفعوا الرايات البيضاء واخرجوا .. فقد عاد الصهيوني الأكبر ، ونستون تشرشل ، في مجلس العموم يطالب بضرورة الإسراع في تحويل القضية إلى الأمم المتحدة ، والخروج من فلسطين .. لقد وقف كالمجنون في مجلس العموم ينادي : إلى متى سيستمر هذا الحال ..؟ وهل هناك طريقة ما لاستعجال الأمم المتحدة في نظر القضية ..؟ ومتى نستطيع أن نعرف بأن الأمم المتحدة ستتمكن من الاهتمام بمثل هذه القضية العاجلة ..؟

ويرد وزير المستعمرات المستر «جريش جونز» بلهجة المسكين .. الضعيف المتخاذل :

ـ حاضر .. حاضر يا مستر تشرشل .. فاننا نتابع الموضوع في نيويورك بكل سرعة وأرجو أن أستطيع أن أنقل إلى المجلس أخباراً جديدة في خلال اسبوع واحد على ضوء اتصالاتنا في نيويورك .

ويصيح تشرشل : بعد أسبوع ؟

ويرد وزير المستعمرات : أرجو ذلك ..

وهكذا لم يكد يطل أول مارس من عام ١٩٤٧،حتى كانت بريطانيا ترسل مذكرة مستعجلة إلى المستر « تريجفي لي » السكرتير العام للأمم المتحدة، تطالبه فيها بتشكيل لجنة«خاصة »،للتحقيق في قضية فلسطين قبل حلول موعد دورة الخريف في سبتمبر من ذلك العام ..

ومع هذا لم يسكت تشرشل ولم يهدأ ..

وحتى في خلال مناقشة مجلس العموم البريطاني لقضية « الهند » ، وقف تشرشل منادياً : « في هذه البلاد الصغيرة المسماة .. فلسطين .. علينا أن ننفق أموالنا .. ونحافظ على بقاء مائة ألف جندي بريطاني في أسوأ الحالات وأكثرها ألماً .. بينما ليس لنا في فلسطين أية مصلحة .. » .

عجباً ..

اليوم فقط لم يعد لمستر تشرشل مصلحة في بقاء قوات بريطانيا في فلسطين ..

اليوم فقط .. بعد أن تحقق الوطن القومي اليهودي ، وأنشئت المنظمات الارهابية .. وأدخلت الهجرة اليهودية برماح الأنجليز سبعمائة ألف يهودي إلى فلسطين .. وانتهى كل شيء .. قرر تشرشل ، أنه لم يعد للانجليز « مصلحة » ما في البقاء في فلسطين ..

ذلك ، أيها العربي ، هو معنى الحكم البريطاني ..

ذلك ، أيها الفلسطيني ، هو ثمن الشرف البريطاني ..

ذلك ، أيها التاريخ ، هو « الخلق السياسي » عند أعظم سياسي أنجليزي في القرن العشرين ..

أحقد .. واكره .. واذكر .. واستعد ..

ثم اعلم — أيها العربي — أن « التقسيم » الذي سرق منك وطنك ، وأقام دولة أجنبية في قلب بلدك .. كل هذا لم ينل موافقة الرجل الذي يتمتع اليوم بزعامة حزب « حيروت »،الذي يملك في البرلمان (الكنيست) اليهودي

اليوم ، سبعة عشر نائباً .. لأنه كان يريد «كل» فلسطين ، لا بعضها .. فهو صاحب الرأي الذي قال فيه بالحرف الواحد ، موجهاً الكلام من إذاعته السرية ، وفي النشرات التي وزعها على أفراد عصابته غداة التصويت على تقسيم فلسطين ، قال مناحم بيجن :

« إن تقسيم فلسطين قرار غير « شرعي » .. ولن نعترف به أبداً .. وكل امضاء يوقع عليه لا نقر بشرعيته ولا بسلطانه .. ولن يربط هذا القرار الشعب اليهودي بشيء .. إن القدس كانت وستبقى إلى الأبد عاصمة لنا .. وستعود عاصمة أرض اسرائيل إلى شعب إسرائيل.. كلها .. وإلى الأبد .. »

وقد تحول زعيم العصابة من ميدان القتل والنهب وسفك الدماء ، إلى العمل السياسي حيث أصبح زعيماً لحزب « حيروت » بعد قيادة عصابة « الأرجون زفـاي » ..

هذا الارهابي ، بذاته ، الذي لا يريد أن يكتفي ببعض فلسطين ، ولا يقبل إلا امتلاك فلسطين .. كلها ، قد وقف خطيباً بين أفراد عصابته،التي ذهبت لاحتلال مدينة يافا في مساء ليلة ٢٥ إبريل عام ١٩٤٨ ، وقال لهم بالحرف الواحد :

« يا رجال الأرجون : إننا ذاهبون لاحتلال يافا .. إننا ذاهبون إلى معركة فاصلة في حرب التحرير ، فاعلموا من هو أمامكم .. واذكروا من تركتم وراءكم . أمامكم عدو قاس « متوحش » ـ أي العرب ـ قام لتحطيمكم .. ووراءكم آباؤكم وإخوتكم وأولادكم .. فاضربوا عدوكم بقوة .. وصوبوا إلى الهدف المنشود ولا تفرطوا في ذخيرتكم .. ولا تظهروا للعدو أية « رحمة » .. فاذا استسلموا خذوهم أسرى ، وإذا رفضوا اقتلوهم .. وسيقودكم في هذا الهجوم اللفتانت جيدون «Gideon» وليس أمامكم إلا طريق واحد .. إلى الأمام .. »(١)

---

١ ـ الثورة ـ مناحم بيجن : ص ٣٥٤ .

وبالقنابل التي سرقها اليهود من القطار العسكري البريطاني على سكة حديد القدس [1]

ولمدة سبعة أيام طوال ، بكل ساعة منها ، بكل الإمدادات الحربية المستمرة على اليهود من تل‌أبيب .. ومن المستعمرات .. ومن الشاطىء ..

وقبل أن تسقط يافا الحبيبة بيد « الأرجون » ، كان الارهابي المجرم الذي أصبح فيما بعد،زعيماً ونائباً سياسياً ، يأمر برفع العلم الصهيوني على مئذنة جامع « حسن بك » الشهير بمدينة يافا ..

وكل هذا للتاريخ ..

للتاريخ جرائم الأرجون ، وشتيرن ، وزفاي‌لوامي . وكل إرهابي صهيوني مجرم من أمثال « ماكس نوردو » .. و « جوزيف ترمبلدور » و « جابوتنسكي » ... و « دوف جرونر .. » و « إبراهام » و « شمويل » و « بيجن » ..

للتاريخ ، إرهابي يذهب إلى مركز إذاعته السرية .. تحت سمع الحكومة المنتدبة وبصرها .. وفي ساحة « مايربارك » بقلب تل‌أبيب ، ويتوجه منها بخطاب إلى اليهود في عشية ١٤ مايو عام ١٩٤٨،يقول لهم فيه : « إذا افتقدنا السلاح سنجده .. حتى من أعدائنا .. وإذا افتقدنا الجيش ، سنخلقه .. إذا افتقدنا الاستعداد .. فالمعركة ذاتها ستعلمنا كيف نستعد . عليكم « فقط » بالمحافظة على معنوياتكم العالية وتضعوها ضمناً للدفاع عن مبدأكم الواحد الكبير .. فحافظوا على « حب » بلادكم وعلى تمسككم بحريتكم وستجدون عند الضرورة السلاح الذي تخوضون به المعركة .. »

للتاريخ ، مثل هذه الألفاظ العجيبة تصدر عن إرهابي مجرم جبان إلى شعب مجرم جبان ..

ولكن ..

---

١ – بالاتفاق – طبعاً – مع سائق القطار وحراسه ..

إن التاريخ لا يصنعه إلاّ أهله وأبناؤه ، وعلينا نحن ــ أن نحكم على مثل هذه الكلمات بالعدم ، والفناء ..

فنحن الذين علمنا عصابات صهيون معنى الثورة ..

نحن الذين أعطينا للدنيا دروساً في البطولات ..

نحن الذين أضربنا ستة شهور كاملة عن العمل ، وعن الحياة ، والتجأنا إلى رؤوس الجبال ، وقاومنا أكثر من أربعين عاماً في معركة مستمرة ، وحاربنا الانجليز ، والأمريكان ، واليهود . وتعرضنا للموت ، وللتعذيب ، وللخسائر .. فما ضعفنا ، وما استسلمنا ، وما هادنا ، وما تراجعنا ، بل صمدنا ــ وحدنا ــ في المعركة الطويلة ، نقدم للدنيا أمثال عزالدين القسام ، وأبو دية ، وحسن سلامة ، وعبدالقادر ، والزير ، وجمجوم ، وحجازي ومئات من الشهداء الأبرار الذين كانت حياتهم جهاداً ، وموتهم بطولة .

وإذا كنا قد خسرنا « معركة » واحدة ، في عام ١٩٤٨ ، فيجب أن نكسب كل معركة قادمة بيننا وبين أعدائنا ..

وإذا قالوا إن إسرائيل قد ولدت لتعيش .. قلنا إنها لن تعيش ..

لأننا لا نريد لها أن تعيش ..

لأننا لن ننسى شهداءنا وضحايانا وقبور اهلنا على ترابها ..

لأننا نحقد بكل قطرة من دمائنا على كل يهودي يحتل أرض فلسطين ..

لأننا نذكر الجرائم التي تعرضنا لها على أيدي المغتصبين المجرمين ..

لأننا نعرف أهوال الخطر الذي سيتعرض إليه أولادنا على أيدي « أولاد » هؤلاء المجرمين في المستقبل ..

لأننا عاشرنا القضية بألوانها في الماضي واستخلصنا منها الدروس الدامية للغد القريب ..

لأننا نرى في النكبة ، والتشرد ، عاراً علينا .. ولا بد لنا .. لا بد لنا .. لا بد لنا .. من أن نغسل هذا العار .!

الضربات التي لا تقتلنا تقوّينا ..

« ليست هذه المرة الأولى التي يطرد فيها شعب من دياره فراراً من الموت . ففي القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد، طرد شعب من مملكتين صغيرتين في فلسطين . هما : اسرائيل ويهوذا ، الى مكان لا يتفق وحدود دولة اسرائيل الراهنة. وانها لمأساة من مآسي الضمير ان يرتكب احفاد اليهود الذين طردوا مرة من بلادهم في حق عرب فلسطين في ايامنا هذه ألوان الاضطهاد التي عانى منها اجدادهم .. »

« ارنولد توينبي »

١٩٦١



« .. كان اول قرار اصدره المندوب السامي البريطاني – اليهودي – هربرت صموئيل – اول مندوب سام على فلسطين – هو العفو عن المجرم الصهيوني جابوتنسكي ! »

القدس « يوليو »

١٩٢٠

« اليوم إلى سفارتنا .. وغداً ، إلى بلادنـــا .. ! »

وبكوا !

ورأيت في حماستهم واندفاعهم سيلاً من الانفعالات العاطفية ..

وكانت صرخاتهم تدوي في شوارع موسكو مخلوطة بالبكاء تقول :

ـ غداً إلى إسرائيل .. غداً إلى القدس !

وكانوا يسيرون صوب المفوضية الإسرائيلية الجديدة ..

وكانت تنتظرهم هناك السيدة « جولدا مايرسون »، رئيسة أول بعثة دبلوماسية من إسرائيل إلى الاتحاد السوفييتي ، والسيدة التي أصبحت فيما بعد وزيرة خارجية إسرائيل .. وكان يوماً مشهوداً من أيام شتاء ١٩٤٨ ، وكان اليهود يحتفلون بعيد « روش هاشانة » أي رأس السنة اليهودية، عندما استبدت بهم موجات الهستيريا العاطفية فرفعوا الأعلام ومشوا بها إلى أول مفوضية لهم في الاتحاد السوفييتي ..

.. كلام قديم تردد ذات يوم في أروقة الأمم المتحدة خلال الحديث عن إسرائيل .. كلام عمره أكثر من عشر سنوات ، أريد أن يفسر به قصة اليهودي التائه المتشرد وهو يبحث عن نهاية لتشرده واضطهاده ..

وهو كلام ، أردت من وراء نشره اليوم،أن أقول بأن الهجرة اليهودية من أية بلاد في العالم،بما فيها الاتحاد السوفييتي ،إنما هي قصة قديمة .. لم تبدأ من يناير في هذا العام وإنما بدأت مع بداية إسرائيل : الشر أنبت شراً ، والنكبة ولدت نكبات ..

والتاريخ واضح صريح .

وكل اليهود الذين تولوا مناصب رفيعة في بلاد الاتحاد السوفييتي قد خرجوا منها مطرودين ومتهمين بالخيانة ..

واحد إسمه : إيفان مايسكي ..

وواحد إسمه : ماكسيم ليتفينوف ..

والإثنان خرجا بأبشع تهمة من وزارة الخارجية السوفييتية ..

والكراهية لليهود في جميع دول أوروبا الشرقية بدأت قبل أن يظهر هتلر وتبدأ النازية .. إن الدعاية النازية قد حافظت على إبقاء شعلة الكراهية ضد اليهود ، ولكنها لم تبدأ في إشعالها ..

لم يستطع اليهود الفوز بثقة الاتحاد السوفييتي حتى في الأيام التي كانت عصاباتهم تقاتل الإنجليز،عقب الحرب العالمية الثانية في فلسطين .

لقد حاول اليهود أن يلعبوا بميزان القوى الدولية ففشلوا ! حاولوا وضع أنفسهم وكيانهم كله ، لعبة في أيدي موسكو مقابل المال ، والسلاح والتأييد المعنوي الدولي ، فأعطوا كثيراً ولم يأخذوا إلا القليل القليل ..

إتجه اليهود إلى أمريكا .. رسموا مشروع الخمس سنوات .. وضعوا الخطوط العريضة لميزانياتهم القادمة .. نفضوا أيديهم مرغمين من التعامل مع دول الاتحاد السوفييتي . استمعوا في ألم ويأس إلى واحد منهم .. إلى الكاتب اليهودي السوفييتي الشهير « إيليا أهرنبرج » يقول في جريدة « برافدا » ٢١ أكتوبر ١٩٤٨ : « يجب أن نضع حداً حاسماً لأي تفكير في أية هجرة يهودية من هذه البلاد إلى إسرائيل،ويجب أن تكون إجراءاتنا حول هذا الموضوع صارمة وسريعة .. » .

أرسل اليهود وفودهم الرسمية من تل‌أبيب إلى دول أوروبا الشرقية عقب قيام دولتهم مباشرة ، من أجل القيام بعمليات إحصاء لعدد اليهود في كل دولة من دول أوروبا الشرقية .. فجاءت تلك الإحصاءات كما يلي :

في بولونيا	٨٠	ألف يهودي
في رومانيا	٣٠٠	ألف يهودي
في المجر	٣٢٠	ألف يهودي
في تشيكوسلوفاكيا	٥٠	ألف يهودي

بالإضافة إلى مليوني يهودي في الاتحاد السوفييتي ..

وجد اليهود في دولتهم الجديدة – إسرائيل – الجواب العملي الذي يردون به على الجمهورية اليهودية « في منطقة » « بيردبيدجان » في الاتحاد السوفييتي . قالوا إن تلك الجمهورية كانت لعبة أريد بها الرد على الدعوة الصهيونية لإنشاء دولة مستقلة في فلسطين .. طوى اليهود صفحة تلك الجمهورية ولم ينسوا أن لهم فيها ٢٢ ألف يهودي يتطلعون إلى الهجرة للخارج .

كانت الوكالة اليهودية في فلسطين هي الجهاز المسؤول عن تيسير هجرة اليهود إلى فلسطين أيام الانتداب البريطاني . وكان لهذه الهجرة صندوق مالي خاص تجمع فيه التبرعات من أنحاء العالم ، ومراكز خاصة في فرنسا وإيطاليا وسويسرا . وبعد أن قامت إسرائيل ، أصبحت أمريكا هي الممول الأول لصندوق هجرة اليهود من أطراف العالم إلى إسرائيل وبقيت مراكز الهجرة في إيطاليا والنمسا وفرنسا ..

ويأتي السؤال الثاني : في أية بقعة من فلسطين سيسكن هؤلاء المهاجرون الجدد .. ؟

الجواب : في منطقة النقب ..

وفي المناطق الباقية من سهل « إبن‌عامر » بين يافا وحيفا .. حول طبريا ..

والحولـــة .!

وأيـــن ؟

صحيح أيـــن ؟

هنا تبدأ مقدمة المؤامرة ..

في فلسطين ، أقلية عربية قوامها مائتا ألف عربي ، يعيش معظمهم بالقرب من مدينة « الناصـــرة » ..

وفي إسرائيل اليوم ، وزارة خاصة تسمى – يا للتعاسة – وزارة الأقليات تشرف على تنظيم البوليس « العربي » في إسرائيل والأملاك العربية في إسرائيل ، والعمال ، والفلاحين ، والمصالح العربية في البلد المغتصب ..

وإسرائيل ، من أجل قذف تلك الأقلية إلى خارج حدودها ، ستمشي في سياسة :

أحرجهم .. ثم اخرجهم ..

إحراج .. ثم إخـــراج ..

وهاتوا – يا أبناء الأقلية العربية في إسرائيل – أولادكم إلى الجنديـــة في صفوف الجيش الإسرائيلي .. إدفعوا بناتكم الصبايا المسلمات العربيات إلى الاستعراضات العسكرية في أعياد إسرائيل .. وإذا تبقى لديكم أي دخل مالي ، فالضرائب المتصاعدة لكم بالمرصاد .. إن هناك ٣١٨[١] مليون ليرة تجنيها إسرائيل من الضرائب المباشرة . وهناك ٤٧٩ مليون ليرة إسرائيلية أخرى تجنيها إسرائيل من الضرائب غير المباشرة . وهل يعجبكم هذا الحال يا عرب إسرائيل؟ حرام عليكم حرية التنقل في أراضي أجدادكم وآبائكم، حرام عليكم الاحتفال بأعيادكم .. حرام عليكم الانضمام إلى أية جمعية تحافظ على حقوقكم . وإذا تجرأ أحد ممثليكم في مجلس البرلمان اليهودي – الكنيست – وتطاول على الحكومة فإن جواب بنغوريون لـــه :

---

١ – هذا الرقم ينطبق على الفترة ما بين عام ٥٥ – ٥٧ .

– اخرس يا جبان .. يا ممثل الطابور الخامس . !

هذا حاضركم .. وهكذا مستقبلكم .. يا أبناء الأقلية العربية في إسرائيل ...

إحراج .. إحراج .. إحراج .. ثم يأتي دور التنفيذ . يأتي دور الطرد والإخراج .. رويداً ، رويداً ، يخرج المائتا ألف عربي من إسرائيل لكي يفسحوا المكان لمائتي ألف يهودي مهاجر جديد من رومانيا أو المجر ..

والمبشرون المسيحيون الذين زاروا إسرائيل وتفقدوا أحوال الطائفة المسيحية هناك ، عادوا وعلى ألسنتهم قصص الألم والعذاب ..

ومجلة « الرابطة المسيحية » التي تصدر عن الطائفة المسيحية هناك ، تكتب مقالات الطرد والتعذيب ، بالصور والأسماء والأرقام ..

والعالم الذي سمع بوجه واحد فقط من النكبة ، هو وجه اللاجئين العرب الذين خرجوا من فلسطين ، سيسمع قريباً .. قريباً جداً ، بالوجه الآخر من النكبة ، وجه العرب الذين بقوا في فلسطين حتى اليوم ، وسيخرجون منها قريباً تحت ضغط الهجرة اليهودية الجديدة إلى بلادهم ..

والسؤال الثالث : ماذا وراء هذا الطوفان الجديد ؟

إثارة المتاعب ؟

متاعب مـــن ؟

متاعبنـــا ؟

الاعتداء على أرضنا ؟

التوسع على حسابنا ؟

لا .. أنا أقول متاعبهم .. متاعب إسرائيل .. متاعب الذين سمحوا بهذه الهجرة إلى إسرائيل .. متاعب اليهود بالذات ..

فقد تستطيع إسرائيل أن تحصل على مبلغ الخمسمائة مليون دولار من المواطن الأمريكي لتنفق كل دولار منها على هجرة هؤلاء اللاجئين ..

قد تحقق حلم إسرائيل في أن يصل عدد المهاجرين إليها من رومانيا مثلاً خلال شهر فبراير من عام ١٩٥٨ ، إلى ٨ آلاف مهاجر جديد ، وخلال

شهر مارس ، عشرة آلاف مهاجر .. حتى يصل الرقم إلى الحد الذي يحقق تماماً آمال دافيد بن‌غوريون .. وجولدا مايير .!

فقد تقفز إسرائيل إلى السير في طريق تحصين حدودها بمساعدة هؤلاء المهاجرين الجدد .. تبني الاستحكامات في منطقة النقب . . تبني القلاع والمراكز العسكرية في منطقة الجليل .. تبني المستعمرات المحصنة على طول خط الهدنة الأردنـــي ..

وقد تفعل إسرائيل ، هذا ، وأكثر من هذا ..

ولكن ..

هل انتهت المشكلة ؟

لا ...

بل أنا أقول ، إنها بدأت !

بدأ الصراع الديني بين اليهود الأرثوذكس الذين يؤمنون بأن التوراة هي وثيقة أزلية نزلت على موسى ، واليهود المحافظين الذين يخضعون التوراة إلى تفسيراتهم واجتهاداتهم .. للوصول إلى مفهوم الزمن الحاضر ! بين اليهود المتعصبين واليهود المعتدلين الذين يفصلون بين الدنيا والدين والروح والشكل ...

بدأ الصراع بين حزب « الماباي » — حزب العمال اليهودي، في أرض إسرائيل — وحزب المابام (العمال المتحدين) ! بدأ الصراع بين « الكتلة الدينية المتحدة » .. وبين المتطرفين ..!

بدأ الصراع بين حزب « حيروت » المتطرف الإرهابي الذي ينادي من النيل إلى الفرات ، وبين المعتدلين اليهود .. ثم بين هذا الحزب من جهة ، ومنظمة « الهستدروت » العمالية اليهودية من جهة أخرى ..

صراع بين العمال والمزارعين ..

صراع بين الحزب التقدمي الصهيوني والحزب الصهيوني الحر ..

ثم ...

صراع العادات والتقاليد .! صراع بين يهود اليمن ويهود أمريكا .! صراع بين اليهودي الغني واليهودي الفقير .! بين يهود جاءوا من بولونيا ويهود جاءوا من المانيا .! بين مدنية القرن العشرين ، وعقلية القرون الوسطى ! بين الاباحية والتزمت .. بين العري والتعصب ، بين المحافظة على عطلة يوم السبت ، وفتح المقاهي والكباريهات من شروق يوم السبت حتى غروبه ..

واليوم يتضاعف هذا الصراع ..

كان الحزب الشيوعي في إسرائيل لا يملك حتى أمس القريب أكثر من ٤ مقاعد في البرلمان بالإضافة إلى مقعدين للجبهة الديمقراطية العربية (الشيوعية) ..

أما اليوم ..

فمرحباً بالمهاجرين الجدد من رومانيا وبولونيا وبقية دول أوروبا الشرقية ..

مرحباً بالصراع الجديد .. بالمتاعب الجديدة .. بالخميرة الجديدة التي ستولد لإسرائيل المزيد من القلق ، والمشاكل والانقسامات ..

وقال دافيد بن‌غوريون ، إنه « مبسوط » !

لا نظن .. إنه مبسوط !

فقد جاء الأمر كله ، مفاجأة له ..! ومفاجأة من حيث المال الذي لا يملكه للانفاق على هذه الهجرة الجديدة ..! مفاجأة من حيث الوسائل ، والأرض ، والإمكانيات ..! مفاجأة من حيث الاستيعاب النفسي قبل الاستيعاب الجغرافي .

أما نحن ..

فقد قاومنا إسرائيل كفكرة .. منذ نصف قرن أو يزيد !

وقاومناها كدولة .. منذ خمس عشرة سنة أو أقل ..!

وسنقاومها كـ« مزبلة » دولية تتجمع فيها قاذورات العالم بأسره .. إلى ما شاء الله .

وبقيت كلمة ...

هل نلوم إسرائيل وهي تدق أبواب العالم لكي تفتح أبوابها وتسمح لليهود المقيمين فيها بالهجرة إلى .. إسرائيل ؟؟

أنا أعلم وكل عربي يعلم ، أن دافيد بن‌غوريون منذ اللحظة الأولى التي جاء فيها إلى الحكم،في مطلع عام ١٩٥٥،وهو يسعى لإيجاد الطريقة التي يفرض بها الصلح على العرب ..

الصلح بالطرق السلمية ..؟

لا .. الصلح بالاعتداء .! بالحرب الوقائية .! بالإنذارات ...! بالتهديد .! بالوعيد .! ثم بالعدوان الثلاثي المعروف.

وفشل دافيد بن‌غوريون عـــلى طول الخط ..

وأصبح الصلح بين العرب وإسرائيل بعيداً ، أكثر مما كان عام ١٩٤٩ ..

وفتش بن‌غوريون عن «خاتمة لامعة» ينهي بها حياته السياسية ...

لقد عجز عن تحقيق السلم .. فليفتش عن شيء آخر ..

شيء يهيء لإسرائيل جيشاً أكبر ..

ولجمهورية إسرائيل شعباً أكثر ..

شيء ، يلهي به شيخ الإرهابيين شعبه ، ويقاوم به معارضيه ، ويتوج به تاريخـــه ..

شيء يقول لليهود : لقد عجزت اليوم عن أن أحقق لكم السلام مع أعدائكم،وها أنا أعد لكم السلاح لكي أفرض هذا السلام فرضاً ، وبالقوة. فيما بعد .. بعد عامين ، ثلاثة ، أربعة على أبعد تقدير ..

شيء مسرحي يمثل بن‌غوريون بشعره الأشعث وأنفه المعكوف وقامته القصيرة ووجهه الأحمر، وقد ارتدى البنطلون القصير ، ومد يديه الاثنتين يفتح بهما باباً كبيراً ...

باب الهجرة اليهودية من دول شرقي أوروبا .. ودول غربي أوروبـــا .! مرة أخـــرى ..

هل تلومونـــه ؟

هل تلومون دافيد بن‌غوريون ..؟

إن الرجل لم يحاول يوماً أن يخفي مطامعه وأغراضه . إن صحف حزبه ومنظماته تنشر الأرقام « المخيفة » عن مدى انتشار الوباء الصهيوني داخل الوطن السليب. فتقول، بمناسبة عيدهم الرابع عشر، إن عدد السكان في عام ٤٨ ـ ٤٩ كان سبعمائة وتسعين ألف نسمة.. وهو اليوم في أواخر عام ١٩٦١ حوالي ٢ مليون و ٢٣٢ ألف وثلاثمائة نسمة .. كانت الأرض المزروعة عام ٤٨ ـ ٤٩ تبلغ حوالي ٤١٢ ألف هكتار . وتبلغ مساحة الأرض المزروعة في عام ١٩٦١ ما يزيد عن مليون ومائة ألف هكتار .! كانت الأرض المروية في عام ٤٨ ـ ٤٩ حوالي ٧٥ ألف هكتار ، وبلغت الأرض المروية في عام ١٩٦١ حوالي ٣٥٠ ألف هكتار .! كانت كمية المياه المستهلكة في عام ٤٨ ـ ٤٩ حوالي أربعمائة مليون متر مكعب من الماء ، فأصبحت في عام ١٩٦١ حوالي ألف ومائة وخمسين مليون متر مكعب من الماء.. ! كانت الصادرات في عام ٤٨ ـ ٤٩ تبلغ حوالي عشرة ملايين استرليني ، فأصبحت في عام ١٩٦١ حوالي ٨٥ مليون جنيه استرليني .! كانت لإسرائيل في عام ٤٨ ـ ٤٩ حوالي أربعة سفن ، فأصبح لإسرائيل في عام ١٩٦١ حوالي سبعين سفينة .. كان أسطول إسرائيل التجاري يحمل في عام ٤٨ ـ ٤٩ حوالي ستة آلاف طن ، فأصبح محمول أسطول إسرائيل التجاري في عام ١٩٦١ حوالي ستمائة وأربعين ألف طن .! كان عدد تلاميذ إسرائيل في عام ٤٨ ـ ٤٩ حوالي مائة وثلاثين ألف تلميذ ، فأصبح عدد التلاميذ في المدارس الإسرائيلية في عام ١٩٦١ حوالي ستمائة ألف تلميذ ! كان لليهود في عام ١٩٤٨ حوالي ستة آلاف معلم ، فأصبح لإسرائيل في عام ١٩٦١ حوالي ثلاثة وعشرون ألف وخمسمائة معلم .!

هذه هي الأرقام بعد مرور ١٤ سنة على قيام إسرائيل ..

فماذا يكون عليه الحال بعد مرور خمسين سنة على قيام إسرائيل ؟

وعلى حساب من سيكون التوسع ؟

ومن مياه من ، سيروون « صحراءهم » .. في النقب ؟
ومن حقوق من ، سيأكلون ويعيشون ويبقون ؟

إن إسرائيل لم تحاول أن تخفي أغراضها وأحلامها وأهدافها التوسعية المطلقة .. ولكننا نحن .. نحن الذين ما زلنا نتجاهل هذه الأغراض وتلك الأحلام ..

إن إسرائيل تقول: إن حدودها يجب أن تمتد من النيل إلى الفرات .. وعلينا نحن أن نفهم معنى هذا الكلام ..

إن إسرائيل تقول إنها ستفرض الصلح على العرب .. وعلى العرب فهم سر هذا القول ..

إن القرار رقم « ١٢ » من مقررات المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين المنعقد في الأسبوع الأخير من عام ١٩٦٠، يقول بالحرف الواحد : « إن المؤتمر يهاجم بشدة منع الشعب اليهودي من مباشرة حقوقه كاملة في الذهاب إلى الأماكن المقدسة وخاصة إلى حائط المبكى في القسم القديم من « أورشليم » الذي تشرف عليه الحكومة الأردنية .! » وعلى العرب إدراك معنى مثل هذا القرار .!

أريد أن أقول : إننا ما زلنا في حالة حرب مع إسرائيل ..

ويجب على كل «فلسطيني» أن يحافظ على استمرار وجود هذه الحالة مادياً ونفسياً وسيكولوجياً وعسكرياً واقتصادياً، حتى تعود إليه بلاده ، أو يعود هو إليها .. سيّداً !

يجب على كل فلسطيني أن يحافظ على جذوة العداء مشتعلة في قلبه، حتى ينتزع الدولة المفتعلة من جذورها .!

ولكي نعرف حقيقة « الجذور » التي تستمدّ منها إسرائيل أسباب الحياة ، يجب أن نعرف موقف الدول الكبرى ، منا ، ومن الصهيونية العالمية كحركة ، ومن إسرائيل كدولة ..

وعلى ضوء معرفتنا ، نقرر موقفنـــا ..

وعلى ضوء هذا الموقف ، نقرر معركتنـــا ..

فليس صحيحاً مثلاً – أن بريطانيا قد تنازلت عن تمسكها بإسرائيل . إن الصحيح أن إسرائيل – بعد الحرب العالمية الثانية وبعد انتقال ميزان القوى من بريطانيا إلى أمريكا – قد تنازلت ، هي ،عن تمسكها ببريطانيا .!

ولم يعد غريباً على أحد الدور الحقير الذي لعبه الاستعمار البريطاني في احتلال فلسطين أولاً ، ثم إعطاء وعد بلفور ثانياً ، ثم وضعها تحت الانتداب البريطاني في ٢٤ يوليو عام ١٩٢٢ ثالثاً ،ثم تسخير كل أساليب الدولة وإمكانياتها من أجل ضمان تنفيذ الوعد المشؤوم ، رابعاً، ثم ترك البلاد والتخلي عـــن المسؤوليات، عندما نضجت الثمرة وأوشكت أن تسقط كاللقمة السائغة بأيدي الصهيونية والنفوذ الأمريكي .. خامساً .. وكل ما رافق ذلك من لجان ملكية وغير ملكية ، بريطانية وأنجلو – أمريكية ، تأتي وتعود ، وتبحث وتقرر ،وكل واحدة تلعن التي قبلها ، وكل قرار ينسف القرار الذي سبقه ، وكلها لجان استعمارية منكودة، لم تذهب لكي تثبت حقاً ، أو تخدم قضية ، أو تقيم عدالة ،بل ذهبت لكي تجد باباً « شرعياً » أو شبه شرعي تخدم بـه الصهيونية وتحقق جزءاً آخر من أحلامها ..

ويجب أن لا ننسى أن بريطانيا هي التي – بمساعدة تشرشل – قد خلقت الفيلق اليهودي العسكري في الحرب الأخيرة وجعلت منه أداة صالحة للدفاع عن الدولة الجديدة عند قيامها ..

ويجب أن لا ننسى أن بريطانيا قد سحبت قواتها العسكرية من فلسطين ، قبـــل شهر ، وشهرين ، من موعد نهاية الانتداب ، تاركة الميدان مفتوحاً أمام العصابات الصهيونية كي تقتل ، وتذبح ، وتحتل ..

ويجب أن لا ننسى أن بريطانيا،هي إحدى الدول الثلاث التي اشتركت في وضع التصريح الثلاثي في ٢٥ مايو عام ١٩٥٠ والذي يهدف إلى ضمان خطوط الهدنة القائمة بين العرب وإسرائيل .

ثم يجب أن لا ننسى ، أن بريطانيا ، عندما بحثت عن حليف يشترك معها في ضرب القاهرة عام ١٩٥٦ ، لم تجد أمامها سوى .. إسرائيل .

هكذا كان موقف بريطانيا في الماضي ..

فما هو موقف بريطانيا في الحاضـــر .؟

موقف بريطانيا تجاه إسرائيل يحمل اليوم طابعاً تجارياً واقتصادياً بالإضافة إلى الطابع السياسي .. إن معظم أصحاب الأموال في بريطانيا قد وظفوا أموالهم في الشركات اليهودية في إسرائيل ، ومن هنا يهمهم أمر الدفاع عن هذه الأموال في هذه الشركات .

كما أن الكثيرين من أعضاء مجلس العموم البريطاني،ما زالوا متأثرين بالدعاية الصهيونية والعطف على إسرائيل ، إما بسبب اللون « العمالي » الاشتراكي الذي يحمله هؤلاء الأعضاء وما يقال عن ارتباط هذا اللون باللون العمالي الاشتراكي في إسرائيل ، وإما لسبب كراهية هؤلاء الأعضاء للعرب ، وإما لسبب ميول بعض اللوردات الاستعمارية المعروفة ، وأما لسبب جهل القضية العربية وتفاصيلها ..

وليس من الصعب أن نجد العلاج لكل حالة من هذه الحالات . فصاحب المال البريطاني ، لن يستمر في توظيف أمواله في إسرائيل إذا عرف أن ميزان الأمن في تلك الدولة قد اختل ، وأنها أصبحت تعيش في موجات مـــن الذعر والإرهاب ..

وأما بقية الحالات ، فإن الرد عليها وإيجاد العلاج لها ، قد تضمنتـــه صفحات أخرى في فصول مختلفة ، من هذا الكتاب .

ثم نصل إلى البحث في دور الولايات المتحدة الأمريكية وموقفها من هذه القضية ..

ولا يهمنا تفاصيل الماضي البعيد ، بقدر ما يهمنا أن نجعل نهاية الحرب العالمية الثانية نقطة بداية لارتباط الولايات المتحدة بالقضية الفلسطينية .

ففي الحرب الأولى مثلاً ، أيد الرئيس « ولسن » ، في ١٦ ديسمبر عام

١٩١٧ ، وعد بلفور .. ثم أعقب ذلك التأييد الرسمي الأمريكي للمطالب الصهيونية في مؤتمر الصلح .. ولكن لا هذا .. ولا ذاك .. استطاع أن يترك أثراً بارزاً في مجرى القضية الفلسطينية ومصيرها إلى أن اشتركت أمريكا في الحرب العالمية الثانية وخرجت منها بصورة تستطيع معها أن تفرض رأيها على خريطة العالم ..

ففي ديسمبر ١٩٤٥ ، كانت الولايات المتحدة – لأول مرة – تشترك اشتراكاً فعلياً في لجنة التحقيق الأنجلو – أمريكية لفلسطين بستة أعضاء أمريكيين .. اختارهم الرئيس الأمريكي ترومان وأعطاهم التوصيات اللازمة بضرورة فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ، تمهيداً لإعلان قيام دولة إسرائيل في فلسطين .

ولا نريد أن نسبق ذلك ونشير إلى التنافس المزري في تأييد قـرارات المؤتمر الصهيوني المنادية بإنشاء الدولة اليهودية في ١١ مايو ١٩٤٢ ، بـين الرئيسين روزفلت ، ومنافسه « ديوي » خلال الحملة الانتخابية .

نكتفي فقط ، بالقول إن الرئيس فرانكلين روزفلت ، في سائر وعوده التي قطعها للملك عبدالعزيز آل سعود ، وللعرب ، لم يكن صادقاً ولا شريفاً ..

ونكتفي بالقول إن الرئيس « ترومان » قد استطاع أن يجعل من الولايات المتحدة الأمريكية في عهده – ولاية صهيونية مائة في المائة .. تعترف بقيام إسرائيل بعد ٥ دقائق من انتصاف ليل ١٥ مايو ١٩٤٨ .. وتمنحها « كل » ما احتاجت إليه من مال ورعاية ، ونفوذ ، وأسلحة ، وسندات ، وأصوات دوليـة ...!

ونكتفي بالقول إن الضغط الأمريكي المتواصل العنيف على « لندن » هو الذي أطار صواب المستر « بيفن » ودفعه إلى فكرة التخلي عن فلسطين بالإضافة إلى الضغط العمالي الصهيوني على « بيفن » من رجال صهيونيين « كريتشارد كروسمان » وغيره ...

ونكتفي بالقول إن « ترومان » شخصياً هو الذي أفسد جميع محاولات

العرب وأصدقائهم للقضاء على فكرة الدولة اليهودية قبل وبعد التصويت عليها في الأمم المتحدة ..

ونكتفي بالقول إن الولايات المتحدة الأمريكية، هي التي أصدرت في دورة ١٩٥٢ للأمم المتحدة، قراراً تطلب فيه من الدول العربية وإسرائيل التفاوض من أجل إقرار الصلح الدائم ..

فإذا ما جاء « إيزنهاور » إلى كرسي الرئاسة ، وظن العرب أن موقف أمريكا العدائي سيتغير بتغير « الشخص » و « الحزب » الحاكمين إذ بالمستر « دالاس » وزير الخارجية يظهر على مسرح السياسة ويحاول معالجة القضية على الطريقة الأمريكية . فيزور الشرق الأوسط ، ويمر بالقدس ويهدد إسرائيل بمنع المعونات إذا لم تتوقف عن تحويل الأردن في عام ١٩٥٣ . ثم يعلن أنه يرى « توطين » اللاجئين العرب في البلاد العربية . وهكذا .. وبلا مقدمات .. ثم بتوزيع مياه الأردن وجداوله عن طريق خبير إسمه أريــك جونستون ..

وفي عام ١٩٥٥ .. وبالتحديد في صيف ذلك العام ، ألقى « دالاس » خطاباً حول القضية في لجنة الشؤون الخارجية الأمريكية ، طالب فيه بإعادة « جزء » من اللاجئين ، وتوطين الأجزاء الباقية ، وأن تدفع إسرائيل تعويضاً لغير الراغبين في العودة ، وبنشر راية الثقة بين العرب واليهود ، وإيجاد حدود دائمة بين الفريقين العربي واليهودي ..

ولكن اقتراحات دالاس ، كغيرها ، كصاحبها ، ذهبت ، وذهب هو ، مع الريح ، وبقيت القضية قائمة .

ذلك هو الموقف الماضي ..

فما هو الموقف في الحاضر ، وفي المستقبل ؟

الجواب بسيط : إن « عامل » الحالة الدولية والحرب الباردة بين المعسكرين الكبيرين ، قد أصبح جزءاً لا يتجزأ من الحالة في الشرق الأوسط .. وبالتالي فإن ما قام به ترومان عام ١٩٤٩ لا يستطيع أن يقوم بمثله كنيدي في عام

١٩٦٢ .! وإلاّ ..

وإلاّ .. ماذا ؟

على العرب أن يفهموا تماماً قيمة الحرب العالمية الباردة .! على العرب أن يستغلوا – تماماً – وجود هذه الحرب الباردة .! على العرب أن يقدروا تماماً فرصة هذه الحرب الباردة .!

نحن طلاب سلام للعالم ، كله . ولكنا لسنا طلاب سلام في فلسطين .! نحن نريد للحرب الباردة أن تنتهي وأن ينعم العالم بالرخاء والاستقرار .. ولكن ليس على حساب أن تبقى إسرائيل ، وتقوى ، وتشتد ، وتتوسع ! نحن « نجنح للسلم » إذا جنحوا « هم » لها .. ولكنهم إذا لم يجنحوا ، لن نجنح ، وسنبقى نهدد ، ونتوعد ، ونستعد للجولة القادمة .! نحن نرى أن القوى العالمية هي التي أقامت إسرائيل – أو على الأقل كانت صاحبة اليد الطولى في إقامتها – ولذلك ، فإن على العرب أن يدرسوا حقيقة هذه القوى .. ويفهموها .. ويخططوا مستقبلهم على ضوئها .. ويستغلوها .! أنا أسأل الله أن تبقى الحرب الباردة ، قائمة ، ما بقي عربي واحد مشرداً عن بلده ، وما بقى قطر عربي واحد ، يئن تحت ظلم الاستعمار ...

أما فيما يختص بفرنسا ، فإن حاضرها منذ عام ١٩٥٣ إلى عام ١٩٦٢ في تأييد إسرائيل ورعايتها ومدها بالسلاح والمال والخبراء ، كان أخطر وأكثر شراً على العرب ، من دورها في بناء إسرائيل أو التمهيد لقيام « الدولـــة » أو مساعدة تنفيذ وعد بلفور في السنوات التي سبقت بدء مشكلة الجزائر وقيام الحرب الجزائرية وتحديد معاني العداء بين العرب من جهة وفرنسا من جهة أخرى .

وكانت علاقة فرنسا بفلسطين – إلى ما قبل عام ١٩٥٠ – محصورة بالاهتمام في أمر الأملاك والمقدسات والكنائس والمدارس الفرنسية في القدس . وكان القنصل الفرنسي في القدس – بموجب الأمر الواقع « Status quo » يعتبر نفسه حامي الأرض المقدسة وراعي القدس . ولكن هذه العلاقة

قد تطورت إلى معناها السياسي عندما زجت أمريكا وبريطانيا بالحكومة الفرنسية في الاشتراك بإصدار التصريح الثلاثي المعروف في ربيع عام ١٩٥٠ .. ثم ما تبع ذلك من بدء الصراع السياسي بين فرنسا من جانب ، والعرب كلهم من جانب ، لسبب قضايا الدول العربية في شمالي افريقيا .. وفي مقدمتها قضايا المغرب وتونس والجزائر .

اذكر في ذلك العام ان سفير فرنسا في اسرائيل قد قدم أوراق اعتماده الى رئيس جمهورية اسرائيل وأدلى بتصريح الى جريدة « صوت اسرائيل » Echo D'Israel ، التي تصدر باللغة الفرنسية ، وقال فيه : « نحن أصدقاء أوفياء اشداء لكم .. ولكن بصمت » ..

We are good, sure, but silent friends ..

وكان يعني بذلك أنه لا يريد أن يكشف عن موقف فرنسا الودي الأكيد تجاه إسرائيل ، لئلا يسبب بذلك حرجاً للقضايا الأخرى المعلقة بين فرنسا والعرب. ولكن هذا « الصمت » الذي عناه السفير الفرنسي قد تحول في عام ١٩٥٥ إلى صراخ وزعيق وعداء علني .. حيث بدأت فرنسا تمد إسرائيل بالأسلحة والمساعدات ، وحيث أصبح بن غوريون يطرق باب الجنرال ديغول في كل عام ، وحيث اشتركت فرنسا مع إسرائيل في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، و حيث فتحت فرنسا أبواب مستعمراتها ، كلها ، أمام الخبرة والتجارة والدعاية الإسرائيلية .

وقد تسنى لي خلال زيارتي لفرنسا ، في السنوات الأخيرة ، أن أتبين مدى تغلغل النفوذ الصهيوني في الدوائر الفرنسية العليا بسبب احتلال تلك الدوائر من أشخاص يهود يعتنقون الفلسفة الصهيونية ، وينتمون إلى أحزاب ومؤسسات صهيونية ، أمثال « ميشال دوبريه » رئيس الوزراء السابق ، وجول موخ ، ورينيه ماير ، وليون بلوم ، وبيار منديس فرانس ، من رؤساء الوزراء السابقين ، وإدجار فو ، وأنطوان بينيه ، في مصاهرتهم لعائلات يهودية ، وهما من الوزراء السابقين . والمسيو « جول موخ » رئيس وفد فرنسا في

الأمم المتحدة ، وسفير فرنسا في واشنطن المسيو « هوفيه الفاند » . ومدير المخابرات الادارية ،ومفتش عام وزارة الداخلية المسيو « روبر كوهين »، ومستشار فوق العادة للحكومة الفرنسية المسيو « جورج بوريس » ، ونائب رئيس مجلس الدولة المسيو « رينيه كاسان »،ومفتش عام وزارة الاقتصاد الوطني المسيو « أنطوان جولديه » ، ومراقب عام التجارة والصناعة في فرنسا المسيو « بيار درايفوس »،والمسيو « هالفين » مفتش عام بنك فرنسا المركزي ، ومدير الجباية العام المسيو « ليفي فالتس » ، ومفتش عام وزارة المالية المسيو « جاني ليون رديف »،ووكيل وزارة الاقتصاد الوطني المسيو « روجيه بلوخ » .. ومدير الأشغال العام لمعامل الأسلحة والسفن الحربية المسيو « بنسوسان » ، ومدير عام المنشآت الحربية في الموانىء المسيو « كاهن »، وطبيب وزارة الخارجية المسيو « كاميل دريفوس »،ورئيس دائرة التبادل الفني في وزارة الخارجية المسيو « فيليب ايرلانجيه » ، والمستشار القضائي لوزارة الخارجية الفرنسية المسيو « موريس بلوم » ، ووكيلة وزارة المعارف مدام « جورج برانشفيك » ، ومراقب عام أكاديمية باريس المسيو « بلوخ » ، ورئيس لجنة توجيه الشباب الفرنسي ، ومدير عام الأنباء والتليفزيون والإذاعة المسيو « فيتال جايمان »، ومدير الكونسرفتوار الوطني المسيو « بول أبرام » ، ومدير عام دار الكتب المسيو « جوليان فاين » ، ومندوب فرنسا الرسمي في الأونيسكو المسيو « جوليان فاين » أيضاً — ومدير عام محطة راديو باريس المسيو « جان جرونبورج »، والمشرف العام على برامج الراديو والتليفزيون « مارسيل ديامان برجيه »، ومدير متحف اللوفر المسيو « هنري جودشو »،ومدير القسم الشرقي في متحف اللوفر المسيو « جان دافيدفيل » ومدير الأوبرا المسيو « موريس بهمان » ، ومدير برج إيفل المسيو « جونز بورج » .

وكذلك .. أسرة « شرايبر » اليهودية المسيطرة على جريدة « الأكسبرس » ورئيس تحريرها اليهودي « جان دانيال » ..

وجريدة « فرانس سوار » ، التي يملكها « بيار لازاريف » اليهودي ويترأس تحريرها « سام كوهن » اليهودي ، وكبير كتابها اليهودي الصهيوني المعروف « جوزيف كيسيل » .! وكذلك مجلة « ايل » النسائية و « ليموند » « والفيجارو » التي يرأس تحريرها « بيار بيرسون » الصهيوني اليهودي وجريدة « سامدي سوار » ورئيس تحريرها « جان لويس مينو » اليهودي الصهيوني ، ورئيس نقابة الصحافة المسيو « مارسيل بلوتشين بلانشيه » وهو يهودي صهيوني ، ومدير مجلة « فرانس برس » المسيو « جان برانسفيلك » وهو يهودي .. وكذلك أصحاب جميع دور النشر للكتب أمثال : كالمان .. وناتان .. وبلون .. وبرونيل .. وكلهم يهود .! وكذلك جميع مديري شركات فوكس للسينما ، وبرامونت ، ومترو ، ورئيس نقابات أصحاب السينما وكلهم يهود وصهيونيون .. ينتسبون إلى عدة جمعيات صهيونية في إسرائيل وفي خارجها ويساهمون – جميعاً – بنشاط كبير في المؤسسات « الصهيونية الفرنسية » ويتبرعون بأموالهم للحركات « الصهيونية » العالمية وينشرون آراءهم على الملأ بلا حرج ولا خوف .. ويدفعون حكومتهم والمسؤولين في بلادهم إلى رعاية إسرائيل ومحاربة العرب ...

ترى ، هل تستمر مثل هذه الموجة العدائية لنا طويلاً في الأرض الفرنسية .؟

إن الجواب رهين بحل المشاكل الجزائرية والتونسية المعلقة ..

ثم بالأوضاع السياسية داخل فرنسا ..

ثم بالصلابة العربية في معالجة الموقف .

ولكن المؤكد إن العلاقات العربية الفرنسية ، ستفتح خلال عام ١٩٦٣ صفحات .. متتالية .. جديدة ، رغم أنف النفوذ اليهودي ، والعائلات اليهودية الفرنسية !

ونصل بالحديث إلى دور الاتحاد السوفييتي ..

وهنا أذكر ما كتبه « بارتلي كروم » الأمريكي وأحد أعضاء لجنة التحقيق الأنجلو – أمريكية لفلسطين عند زيارته مع أعضاء اللجنة ، للعاصمة البريطانية

في طريقه إلى أوروبا ومنها إلى فلسطين في أواخر عام ١٩٤٥[1] .. قال كروم :
« .. وعندما حاولت أن أناقش السفير الروسي في لندن حول موقف العرب من النفوذ الغربي قال لي السفير : قد يقع اليهود في قبضة الاستعمار الأنجلو ــ أمريكي رغم إرادتهم ، ولكن حكام العرب قد استسلموا للنفوذ الغربي بمحض رغبتهم وبكامل إرادتهم .. » .

ذلك كان حال حكام العرب ، من ملوك ورؤساء في أواخر الحرب العالمية الثانية ..

وهذا الموقف هو الذي شجع عطف الاتحاد السوفييتي على اليهود والحركات اليهودية .. لا حباً بها ، وإنما نكاية بنا ، لا عطفاً عليها ، وإنما كراهية بأعدائها . فقد وافق الاتحاد السوفييتي على قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ لأسباب لم تعد بحاجة إلى تكرار ولا تفسير . فقد كان الاتحاد السوفييتي كله في جانب ، وحكام العرب كلهم في جانب آخر . وبالرغم من الخلاف بين العرب من جهة والاستعمار الأنجلو ــ أمريكي من جهة أخرى حول قضية فلسطين إلاّ أن الاتحاد السوفييتي لم يكن يرى في هذا الخلاف قوة كافية لجر حكام العرب على معاداة بريطانيا أو أمريكا .. يضاف إلى ذلك ما أراده الاتحاد السوفييتي من وراء خلق إسرائيل إلى خلق المزيد من المتاعب والأزمات وبراميل البارود في منطقة الشرق الأوسط كلها .. ولعل هذا ما جعل الاتحاد السوفييتي ، والكتلة الشرقية كلها ، تقف وراء تأييد مشروع التقسيم ، وتؤيد الرأي الأمريكي في تأييد التقسيم ، وتساير الاتجاه الامريكي ــ لأول مرة ــ في تاريخ الأمم المتحدة منذ نشأتها .. ولعل حقيقة هذا الموقف ، قد غابت عن سذاجة المستر « أوستن » المندوب الأمريكي في الأمم المتحدة، الذي وقف في تلك الليلة في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ ، يتغنى

---

١ ــ ما وراء الستار الحديدي .

« بالتعاون السوفييتي — الأمريكي » من أجل خدمة السلام والعدالة في العالم » ..

وقد نتج عن هذا الموقف المعنوي، موقف مادي جر على اليهود في حرب عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ ، كل ما يحتاجون إليه من سلاح تشيكوسلوفاكيا ، وخبراء ألمان شرقيين ، خلال الهدنتين الأولى والثانية ..

ولكن ، هذا الموقف العدائي من الأماني العربية ، قد تطور فيما بعد عام ١٩٥٢ إلى حياء في البداية ، ثم إلى تأييد لنا في النهاية . ففي الدورة السابعة للأمم المتحدة رفضت موسكو الموافقة على التوصيات المتضمنة دعوة العرب واليهود إلى إجراء مفاوضات للصلح . ثم الاعتراض السوفييتي على تحويل الأردن في عام ١٩٥٣ ، والموقف السوفييتي من الشكوى الإسرائيلية حول المرور في قناة السويس في عام ١٩٥٤ ، وكل ما يتبع ذلك من قيود سوفييتية رسمية على هجرة اليهود إلى إسرائيل طيلة أعوام ٥٤،٥٥،٥٦، ٥٧ والتي لم تبادر الحكومات الشرقية إلى إلغائها إلاّ في عام ١٩٥٩ عند اشتداد الخلاف بين القاهرة وموسكو ..

ذلك هو أمر الماضي القريب ..

فما هو أمر الحاضر ، والمستقبل .؟

والجواب واضح صريح :

لقد ثبت للاتحاد السوفييتي ، وللعالم بأسره أن إسرائيل مجرد قاعدة استعمارية غربية ، خلقها الاستعمار الأنجلو — أمريكي ، لتكون بمثابة نقطة انطلاق استعمارية من قلب الشرق الأوسط إلى قلب آسيا وقلب أوروبا ، ولكي تحمي مصالح الاستعمار في المنطقة ..

كما ثبت للاتحاد السوفييتي الدور « الصغير » الذي تلعبه إسرائيل منذ قيامها حتى اليوم في خدمة الاستعمار .

كما ثبت للاتحاد السوفييتي مدى تعاون ألمانيا الغربية مع إسرائيل ، وأثر التعويضات والرعاية الألمانية الغربية في قيام إسرائيل وغيرها ..

كما ثبت للاتحاد السوفييتي مدى عطف الجنرال ديغول ، وفرنسا ، على إسرائيل ، ومدها بطائرات «بالميراج» التي تقاوم طائرات الميج الروسيــة ..

كما ثبت للاتحاد السوفييتي مدى ما تتمتع به إسرائيل مع عطف الولايات المتحدة ، وأحزابها ، وتجارها ، وأصحاب الأموال فيها ، ومؤسساتها ، وصحفها من تأييد معنوي ومادي ..

وكذلك الأمر بالنسبة لبريطانيا ..

وكذلك الأمر بالنسبة لفتح أبواب كل مستعمرات هذه الدول ، أو التي تقع في مناطق نفوذ هذه الدول أمام التجارة والخبرة والتعاون الصهيوني .

ماذا بقي إذن ؟

بقي على العرب تجنب غلطات حكامهم قبل وخلال قيام دولة إسرائيل كما بقي على العرب إحياء هذه «الصور» أمام الاتحاد السوفييتي بواسطة الدبلوماسية العربية الممثلة في دول الكتلة الشرقية .

كما بقي على العرب ، إفهام الجانب السوفييتي بأن مقاومة الشر الصهيوني ليست مقصورة الفائدة على العرب ، بل إن لها أيضاً فائدة ، وتجانساً كاملاً ، مع السياسة السوفييتية المعروفة ..

وبعـــد ..

ما أكثر الضربات التي انهمرت فوق رؤوس العرب في الماضي ..

وما أكثر الضربات التي سيواجهها العرب في المستقبل ..

ولكن العرب قادرون — إذا أرادوا — أن يجعلوا من هذه الضربات ، أعياداً يجددون بها نار حقدهم ، ويستمدون منها عزيمة ثأرهم ، ويرددون مع «دانتي» العظيم :

— إن الضربات التي لا تقتلني .. تقويني !

مُقاطعة .. مُقاطعة .. مُقاطعة !

« ان الشرق الاوسط الذي يقع بين القارات الثلاث هو أعظم المناطق السوقية في العالم .. ! »

« ناحوم جولدمن »

رئيس الجمعية الصهيونية العالمية

كندا – ٣١ مايو ١٩٤٧



« إذا لم تبادر اسرائيل الى اعادة تنظيم كيانها الاقتصادي فان جميع المساعدات والاستثمارات الاجنبية لا تستطيع ان تنقذها من الخراب. ان اصحاب الاموال الاجنبية يترددون في استثمار اموالهم في الاقتصاد الاسرائيلي بسبب الفوضى.. وتضارب الاتجاهات الاقتصادية .. والمقاطعة العربية .. والاحتكارات التي تفرضها منظمة الهستدروت .. »

« الدكتور فورد – مدير عام بنك ليئومي »

٤ – ١٢ – ١٩٦١

من أقوال « ماركس » ، وهو يهودي ، « إن المال وحده هو رب اليهود ».

ومن هنا ، كانت « الصناعة اليهودية » تحاول أن تبني نفسها وتقف على قدميها ، جنباً إلى جنب مع المشاريع الزراعية والمالية والتجارية منذ بدء الانتداب البريطاني على فلسطين ، حتى قيام إسرائيل ..

وقد استفادت هذه الصناعة اليهودية من فترة الحرب العالمية الثانية ، حيث انعدم استيراد المواد من أوروبا وأمريكا ، وراحت تملأ أسواق فلسطين ، وغير فلسطين في البلاد العربية ، بمنتجاتها ..

وفي عام ١٩٤٥ ، أدركت جامعة الدول العربية .. وكانت يومئذ في مهد ظهورها إلى الميدان .. خطورة هذا الغزو الصهيوني للسوق العربية فقررت « حظر بيع أية بضاعة يهودية مصنوعة في فلسطين .. » ..

وكان هذا — بالطبع — قبل أن تقوم إسرائيل ..

وبدأت الحرب الاقتصادية بيننا وبين اليهود .. فقد كانت الأسواق العربية بالنسبة إليهم أوفر الأسواق وأكثرها ربحاً واستهلاكاً .. بل إن عقليتهم الرئيسية الأولى في بناء الدولة لم تكن تخلو من معناها الاقتصادي والتجاري الذي يكفل لها الغزو المنظم للدنيا العربية الواسعة ..

وعندما قامت « إسرائيل » ـ كدولة ، دخلت حرب المقاطعة ضدها طوراً جديداً .. فقد بدأت إسرائيل تقاوم هذه المقاطعة بكل قوتها مستعينة عليها بكل الوسائل السياسية والدبلوماسية . ففي عام ١٩٥٦ ، كان موضوع المقاطعة العربية أهم بند على جدول أعمال المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين .. واتخذ المؤتمر المذكور قراراً يجعل من « الوكالة اليهودية » الهيئة المختصة بتحطيم القرار العربي ومناوءته في مختلف أنحاء العالم . وبدأت الوكالة اليهودية تنظم مقاطعة لكل شركة أمريكية أو أوروبية تخضع لقرار العرب وتقاطع إسرائيل .. وأوفدت إسرائيل رئيس الغرفة التجارية على رأس بعثات متعددة هدفها الاتصال بمختلف الغرف التجارية في العالم وحملها على اتخاذ قرارات تدين الدول العربية وتستنكر تصرفاتها .. ثم راحت إسرائيل تتصل بالهيئات العمالية الدولية وتطلب منها استنكار سياسة العرب في المقاطعة ووصفها بأنها سياسة عنصرية طائفية متعصبة .. ثم تألفت لجان مختصة بمقاومة المقاطعة العربية في كل فرع من فروع الصهيونية العالمية هدفها طعن القرار العربي والدس عليه وتلفيق التهم ضده والزعم بأنه بعث للاضطهاد العنصري الذي يقوده وينفذه أدولف هتلـــر ..

ومن هنا ، راحت الشركات اليهودية في مختلف أنحاء العالم تمنع مساعدتها وتعاونها عن كل شركة تلبي القرار العربي بالمقاطعة .. وبدأت الحرب العلنية الاقتصادية بين هذه الشركات من جهة وبين الصهيونية العالمية من جهة أخــــرى ..

وقد قامت الدول العربية بتنظيم القوانين التي تتم بها عملية المقاطعة بالنسبة لمصادرة السفن التي تحمل بضائع إسرائيلية ، وحق أية دولة عربية في مصادرة أية بضائع متجهة إلى أرض العدو على أساس « أن هذه البضائع من شأنها أن تزيد مجهود العدو الحربي أو تدعم مركزه الاقتصادي » ..

كما التجأت الدول العربية إلى القانون الدولي المتعارف رسمياً والذي يعطي الحق للدولة المحاربة أن تصادر أية بضائع مشحونة على أية سفينة

محايدة حتى ولو لم يكن اتجاه السفينة هو ميناء العدو مباشرة بل كانت ستمر على بعض الموانىء المحايدة قبل وصولها إلى ميناء العدو .. كما يحق للدولة المحاربة أن تصادر أية بضائع مشحونة على مراكب إسرائيلية ..

ولكن هذه المقاطعة توقفت عند نقطة قانونية تدور حول السؤال التالي :

« هل يحق للدولة المحايدة أن تصادر بضائع مشحونة على مراكب حيادية .. وإلى أي مدى يستطيع العلم المحايد أن يحمي البضائع المشحونة للعدو ، من عملية المصـــادرة .. ؟

وقد أجابت الدول الكبرى – بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي – على هذه النقطة القانونية في التشريع البريطاني الصادر في ٣١ يوليو عام ١٩٤٠ والذي ينص على ما يلي :

١ – أية سفينة تجارية أبحرت من ميناء للعدو أو ميناء في أرض يحتلها العدو يجب أن تفرغ شحنتها في ميناء للحلفاء ..

٢ – أية سفينة تجارية أبحرت من « غير » ميناء للعدو وتحمل بضائع مصدرها أرض العدو ، أو مملوكة للعدو يجب أن تفرغ شحنتها في ميناء للحلفاء !

٣ – تحال البضائع التي تفرغ وفقاً للأحكام السابقة إلى مجلس الغنائم ..

٤ – عبارة بضائع من « أصل يتبع بلاد العدو » تشمل أية بضائع أصلها من أرض العدو أو من أرض يحتلها أو من أرض تخضع لرقابته ..

٥ – عبارة « بضائع تخص العدو » تشمل أية بضائع مملوكة لأي شخص يقيم في دولـــة العدو ..

ويهمنا أن نقول هنا بأن بعض الدول التي لم تكن قد دخلت الحرب الأخيرة في ذلك التاريخ ومنها الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي قد احتجت على تلك القوانين. ولكن بريطانيا وفرنسا لم تقبلا هذه الاحتجاجات بحجة أن ألمانيا لا تحترم حقوق الدولة المحايدة .. وأن القانون الدولي يعترف للدول المحاربة بهذا الحق كرد على الدولة التي لا تحترم نصوص القانون الدولي – تماماً كما هو الموقف بالنسبة لإسرائيل .. وإنه لا يمكن لفرنسا وبريطانيا

قبول مبدأ استمرار حصول ألمانيا على إمدادات حيوية لكي تستمر في الحرب مما يؤدي إلى أضرار بليغة بالحلفاء .. وأنه لا يمكن لبريطانيا وفرنسا قبول استمرار تجارة العدو مما يزيد في قوته ومجهوده الحربي .. [1]

يتضح من هذا ما يلي :

أولاً – اتبعت بريطانيا وفرنسا مبدأ مصادرة الشحنات التي مصدرها أرض العدو ..

ثانياً – اتبعت الدولتان المذكورتان مبدأ مصادرة الشحنات المملوكة للعدو حتى ولو كانت على مراكب تجارية محايدة ..

ثالثاً – حق الرد بالمثل على كل إجراء غير قانوني أو غير إنساني يقوم به العدو .. بالرغم من احتجاج الدولة المحايدة ، أو الدول التي لم تكن قد دخلت الحرب ساعة صدور التشريع المذكور ..

من هنا ، تتضح أمامنا صورة للموقف الحاسم الذي اتخذته دول الحلفاء بالنسبة للمراكب والبضائع الألمانية – أو ما يقع تحت سيطرتها – خلال الحرب العالمية الأخيرة ..

ويجب أن لا يختلف موقف العرب من مراكب إسرائيل وبضائعها ، عن موقف الحلفاء من مراكب المانيا النازية وبضائعها ..

وما دمنا في حالة حرب مع إسرائيل .. فيجب أن نطبق كل ما تفرضه علينا هذه الحالة من استعداد ومقاطعة ومصادرة ومقاومة لكل إنتاج يهودي في إسرائيل ، ولكل ما يساهم في هذا الإنتاج ، ولكل ما من شأنه أن يدفع عجلة هذا الإنتاج إلى الأمام ..

أما بالنسبة لما تزعمه إسرائيل من حق المرور في قناة السويس فردنا عليها كما يلي :

---

١ – معلومات مستقاة من مصادر خاصة واهمها نشرات رسمية صادرة من جهات مسؤولة في القاهرة ..

أولاً – ما زلنا – وهذه الجمهورية العربية بالذات – في حالة حرب مع إسرائيل .

ثانياً – قرار صادر عن الجنرال « رايلي » كبير مراقبي الهدنة في ١٢ يونيو ١٩٥١ ، يقول إنه لا يمكنه اعتبار القيود المفروضة على السفن اليهودية عبر قناة السويس ، خرقاً لاتفاقية الهدنـــة ..

ثالثاً – انعدام الوجود القانوني لإسرائيل من وجهة النظر العربية ..

رابعاً – ضمانات حرية المرور في القناة بموجب اتفاقية ١٨٨٨ ، قـــد حددت بضمانات معينة تتعلق « بسلامة القناة » « وبعدم تعطيل حرية المرور بها وقت الحرب ». وهذه الضمانات من حق الجمهورية العربية المتحدة وحدها أن تقرر تنفيذها وتحدد الجبهة التي تهدد سلامة القنـــاة ..

خامساً – إن القناة ملك لمصر وقد شقت في أرض من الأملاك العامة المصرية وهذا ما تقرره المواد ١٠،١١،١٢،١٣،١٦، من فرمان ٥ يناير عام ١٨٥٦ .. كما يتضح ذلك من نص المادة الرابعة من اتفاقية ٢٢ فبراير عام ١٨٦٦ ..

سادساً – إن مصر لها السيادة على القناة وإنها لم تتنازل عن هذا الحق كما هو واضح من نصوص الفرمانين المؤرخين في ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ و ٥ يناير ١٨٥٦ ، ومن نصوص المواد ٩،١٠،١١ من اتفاقية ٢٢ فبراير عام ١٨٦٦ ..

سابعاً – مصر هي التي حددت نظام الملاحة الدولية في القناة كما هو واضح من نص المادتين ١٤،١٥ من فرمان ١٨٥٦ ..

ثامناً – مصر هي التي أنشأت وحددت يوم المرور في القناة وهذا يتضح من المادة ٦ من فرمان ١٨٥٤ ، والمادة ١٧ من فرمان ١٨٥٦ ومن مرسوم ٢٨ إبريل ١٩٣٦ ..

تاسعاً – أشارت المادة التاسعة من اتفاقية ١٨٨٨ في فقرتها الثالثة إلى أنه يجوز

للحكومة المصرية ولتركيا إذا اقتضى الأمر تدخلها ألا تتقيد عند رد الاعتداء بأحكام الاتفاقية الواردة في المواد ٤،٥،٧،٨ حول حرية المـــرور ..

عاشراً — نصت الفقرة ١ من المادة العاشرة من اتفاقية ١٨٨٨ على أن القيود التي تقررها المواد ٤،٥،٧،٨ لا تكون عقبة في سبيل التدابير التي تضطر حكومة الخديو أو السلطان إلى اتخاذها بقواتها الخاصة بالدفاع عن مصر وإقرار النظام فيهـــا ..

ذلك هو موقفنا « القانوني » حيال الصيحات الصهيونية المحمومة المطالبة بحق المرور في قناة السويس ..

أما موقفنا القومـــي ...

وأما موقفنا الوطـــني ...

وأما موقفنا العربي ، الصميمي ، المستمد من الدم العربي الضائع في أرض فلسطين ، فكل ذلك لا يحتاج إلى بحث ولا إلى حيثيات ..

وإنه لمن المؤسف حقاً ، أنه عندما جرى التصويت في عام ١٩٥٨ ، وفي مؤتمر البحار « بجنيف » « على اعتراض مندوب الجمهورية العربية المتحدة على التعديل الذي أدخلته بعض الدول الغربية على الفقرة الرابعة من المادة السابعة عشرة من القانون المقدم من لجنة القانون الدولي إلى المؤتمر والتي تنص على أنه « لا يجوز إيقاف المرور البريء للسفن الأجنبية التي تمر بمضيق يستخدم للملاحة الدولية ويربط بين جزءين من البحار العامة » .. بحيث تصبح هذه المادة كالآتي « لا يجوز إيقاف المرور البريء للسفن الأجنبية التي تمر بمضايق تربط جزءاً من البحر العام بجزء آخر من بحر عام آخر أو ببحر اقليمي لدولة أجنبية في حالة استخدام تلك المضايق للملاحة الدولية .. » نقول عندما اعترض مندوب الجمهورية العربية المتحدة على هذا التعديل وطالب بحذفه صيانة للحق العربي — ونتائجه ومتطلباته في خليج العقبة — جرت عملية التصويت على اعتراض المندوب العربي فرفضه المؤتمر بأغلبية

٣٤ صوتاً ضد ٣٢ وامتناع ستة عن التصويت .. وكان من ضمن الأصوات التي تغيبت — عمداً — عن جلسة التصويت ، صوتان عربيان احدهما صوت دولة الأردن .. الهاشمية .. المسلمة !

ولكن ذلك لا يؤثر مطلقاً في الحقيقة الكاملة الواحدة وهي أن خليج العقبة خليج عربي .. وأن مدخله وشواطئه عربية .. وأن من حق أصحاب السيادة على جانبي الخليج اتخاذ كافة الإجراءات الوقائية عند مرور أية سفينة متجهة إلى أي ميناء إسرائيلي .. وعدم إعطاء أي ضمان لأية جهة حول حرية مرور أية سفينة لا تتفق مع السيادة العربية ، ولا مع الكرامة العربية .. وعدم التخلي مطلقاً عن فكرة إثارة موضوع المياه الاقليمية — من جديد — أمام المؤتمرات الدولية ولجان القانون الدولي حتى يتبلور الموقف بما يحفظ الحق العربي ، والإرادة العربية الصادقة في محاصرة الشر الصهيوني حتى يتم القضاء عليـــه ..

وقد حاولت إسرائيل أن تتعدى حدود المقاطعة ، وتقفز فوق السور العربي الذي يحيط بها ، وتنطلق إلى قلب أفريقيا تارة ، وقلب آسيا تارة أخرى وتفتح لنفسها أسواقاً جديدة ، وتحصل لنفسها من هناك على المواد الخام الضرورية لمصانعها .. فأصبح لها — مثلاً — في بعض دول آسيا وأفريقيا حوالي خمسمائة أجير ، بعضهم يعمل في نطاق التعاون مع الحكومات ، وبعضهم يعمل في نطاق الشركات اليهودية كشركة « زيم » للملاحة « وسوليل بونيه » للمنشآت ، وغيرهما .. كما أصبح لها تبادل متصل مع « غانا » في ميادين الاختصاص كصناعة السفن ، والطيران والتدريب المهني وتربية الحيوان ، ومع « نيجيريا » في ميادين مشروعات الري وصيد الأسماك وبناء المستشفيات والملاحة . ومع « ليبيريا » في ميادين مشروعات التعمير وزراعة الموالح والطب والفنادق ، ومع « الحبشة » في ميادين مسح الأراضي الزراعية وإنشاء الطرق وحفر الآبار ، ومع « غينيا » في استغلال مناجم الماس والملاحة ، ومع « مالي » و« تشاد » و« ساحل العاج » في ميادين

المستعمرات التعاونية والجماعية ، ومع « سيراليون » و « الكونغو » و « غرب أفريقيا » في ميادين الصحة ، ومشروعات الري ومصانع الغزل والإحصاء ..

أما في آسيا ، فقد ساهمت إسرائيل مع بعض الدول الأسيوية بخبرتها ومعونتها الفنية ، فساهمت مع « بورما » في ميدان صناعة المواد الكيماوية والزراعة والطب والملاحة ، وساهمت مع « سيلان » في تصنيع الملح ، وساهمت مع « نيبال » في الميادين الزراعية ، وساهمت مع « الفلبين » في مشروعات الري والغابات وساهمت مع تركيا في تعبيد الطرق ومشروعات الإنشاء ومد شبكات المياه ، وساهمت مع اليابان في صناعة الفوسفور ، وساهمت مع « إيران » في مشروعات التعمير ، وساهمت مع « قبرص » في استخراج النحاس .

وسيقول التاريخ إن مؤتمر « الدار البيضاء » قد استطاع — إلى حد كبير — أن يكشف الدور الاستعماري الخطير الذي تقوم به إسرائيل في هذه المجالات عندما تجعل من نفسها مجرد قناع مزيف يختفي وراءه النفوذ الاستعماري بأمواله وخبرائه ومطامعه وأهدافه ، بحيث يظن العالم أن إسرائيل هي التي تمد يد المساعدة والتعاون لدول آسيا وأفريقيا في الوقت الذي يساهم الاستعمار بأكبر نصيب في هذه المساهمة ، مالياً ومعنوياً ..

ولكن النجاح الذي حققه مؤتمر الدار البيضاء ، يجب أن لا يقف عند هذا الحد ، وأن الدور الذي قامت به « الجمهورية العربية » بالنسبة لكسر شوكة التغلغل الصهيوني في أفريقيا يجب أن تقوم به دول «عربية» أخرى من أجل كسر شوكة التغلغل الصهيوني في آسيا ، وفي أفريقيا معاً .. بل في كل بقعة من بقاع العالم ، سواء عن طريق محاربة خبراء إسرائيل بخبراء عرب .. وأموال إسرائيل بأموال عربية .. وتعاون إسرائيل بتعاون عربي ، أم عن طريق الاتصال رأساً بالدول الكبرى التي تقف وراء إسرائيل وكشف أوراقها وإفهامها بخطورة « اللعبة » الاقتصادية التي تقوم بها وأثر هذه اللعبة على

صلة هذه الدول الكبرى بالمجموعة العربية اقتصادياً وتجارياً وسياسياً .. أم بخلق الوحدة العربية الاقتصادية وما يتبعها من سوق عربية موحدة تنطوي على معاني القوة والنفوذ والشمول والثروة والإمكانيات ..

وكذلك يجب على الدول العربية أن تأخذ بالتعديل الذي أقره المجلس الاقتصادي للدول العربية حيال مقاطعة المصارف الأجنبية التي يقتصر نشاطها على الاشتراك في عضوية الغرف التجارية الأجنبية – الإسرائيلية المشتركة ، وجعل المقاطعة تسري على كل مصرف تجاري إذا أنشأ مؤسسات أو شركات في إسرائيل ، أو إذا ساهم في إنشاء هيئات أو شركات يدخل فيها رأسمال إسرائيلي سواء كان ذلك داخل إسرائيل أو خارجها .! [1]

وباختصار يجب تطبيق جميع المواد التي أقرتها الجامعة العربية في مقاطعة إسرائيل خلال دوراتها المختلفة .. وذلك في ميادين الاستيراد والتصدير ، وبالنسبة للمناطق الحرة العربية والأجنبية ومراقبة البيوت المالية ، والإجراءات التي تتخذ ضد الأشخاص الذين يثبت أو تقوم دلائل على أنهم من عملاء إسرائيل، ومراقبة أعمال التجار المشتبه فيهم [2] وتبادل المعلومات الخاصة بالأشخاص الذين صدرت ضدهم أحكام من الدول العربية لاتصالهم بإسرائيل [3] ومنع اليهود الذين يحرمون من جنسية دولة عربية من دخول أراضي دولة عربية أخرى ، ومكافحة التهريب إلى البلاد العربية المتاخمة لإسرائيل [4] ومراقبة كميات البضائع المرسلة إلى المناطق العربية المتاخمة لإسرائيل لئلا يتم تهريبها [5] . ومكافحة تهريب العملات الفضية إلى الخارج لئلا تهرب بالتالي إلى العدو [6] ومنع تسرب البترول إلى إسرائيل عن طريق أخذ التعهدات الكافية من الشركات المنتجة والمصدرة بضرورة مراعاة ذلك والإجراءات

---

١ – تقرير لجنة المقاطعة المنبثقة عن المجلس الاقتصادي العربي في يوم ٢٥ يوليو ١٩٦٢.

٢ – الدورة ١٦. ٣–الدورة ٢٤. ٤ – الدورة١٦. ٥– الدورة ١٦ ٦–الدورة ٣٢.

السريعة الواجب اتخاذها ضد الشركات والبواخر التي تخالف هذا الأمر [1] وتحديد الموقف الصريح ضد الشركات والمؤسسات الأجنبية التي تعمل على تدعيم اقتصاديات إسرائيل وذلك عن طريق إنشاء فروع لها أو إنشاء مصانع لها [2] أو مراكز تجميع لمنتوجاتها في إسرائيل [3] أو إذا كان لها وكلاء عامون أو مكاتب رئيسية للشرق الأوسط في إسرائيل [4] أو إذا منحت حق استعمال اسمها إلى شركات إسرائيلية [5] أو إذا ساهمت في شركات أو مصالح إسرائيلية [6] أو إذا قدمت الخبرة أو المشورة الفنية إلى المصانع الإسرائيلية أو إذا تناولتها أحكام المادة الأولى من قانون المقاطعة التي وافق عليها مجلس الجامعة في دورته الثانية والعشرين.

ثم هناك إجراءات حظر التعامل، والإجراءات الكفيلة برفع هذا الحظر إذا ثبتت براءة أصحاب الشأن من تهمة التعامل مع العدو ..

ثم ما يتعلق بشركات الملاحة — بواخر وناقلات وغيرها — بوجوب إدراج اسمها في القائمة السوداء إذا ثبت أنها مرت على ميناء عربي وآخر إسرائيلي في رحلة واحدة [7]. أو إذا نقلت أدوات أو مواد تفيد المجهود الحربي «لفلسطين المحتلة» حتى ولو لم تمر على ميناء عربي وميناء إسرائيلي في رحلة واحدة [8] .. أو إذا أجرت لشركات أو هيئات إسرائيلية [9] أو إذا نقلت منتجات إسرائيل الصناعية والتجارية والزراعية [10] أو إذا نقلت مهاجرين يهوداً إلى فلسطين المحتلة [11]، واعتبار كل باخرة إسرائيلية مهما كان نوعها، مدرجة على جدول القائمة السوداء حتى ولو بيعت أو تمتعت بجنسية جديدة [12]، وكذلك منع عرض الأفلام الأجنبية التي يشترك فيها

١- الدورة ٢٣ . ٢-١٦،١٨ . ٣- الدورة ١٨ ، ٢٣ . ٤- الدورة ١٨ .
٥- الدورة ٢٠ . ٦-الدورة ٢٠ .
٧ - قرار الجامعة الدورة ٢٠ . ٨ - قرار الجامعة الدورة ٢٤.
٩ - » » » ٢٨ . ١٠- » » » ٣٢ .
١١- » » » ١٢ . ١٢- » » » ١٣ .

ممثلات أو ممثلون بارزون أجانب ممن يثبت مساندتهم المالية أو المعنوية لإسرائيل، وأن تدرج أسماء هؤلاء الممثلين في قائمة الممنوعين من دخول البلاد العربية [1]، وكذلك منع عرض الأفلام السينمائية المتضمنة دعاية للعدو أو ضد العرب [2]، وحظر التعامل مع الشركات السينمائية الأجنبية التي يثبت تبرعها لصالح إسرائيل أو ميولها الصهيونية [3] وكذلك فيما يتعلق بمصانع الأسلحة التي تمد إسرائيل بالسلاح والذخيرة ، وشركات التأمين الأجنبية التي ساهمت أو تساهم بأموالها في إسرائيل [4] ، والشركات والمؤسسات الأجنبية التي لها صبغة إحسانية وتتبرع أو تهدي إسرائيل أموالاً أو مواد غذائية [5] . وفيما يتعلق بالبضائع الأجنبية التي لا تحمل ماركة أو علامة تجارية مميزة [6]، والمطبوعات الأجنبية المتضمنة دعاية لإسرائيل أو طعناً في العرب [7] وفيما يتعلق بمستوردات البعثات الأجنبية السياسية الموجودة في البلاد العربية من منتجات الشركات المحظور التعامل معها [8] ..

وباختصار مقاطعة ومحاربة ومنع دخول كل ما من شأنه أن يساعد على نمو إسرائيل اقتصادياً ، أو سياسياً ، أو معنوياً ، أو أدبياً ، أو عسكرياً .. حتى نقضي عليهـــا ..

---

١ – قرار الجامعة .. الدورة ٢٤
٢ – قرار الجامعة .. الدورة ٣٢
٣ – » » » ٣٢
٤ – » » » ٢٤
٥ – » » » ٨
٦ – » » » ٨
٧ – » » » ٢٤
٨ – » » » ٩

جيش التحرير .. الفلسطيني !

« وأذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير.. »
قرآن كريم

•

«لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا .. »
« المائدة : ٨٢ »

•

« أنا « احارب » ... لذلك أنا أعيش ! »

•

سأحمل روحي على راحتي　　وألقي بها في مهاوي الردى
فاما ممات يسر الصديق　　وإما حياة تغيظ العدا ..
ونفس الشريف لها غايتان　　ورود المنايا ونيل المنى ..
« عبد الرحيم محمود »

يهود الدول العربية . أعني : اليهود الموجودين في الدول العربية . أعني : الثلاثمئة ألف يهودي الموجودين الآن في مراكش ، والمائة ألف يهودي الموجودين الآن في تونس ، والخمسة آلاف يهودي الموجودين الآن في العراق وغيرهم ، هنا ، وهناك .. وهناك ، هؤلاء اليهود ، لهم حصة في هذه السطور القليلة ..

والذي أوحى بكتابة هذه السطور ، سطور مثلها ظهرت ذات يوم في عام ١٩٥٧ في جريدة الجيروزاليم بوست الصهيونية التي تصدر باللغة الانجليزية في القسم المحتل من فلسطين ..

قالت الجريدة بالحرف الواحد :

« إن مؤسسة الهستدروت الصهيونية العمالية قد تعدل عن موقفها عن العمال العرب الموجودين في إسرائيل .. وأن موقف السلطات الحاكمة من الأقلية العربية الموجودة في إسرائيل لا يتوقف على سلوك تلك الأقلية ، بل على موقف الدول العربية الأخرى من .. إسرائيل ؟ »

يعني :

إذا استمرت الدول العربية في التمسك بموقفها العدائي من إسرائيل فإن

حكومة إسرائيل ستتمسك بموقفها العدائي من الأقلية العربية الموجودة تحت حكمها وطغيانها ..

هذا هو بالضبط ما تريد جريدة « الجيروزاليم بوست » التي كانت دائماً لسان حال الوكالة اليهودية في فلسطين ، أن تنادي بـــه !

وهناك حقيقتان تارخيتان يهمني أن أنشرهما قبل أن أدخل إلى مناقشة الموضـــوع :

الحقيقة الأولى : أن العرب الذين يسكنون اليوم في القسم المحتل من فلسطين ، هم أحفاد العرب الذين سكنوا تلك البلاد منذ آلاف السنين ..

أما الحقيقة الثانية : فهي أن اليهود الذين يسكنون في بقية البلاد العربية .. هنا وهناك .. في سوريا وفي العراق وفي شمال أفريقيا ، فإنهم قد جاءوا عن طريقين : طريق المشرق وهم اليهود المعروفون بيهود « سفرديم » وقد جاءوا إلينا بعد سقوط إسبانيا عام ١٤٩٢ فهربوا من الاضطهاد والتعذيب ومحاكم التفتيش ، والتجأوا إلى بلادنا بعد صدور أوامر حكومة إسبانيا بطردهم من البلاد . ثم الطريق الثاني ، طريق الشمال .. وهم اليهود « الخزر » الذين كانوا يقيمون على شواطىء بحر قزوين ثم توزعوا في بحر ألف عام في السهول الواقعة جنوبي روسيا .. في أواكرانيا .. وبولونيا .. فما إن جاء القرن التاسع عشر وبدأ الاضطهاد البولوني يلاحقهم .. وما إن انتهى نابليون وبدأت بعده حركة الانتقام من اليهود .. حتى هربوا وجاءوا إلينا ، إلى بلادنا ، يحتمون من الاضطهاد والتعذيب . ومن هؤلاء أجداد رجال كديزنكوف وبن‌غوريون رئيس الوزارة .. وبن‌زفي رئيس الجمهورية الحالي .. وشرتوك ، وزير الخارجية السابق .. الخ !

أريد أن أقول إن وجود اليهود المقيمين في البلاد العربية لا يزيد عمره على خمسمائة سنة سواء الذين جاءوا إلينا من المشرق أم من المغرب . أما العرب المقيمون اليوم في إسرائيل ، فقد اختلطت دماؤهم بها .. بأرضها .. وكل نسمة هواء ، وكل ذرة تراب ، أصبحت مجبولة بدمهم ، وأرواحهم

وحياتهم ووجودهم !

فإذا كان موقف سلطات تل أبيب من أصحاب البلاد الشرعيين ، يتوقف على موقف الدول العربية من سلطات تل أبيب ، فكيف يكون يا ترى موقف البلاد العربية من الأقلية اليهودية التي جاءت إلينا ، ذات يوم ، تستجير بنا وتحتمي بأرضنا ولا تزيد مدة إقامتها بيننا عن بضعة مئات من السنين ؟

هذا هو السؤال ...

وهو سؤال لا أريد أن أجيب عليه إلا لكي أقرر حقيقة سياسية واضحة واحدة لا تقبل الشك ولا التأويل وهي أن موقف الدول العربية بل موقف كل عربي قومي من إسرائيل ، ومن الصهيونية العالمية التي تسند إسرائيل « لن » يتحول قيد شعرة — لا اليوم ولا في المستقبل — عن الخط السياسي الوطني الحالي الذي يحدد العلاقات العربية — الإسرائيلية ..

موقف صاحب الوطن ، من الذين اغتصبوا له وطنه ..

موقف صاحب الحق ، من الذين سرقوا له حقه ..

موقف صاحب القومية والأمل ، من الذين يعادون قوميته ، ويطعنون أملـه ..

موقف صاحب الفلسفة السياسية الواحدة من الذين يتآمرون على تلك الفلسفة ويشوهون حقيقتها ويؤلبون الرأي العام العالمي ضدها ..

موقف الخير من الشر .. والسلام من العدوان .. والاستقرار من القلاقل ..

وبعد هذا فإذا كان لحزب « الماباي » الصهيوني ، أو لجمعية « الهستدروت » الإسرائيلية أن تعيد النظر في موقفها العدائي الحالي من الأقلية العربية في إسرائيل ، أم أنها ستتمسك بهذا الموقف ، فإن ذلك كله لن يؤثر على موقف التسعين مليون عربي من إسرائيل ، شيئاً ..

بل إن هذا الموقف العدائي الواضح من سلطات إسرائيل ضد الأقلية العربية في فلسطين ، وبعد مرور أربع عشرة سنة على قيام تلك الدولة ، لما يؤكد لكل إنسان أن مستقبل تلك الأقلية في تلك الدولة لن يكون — بحال

من الأحوال — عن طريق اندماج تلك الأقلية في الكيان الإسرائيلي بداخلها .. إن على تلك الأقلية العربية أن تفهم أنها تقيم في بقعة صغيرة وسط بلد من الأعداء .. إن المائة والثلاثين ألف عربي الذين يعيشون في منطقة الجليل، والخمسة والثلاثين ألفاً الذين يعيشون في منطقة المثلث، والأربعة عشر ألفاً الذين يعيشون في النقب .. كل هؤلاء مجرد «رهائن» في يد سلطات عسكرية عدائية .. إن الذين عاشوا طيلة عمرهم في شكل أقلية محتقرة داخل البلاد التي سكنوا فيها، قد جاؤوا اليوم — بعد أن أصبحوا أغلبية — يتحكمون، وينتقمون من أول أقلية يواجهونها في تاريخهم ! لقـــد طبقوا عليها نفس الأنظمة التي كان هتلر يطبقها عليهم ! لقد منعوا العرب من التنقل — داخل البلد — إلا بإذن .. عسكري ! لقد حرموا عليهم جميع وظائف الدولة .. أي ليس هناك عربي واحد .. واحد فقط له الحق في أن يشغل أية وظيفة حكومية مسئولة ! لقد حرموا عليهم العمل في الأرض التي يملكونها .. لقد حرموا عليهم إنشاء مدارس خاصة أهلية ليتعلم أولادهم العرب لغة آبائهم وأجدادهم .. ولو أراد الواحد منهم — من هؤلاء العرب — أن ينتقل من مدينة الناصرة إلى تل‌أبيب، مثلاً لكان عليه أولاً أن يسافر إلى حيفا، إلى أقصى الشمال، ثم يعود إلى الجنوب، إلى تل‌أبيب .. كل ذلك لكي لا «يمر» العربي في منطقة «الخضيرة» ويشاهد الاستحكامات والمخيمات العسكرية هناك .. وفي ليلة واحدة فقط .. ليلة ١٨ أكتوبر عام ١٩٥٦ قتل اليهود بالدم البارد .. أكثر من سبعين شاباً عربياً بريئاً في قرية واحدة .. قرية «كفرقاسم» لكي يكون ذلك بمثابة إشارة إرهاب لكل عربي تسول له نفسه بأن يفعل .. شيئاً. وإذا جاء إلى البلاد صحفي أو مسؤول للبحث عن أحوال الأقلية العربية فيها، فإن رجال وزارة الخارجية الإسرائيلية لا يتركونهم لحظة واحدة ! ولأول مرة منذ ألفي عام، يأتي إلى مدينة الناصرة، ثلاثون ألف يهودي، أو أكثر، ويحتلون منازل الأهالي العرب فيهـــا !

وفي عام ١٩٥٠ طلبت السلطات الإسرائيلية من الأهالي أن يتركوا منازلهم في مناطق معينة وتلجأ إلى الحقول لأسباب عسكرية . وقيل للأهالي العرب يومذاك إن هذا الإجراء الموقت سينتهي بعد انتهاء العمليات العسكرية .. ولكن تلك العمليات قد بدأت وانتهت .. وعندما حاول الأهالي العرب العودة إلى منازلهم ، خرجت لهم القوات اليهودية وقالت لهم إن هذه العودة « محرمة » عليهم لأنهم تركوا تلك المنازل فأصبحت ملكاً للدولة .. وبعد ذلك ، حاولت السلطات أن تحصل من الأهالي العرب على وثائق تثبت تنازلهم عن منازلهم فرفض الأهالي ، فتعرضت لهم السلطات بالإرهاب والضغط .. حتى أن أملاك « الأوقاف الإسلامية » التي لا يجوز بيعها أو التصرف فيها ، قد اغتصبوها كلها ، وقسموها ، وبنوا عليها المنازل ، وتصرفوا فيها وكأنها من صميم أملاكهم ، وكان للمسلمين – على أيام الانتداب الغابر – « مجلس إسلامي أعلى » فصدر الأمر اليهودي ، بحله .. وأقاموا بدلاً منها وزارة اسمها وزارة الأوقاف تشرف على الأقلية المسيحية والدرزية .. والاسلامية .. حقاً .. وقد بلغ عدد القوانين العسكرية التي تحكم بها سلطات إسرائيل تلك الأقلية العربية ، ما يزيد عن ١٥٧ قانوناً عسكرياً حتى عام ١٩٦٠ .

وباختصار .. فقد وصف أحد أساتذة الجامعة العبرية في إسرائيل حالة الأقلية العربية فيها فقال إن « معاملة إسرائيل للأقلية العربية عار لإسرائيل وللشعب اليهودي كله .. » ولم يعد غريباً ولا سراً أن سياسة إسرائيل الأولى تجاه الأقلية العربية فيها ، تتلخص في هدف سياسي واحد هو « إرغام » تلك الأقلية على الهجرة من إسرائيل وترك المكان أمام مزيد من المهاجرين اليهود .. إن المزارع العربي الذي تأمره سلطات إسرائيل بالعمل في المستعمرات ، ويذهب هذا المزارع لكي يقبض راتبه في نهاية الشهر ، يجد الأمر العسكري يمنعه من الخروج من مكان عمله ، بانتظاره ، إن جميع أنواع الطغيان ، واللصوصية والاحتقار ، تطبق بحذافيرها ضد كل عربي في إسرائيل ..

فما هو معنى ذلك ..؟

وما هو الدرس الذي يجب أن نستخرجه من هذه الحقيقة ..؟

والجـــواب :

– يجب أن يعبيء كل عربي في إسرائيل ، صدره ، وقلبه ، ودمه ، وأعصابه ، بالمزيد من الحقد والمزيد من الألم ضد العدو الصهيوني . يجب أن يحافظ على معنوياته ، عالية ، وعلى عروبته ، وعلى لغته . يجب أن يعرف – تماماً – بأنه سيكون خط الدفاع الأول .. لا .. بل الشرارة الأولى التي ستشعل الفتيل ! يجب أن يعتبر نفسه الجندي القادم في معركة العودة والتحرر ! ويجب أن يفهم تماماً أن إخوانه في خارج الحدود ، يذكرونه ولم ينسوه ، يجب أن يستغل فرصة خروجه في الأعياد الدينية عبر الحدود إلى الجزء العربي من القدس ، ويتصل بأهله ، ويسأل عن أصحابه ، ويقدم لأكبر محدثيه من العرب ، أكبر كمية من المعلومات التي في يده عن العدو ! يجب أن يعرف بأنه مجند دوماً لخدمة مبدأ العودة .. وأن هذه الجندية تفرض عليه أن يكون في حالة وعي دائم ، وانتباه دائم ، وشعور بالمسؤولية الدائمة .. ومهما كانت تفاهة عدد الممثلين البرلمانيين للأقلية العربية في برلمان إسرائيل ، فإن ذلك لا يمنع العرب هناك من استغلال وجود هؤلاء النواب بين مقاعد البرلمان . يجب أن يرتفع صوت كل نائب عربي ، في كل جلسة من جلسات « الكنيست » ضد المظالم الصهيونية والتعسف الصهيوني للأقلية العربية في إسرائيل ! يجب أن نسمم الرأي العام العالمي ضد الصهيونية العالمية التي – تحت شعار الاضطهاد العنصري النازي – قد سرقت وطناً ، واضطهدت شعباً ، وخلقت دولة . !

كل ذلك ، من واجب الأقلية العربية في داخل إسرائيل ..

أما في الخارج ، فللحديث وجه آخـــر ..

وهو وجه ، عسكري ، نظامي ، منظم ، كبير ..

أعني : هناك خطة واحدة واضحة يجب اتباعها وتنفيذ حقائقها من أجل استعادة فلسطين ..

وإني هنا أترك الحديث عن مقررات الأمم المتحدة .. جانباً !

وأترك معها ، كل تفاصيلها ، وكل ذيولها ، وكل ما يتصل بها من لجنة توفيق ، أو قرارات ، أو وساطة ، أو عودة لاجئين ، أو ما إلى ذلك ..

إني هنا أضع الخطوط العريضة من أجل عودة فلسطين إلى العرب ، لا من أجل عودة اللاجىء الفلسطيني إلى بلده ..

وإذا كانت الفصول السابقة من هذا الكتاب قد اشتملت على « المفاتيح » غير العسكرية من أجل الدخول إلى الأرض المغتصبة ، فإني هنا أقصر الحديث على العنصر العسكري وحـــده ..

الرأي الصحيح أن فلسطين قد ضاعت في معركة ولن تعود إلا في معركة ! وقد تتغير طبيعة هذه المعركة ، أو تتبدل ، أو تقصر ، أو تطول ، ولكنها ستبقى في حقيقتها الأولى — كمعركة .. حربية .. عسكرية .. وقودها الدم والنار ، وأسلحتها المدافع والدبابات والطائرات ومستلزماتها النظام والتدريب والإيمان القوي الصحيح ..!

ومن أجل الاستعداد الصحيح لمواجهة هذه الحقيقة، على كل جيش عربي أن يفرض التدريب العسكري على كل لاجىء فلسطيني يقيم في أرضه ، من سن السادسة عشرة إلى سن الأربعين ..

وكذلك على كل جيش عربي أن يفتح صفوفه بنسبة عالية لفرق عسكرية فلسطينية تحمل علم بلادها ، واسم بلادها ، وإيمان بلادها ، وتكون « خميرة » بث الروح الفلسطينية المتحفزة إلى العودة في صفوف الجنود والضباط ..

وكذلك ، على كل قيادة عربية ، لكل جيش عربي ، أن تكون على علم تام ، ودراسة تامة ، لحقيقة أوضاع وأسلحة الجيش الإسرائيلي . وأن تعمل كل قيادة لكل جيش عربي على تبادل هذه المعلومات مع القيادات العربية الأخرى بصورة منظمة ومستمرة ..

وكذلك ، على كل دولة عربية أن تفتح حدودها المتاخمة لإسرائيل أمام كل فلسطيني يود الدخول إلى أرض آبائه للقيام بدوره الفردي — أو

الجماعي ــ ضد العدو المغتصب.! لقد تحملت دولة المغرب من ضرب الطائرات الفرنسية لحدودها ، كما تحملت دولة تونس من اعتداءات القوات الفرنسية على قراها المتاخمة لحدود الجزائر ، الشيء الكثير ! وكان سبب ذلك ينحصر في أن المغرب وتونس قد فتحتا حدودهما المتاخمة للجزائر أمام حشود القوات الجزائرية ، تدخل منها إلى أرض المعركة وتخرج منها عند الضرورة . وقد حان الوقت لكي تتحمل كل دولة عربية مسؤوليتها أمام التاريـــخ ..

وأخـــيراً ..

فتح باب التطوع من أجل فلسطين أمام الأمة العربية كلهـــا ... وإنشاء ميزانية خاصة في كل دولة عربية للإنفاق على هؤلاء المتطوعين سواء جاؤوا من جيش التحرير الجزائري ، أم جاؤوا من قبائل المغرب أم جاؤوا من شباب العراق ، أم جاؤوا من فتوة مصر .. والعمل السريع على خلق مراكز رئيسية في مدن «غزة» و «طولكرم» و «صور» و «القدس» و «دمشق» و «درعا» لتدريب هؤلاء المتطوعين وتنظيمهم ...

وفوق كل ذلك ، واجب كل فلسطيني أن يدعو حيثما كان ، وعلى أية أرض يعيش ، إلى خلق قيادة عربية موحدة في نطاق ميثاق عسكري عربي واحد ، يجمع بين أكبر عدد من الجيوش العربية ، ولا يترك مكاناً لتكرار المآسي والانهزامات التي حدثت في عام ١٩٤٨ ..

قد يقول البعض ، ولكن وكالة غوث اللاجئين «لن تسمح» للتسعمائة والستين ألف لاجيء فلسطيني الذين يعيشون تحت رحمتها من التجاوب مع النداء القومي الذي يصعد من قلب بلادهم ، ويفرض عليهم الاستعداد والانخراط .. والتدريب .. والعمل المنظم .

وجوابنـــا بسيط ..

إن علينا أن نستعرض في سطور قليلة حقيقة الرسالة التي تقوم بها وكالة الغوث الدولية ، وحقيقة علاقتنا ــ نحن ــ اللاجئين العرب بهذه المؤسسة ..

ثم المستقبل الذي لم يعد غامضاً ، والذي ينتظر أعمال هذه الوكالة في المستقبل .

إن وكالة غوث اللاجئين تنفق كل عام مبلغ ٤٠ مليون و ٧٠٠ ألف دولار خصص منها مبلغ حوالي ٣٣ مليون دولار للغذاء والمأوى والعناية الطبية والخدمات الاجتماعية والتعليم والتدريب ، وخصص منها حوالي ٧ مليون دولار لنفقات القروض والإعانات في الأردن وسوريا وخطط برنامج التدريب المهني ..

وقد واجهت هذه الوكالة أزمة مالية في نهاية عام ١٩٦٠ نتيجة عدم ورود التبرعات الكافية من الدول المساهمة في الصندوق العام ولكن وهذا ما قاله تقريرها السنوي قد استطاعت أن تتغلب على تلك الأزمة « بشيء » من التوفيق ثم بإقناع الدول المساهمة أن تبادر إلى القيام بتعهداتها المالية .

وكل هذا واضح ومفهوم ..

فسواء توفر المال الكافي لوكالة الغوث أم لم يتوفر ، وسواء استطاعت وكالة الغوث الدولية أن تتغلب على عجزها المالي أم لم تستطع ، فإن الدول الكبرى ، وعلى رأسها أمريكا ستمضي في دفع ما عليها حتى يهيأ لها الجو السياسي الصالح لحل قضية اللاجئين ، وبالتالي وضع حد نهائي لأعمال وكالة الغوث الدوليـــة ..

ولست بحاجة لأن أفسر حرص الولايات المتحدة بالنسبة لهذه القضية الحساسة في حياة الشرق العربي — كما وإنني لست بحاجة لأن أشير إلى الدور المؤسف المؤلم الذي وقفته أمريكا في الماضي من قضية فلسطين . ومن هنا فالحقيقة الكبرى ، هي أن أمريكا عندما تتبرع وحدها بمجموع ما تتبرع به سائر الدول الأخرى لصندوق اللاجئين ، فهي إنما لا تدافع عن اللاجئين الفلسطينيين بقدر ما تدافع عن نفسها ..!

والأمر لا يحتاج إلى تفسير ..

ثم أعود إلى موضوع الوكالة وأقول إنه مهما تبدلت الظروف الدولية أو تغيرت فإنني لا أخشى لحظة واحدة ، أن يخلو صندوق وكالة الغوث

من المال الكافي لإغاثة اللاجئين .. إن هذا الصندوق سيبقى زاخراً مهما ساءت الأحوال — بالمال الذي يكفي لسد رمق اللاجئين ومده بالخبز والحليب والألف وستمائة وحدة حرارية في يوم الشتاء ، وألف وخمسمائة وحدة حرارية في يوم الصيف ..

وعليه ، فإن أعمال وكالة الغوث ستمضي في طريقها المرسوم ما دامت قضية اللاجئين ، وما دمنا نحن ، نسمح لها بالاستمرار ..

المستقبل لا يتوقف على الوكالة ولا على الدول التي تمد الوكالة بالمال بقدر ما يتوقف علينا .. نحن الشعوب العربية والحكومات العربية وجامعة الدول العربيـــة ..

أريد أن أصر على تأكيد نقطة واحدة في هذه الكلمات وهي أنني لا أناقش أهمية الواجبات الأساسية التي تقوم بها وكالة غوث اللاجئين ، أنا أناقش فقط المبدأ الذي تقوم عليه تلك الواجبات ، أنا أتساءل إلى متى يبقى اللاجيء .. لاجئـــاً ؟؟

إن مدير الوكالة قال في تقريره عن اللاجئين بالحرف الواحد :

« لقد أشار المدير في تقريره العام الماضي مرة أخرى إلى موقف اللاجئين واعتقادهم بأن ظلماً فادحاً قد ألحق بهم ، وإلى حنينهم للعودة إلى ديارهم ! ولم تحصل أية تطورات جديدة جديرة بالذكر هذا العام . كما أنه ليس هناك ما يدل على حدوث أي تغيير في موقفهم العدائي كمجموعة من المشاريع الإنشائية التي تنطوي — حسب اعتقادهم — على الإسكان الدائم بعيدين عن ديارهم وديار آبائهم وأجدادهم ، والتخلي عن آمالهم في العودة إلى وطنهم » ..

ويستطرد تقرير الوكالة فيقول :

« ومن ناحية أخرى لم تتخذ حكومة إسرائيل أي إجراء إيجابي لتسهيل تنفيذ قرار الجمعية العامة رقم (١٩٤) (٣) الصادر في ١١ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٨ والمتعلق بإعادتهم إلى وطنهم والتعويض عليهم .

وبالنظر لعدم وجود حل لهذه القضية السياسية فإن محاولات الوكالة للقيام بالمهمة المنوطة بها وهي إدماج اللاجئين في حياة الشرق الأدنى الاقتصادية إما بإعادتهم أو بإسكانهم ، ستظل معرقلة .. »

انتهى تقرير الوكالة ..

يعني .. الوكالة تعترف بأنها فشلت حتى اليوم وبعد مرور أربع عشرة سنة على نكبة فلسطين ، في حمل اللاجيء على تغيير موقفه من العودة إلى وطنه . كما أنها فشلت باعترافها في سائر محاولاتها لإدماج اللاجئين في حياة هذا الشرق الاقتصادية ..

هل هذا كل شيء ؟

لا ..

فإن الوكالة تعترف كذلك – كما أشرت في مكان آخر من هذا الكتاب – بأن الموقف العدائي الذي تقفه إسرائيل من أمر عودة اللاجئين حسب قرارات الأمم المتحدة في ديسمبر عام ١٩٤٨ لم يتبدل ولم يتغير ..

وباختصار ..

اللاجيء الفلسطيني – غير راض – ولا يريد الا العودة ..

اللاجيء الفلسطيني – يرفض مشاريع الاسكان – ويصر على اعتبار وكالة الغوث كشيء عابر موقت في حياته ..

اسرائيل ترفض الرضوخ لقرارات الأمم المتحدة وإعادة اللاجئين الى بلادهـــم ..

الوكالة استطاعت ان تقدم للاجيء أكلاً وحليباً ودواء ولكنها تركته في عذاب نفساني دائم لا ينتهي الا بعودة هذا اللاجيء الى البلد الذي خرج منـــه ..

من هنا يحق لي أن أتساءل ..

هل هناك جبهة ذات اختصاص استطاعت وكالة غوث اللاجئين ان تفوز برضاها وثقتها ؟

جوابي : لا ..

فلا اللاجيء ، ولا الدول التي تتبرع لهذا اللاجيء ، ولا وكالة غوث اللاجئين ، ولا إسرائيل ، ولا أحد يمر اليوم بأعمال وكالة الغوث ويرضى بهـا ..

من بقي إذن ؟

بقيت الدول العربية ..

وقريباً .. في ذات يوم لم يعد بعيداً .. ستعلن وكالة غوث اللاجئين عن انتهاء رسالتها . ونبقى نحن بين احتمالين :

إما أن نستعد من الآن لهذا اليوم القريب بحيث لا يكون مثل هذا القرار مفاجأة لنـا ..

أو أن نقوم باتصالاتنا الدبلوماسية مع الأمم المتحدة والدول الأعضاء فيها من أجل مد عمر وكالة الغوث فترة أخرى تستمر فيها بالبقاء تحت رحمة قرار جديد يصدر عنهـا ..

ومن الآن علينا أن نسأل أنفسنا : ماذا سيكون عليه موقفنا من وكالـة غوث اللاجئين ..؟

ان هناك أموراً كثيرة يجب بحثها قبل أن نجيب على هذا السؤال :

أولاً — وكالة غوث اللاجئين وكالة دخيلة علينا .. وعلى اللاجيء .. وعلى المواطن معـاً ..

ثانيـاً — أموال وكالة غوث اللاجئين كلها — باستثناء أقل من القليل — من دول ليست عربية ..

ثالثـاً — وكالة غوث اللاجئين تعالج حالة اليوم ، ولا تعالج حالة الغد .. انها ليست حلاً لقضية فلسطين .. انها العلاج العابر لأثر من آثار نكبة فلسطين .. فقط . !

رابعاً — وكالة غوث اللاجئين بقدر ما خففت عن اللاجيء اضرار النكبة فإنها — أي هذه الوكالة — قد ساعدت المعتدي على حقنا في فلسطين أن

يؤجل .. ويساوم .. ويتحدى ! وبمعنى آخر .. لقد ساعدت وكالة الغوث على « تخفيف » معنى النكبة أمام الرأي العام العالمي ، وقد جاء هذا التخفيف معاكساً للقضية الفلسطينية ولوجهة النظر العربية التي يهمها أن يدرك العالم كله خطورة مأساة فلسطين على حقيقتها التامـــة ..

خامساً ــ اهتمت وكالة غوث اللاجئين بجانب واحد من اللاجئين الفلسطينيين . جانب الفلاح الذي فقد أرضه وبيته فالتجأ الى خيمة وكالة الغوث .. أما الوضع الحقيقي فهو أن هناك نوعاً آخر من اللاجئين لا يقل احتياجاً عن الفلاح او العامل الفلسطيني .. مثلاً هناك ساكن الحدود وصاحب الأرض ، والفلسطيني الذي يعيش اليوم في القسم العربي في فلسطين ولكنه فقد كل أملاكه الواقعة في القسم اليهودي .. كل هؤلاء تنطبق عليهم صفة « اللاجيء » ولكنهم كفكفوا دموعهم ، ومضوا يشقون طريقهم في الحياة ، بعيدين عن وكالة الغوث الدولية ..

سادساً ــ ان وكالة الغوث الدولية تنظر إلى اللاجيء الفلسطيني كانسان يستحق أن يأكل ليعيش أما أنا ، وأنتم ، وأما فلسطين ذاتها ، فانها تنظر إلى اللاجيء نظرة أخرى : ان هذا اللاجيء ليس إنساناً من حقه أن يأكل وينام فحسب بل انه جندي من حقه أن يتدرب ليحارب.. ليعـــود ..

سابعاً ــ ان جانباً كبيراً من مخصصات وكالة غوث اللاجئين تذهب كرواتب للموظفين الأجانب الكبار في هذه الوكالة . ان بعض هؤلاء الموظفين يتقاضى مبالغ لا تقل عن ألفي دولار في الشهر الواحد . ونحن بحاجة لكي ندرس وسيلة توفر على اللاجيء المحتاج تلك النفقات الباهظة . وبعد هذا تسألونني .. ماذا إذن ..؟

أقول لكـــم :

● خذوا وكالة الغوث واشرفوا عليها بانفسكم وحسب شروطكم

وأهدافكم وآمالكم .

- أو حلوا وكالة الغوث وطالبوا الدول المتبرعة أن تدفع تبرعاتها عن طريقكم وحدكم ..
- أو طالبوا وكالة الغوث ان تعدل برنامجها الدراسي والعلمي و « الحياتي » بحيث تجعل اللاجيء جندياً يستعد للغد ، لا أن تبقيه ساكناً مستسلماً يأكل ويتزوج ويرزق البنون والبنات .

« أيها الاخـــوة ..

في ٢ نوفمبر ، ١٥ مايو من كل عام استجير بربي عليهم ! أدعوه للانتقام منهم !

أقول له : أغدر بهم يا رب كما غدروا بي . !

في كل عام ، أردد بيني وبين نفسي مزامير داود : « ربي لا تؤخر عني سندك .. وانقذني من أنياب الوحوش .. واعطني رحمتك .. »

في كل عام أقول لولدي الرضيع .. سنعود يا ولدي .. وأنت معي .. سنعود .. سنعود إلى أرضنا ونمشي عليها حفاة .. سنخلع أحذيتنا لنرى قداسة التربة التي تحتنا .. سنخلط أنفاسنا بهوائها ، بترابها .. سنمشي حتى نصل أشجار البرتقال .. سنتحسس الرمال والماء ! سنلثم الزرع والثمر ! سننام تحت ظل أول شجرة نلقاها .. سننحني أمام أول قبر يضم شهيداً .. سنتلفت بحثاً عن عمرنا ، أين عمرنا ؟، هنا مع ساحة هذه القرية .. مع مئذنة هذا المسجد .. مع هذا الحقل الحبيب ، مع هذا الحائط الخرب ، مع بقية سور مائل وبقية بناء مدروس ! هنا عمرنا ، كل ذرة رمل تدلنا على عمرنا ! ألا تذكرون « يافا » والشاطيء الحلو ، و « حيفا » « والجبل الشامخ » و « بيسان » و « حقول الخضرة والثمر » و « الناصرة » وأجراس الناصري و « عكا » وذكريات الجزار وابراهيم باشا ونابليون والقلعة ، ثم شوارع قدسنا .. « قدسي » الغالية .. وطبريا والشاطيء الهادىء على أمواج من ذهب ، والمجدل وبقية أهلي على أرضها ..

هنا يا ولدي عمري وعمرك ..

هذا يا قطعة دمي يومي ويومك .. وعيدي وعيدك ..

لقد عدنا وأصبحنا –كغيرنا– بشراً. عدنا للحق، للخير، ولشجر الزيتون .. وللمصيف الحلو .. عدنا قريبين إلى الله .. ألا ترون الله .. هنا بجانبنا ... ؟

وسأرى الحقد في عيون ولدي وأولادكم .. سأراهم كيف ينتقمون. وإذا جهلوا فسأعلمهم كيف ينتقمون .. وإذا هادنوا أو تهادنوا أو سالموا فسأحاربهم كما أحارب عدوي وعدوهم ..

أريدهم أن يقسوا ويتجبروا ويثأروا. أريدهم أن يغسلوا نكبة ١٩٤٨ بالدم الذي حرم عليهم دخول بلادهم .. ان وطنهم عزيز عليهم، ولكن الثأر أعز عليهم من وطنهم ..

وسندخل أوكارهم في تل أبيب .. سندكها بالفأس، بالبندقية، باليد، بالظفر، بالاسنان.

سنغني أغاني «قبية» و «دير ياسين» و «ناصرالدين»، وسننشد أناشيد العودة الظافرة المنتقمة ..

وإلى أن يصبح الأمل حقيقة سنردد بلسان اشعيا من مزامير داود :

« اللهم احمني من المعتدين واطردهم .. احمل سلاحك ياربي ودرعك، فأنت القوة التي تنقذني .. أحمل سيفك واقطع الطريق على الذين يقتفون أثري، وقل لي .. اني خلاصك ... ! »

يا رب .. هبني من نفحاتك أملا ..

هبني من قوتك إيمانا ..

هبني صبراً أشفي به نفساً معذبة وقلباً موجعا ..

يارب ..

دعني أعيش، حتى أعود ..

وسأعود ...

سأعود لكي أحطم بيدي .. بيدي «وحدي» المنشآت والمضخات والآلات والأقبية والأنابيب التي بناها وأعدّها العدوّ لكي يسرق مياه وطني، وينقلها إلى العراء لكي يشربها ويعيش بها من يريد ان يجعل من ولدي، أيضاً، وحفيدي أيضاً، لاجئاً من مصر، ولاجئاً من لبنان، ولاجئاً من الأردن، ولاجئاً من العراق .!!

هل أتاكم يا اخوتي — حديث هذه المؤامرة الكبرى في سرقة مياه الأردن .؟

منذ عام ١٩٥٣ قررت إسرائيل أن تبدأ في تحويل مياه نهر الأردن ... وجاء «اريك جونستون» وعاد «اريك جونستون» ولم تتوقف اسرائيل يوماً واحداً، عن المضي في مؤامراتها ..

وازاء استمرار اسرائيل في المضي بتنفيذ مشروع تحويل نهر الأردن قامت الدول العربية باجراءات كان القصد منها الحيلولة، دون تمكين إسرائيل من اتمام عمليات التحويل . وهكذا :

١ — دعت الجمهورية العربية المتحدة كلاً من لبنان والأردن الى اجتماع تمهيدي في ديسمبر سنة ١٩٥٩ بوزارة الخارجية بالقاهرة وبعد دراسة الخطوات التي قامت بها اسرائيل في تنفيذ مشروعها وما يتعين اتباعه لمواجهة هذه الحال أوصت اللجنة بوجوب دعوة مجلس الجامعة لعقد اجتماع خاص لبحث الموضوع .

٢ — انعقد مجلس الجامعة العربية في دور اجتماعه العادي في ٢٢ فبراير ١٩٦٠ وبحث موضوع التحويل وقرر ما يلي (قرار رقم ١٦٤٠) :

أولا — ان اقدام اسرائيل على تحويل مياه الأردن هو عمل عدواني ضد العرب يبرر الدفاع المشروع عن النفس الذي تتضامن الدول العربية جمعاء فيه .

ثانياً — أ — وجوب استثمار مياه حوض الأردن لصالح البلاد العربية وعرب فلسطين وهي حق مشروع لهم .

ب ـ يوصي المجلس بأن تسارع الدول العربية منفردة ومجتمعة إلى تحقيق ذلك.

حـ ـ يوصي كذلك بأن تتعاون الدول العربية في هذا السبيل ويقرر إنشاء هيئة خاصة مرتبطة بجامعة الدول العربية تكون مهمتها تنسيق العمل في هذا الصدد ومتابعة انجازه، ويعهد الى الأمين العام أمر تشكيل الهيئة المذكورة بعد الاتصال اللازم بحكومات الدول الأعضاء.

٣ ـ شكلت الأمانة العامة اللجنة الفنية وعقدت اجتماعها بالقاهرة وحضرها الدكتور محمد أحمد سليم والمقدم سليم عبدالفتاح يونس عن الجمهورية العربية المتحدة ومندوب عن لبنان ولم يحضر أحد عن الأردن وقدمت تقريراً فنياً عن مشاريع التحويل واقتراحاتها.

٤ ـ أعيد عرض الموضوع على مجلس الجامعة في دورته الاستثنائية بشتورة بلبنـــان.

قرر المجلس بتاريخ ٢٨ ـ ٨ ـ ١٩٦٠ (قرار رقم ١٦٩٦) ما يلي:

ا ـ دعوة الهيئة الفنية لمتابعة أعمالها وتقديم تقريرها قبل اجتماع وزراء الخارجية المزمع عقده بعد دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ب ـ أن يعهد الى اللجنة العسكرية الدائمة منضماً اليها ممثلون عسكريون لباقي الدول الأعضاء غير المشتركة في معاهدة الدفاع المشترك لوضع مخطط شامل لمواجهة جميع الاحتمالات.

٥ ـ ألف الامين العام للجامعة بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٦٠ لجنة فنية جديدة من مندوبين عن الأردن والجمهورية العربية المتحدة ولبنان ودعيت اللجنة للاجتماع من ٥ إلى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٦٠ ووضعت تقريراً يتضمن:

ا ـ بيان عن مشروع اسرائيل لتحويل مجرى نهر الأردن.

ب ـ الاضرار المادية التي ستلحق بالبلاد العربية من جراء تنفيذ المشروع

الاسرائيـلي .

جـ ـ التدابير الفنية المقترحة لتحويل منابع الأردن وروافده في البلاد العربية قبل دخولها الأراضي المحتلة . وقسمت هذه التدابير الى :

أولاً : تدابير فورية يجب القيام بها ..

ثانيـاً : تدابير طويلة الأجل غالية التكاليف ..

د ـ الاضرار التي ستلحق بالمشروع الاسرائيلي لتنفيذ الأعمال المقترحة ..

والتدابير الفورية المشار اليها ترمي الى تحويل مياه نهر الحاصباني عن طريق انشاء سد تحويل عند سوق الخان ونفق تحويل المياه الى نهر الليطاني وانشاء مركز فتح عند الوزاني وتكلف ١٠ ملايين ليرة سورية .. كما ترمي الى تحويل مجرى نهر البانياس عن طريق قناتين رئيسيتين وشبكتي توزيع مياه حتى منطقة طبريا وكذا مد قناة رئيسية حتى نهر اليرموك . وتكلف هذه ٣٠ مليون ليرة سورية . ويلاحظ ان اللجنة تركت مشروع مد قناة رئيسية حتى نهر اليرموك الى آخر المراحل نظراً لارتفاع نفقاتـه .

٦ ـ وقدمت اللجنة الفنية التوصيات التاليـة :

أ ـ تكليف الحكومات العربية المعنية بالقيام بتنفيذ المشروعات الفورية المعدة للرد على قيام اسرائيل بالاعتداء على مياه الأردن وتحويلها خارج حوض النهر .

ب ـ تكليف الحكومات العربية المعنية في نفس الوقت باستكمال الابحاث والدراسات اللازمة للانتفاع من المياه العربية داخل الأراضي العربية واستغلالها بشكل يضمن المصالح العربية بصورة شاملـة .

جـ ـ تحديد المدى الذي يسمح فيه لكل بلد استغلال المياه المنبثقة داخل أراضيه مع مراعاة حاجة الأردن الى المياه نتيجة الاضرار التي ستعود عليه من الاعتداء الاسرائيلي .

د ـ تزويد هذه اللجنة الفنية بنتائج الابحاث والتوجيهات المشار اليها

بالبند السابق لتتمكن من الربط والتنسيق بين مختلف المشروعات وتقديم التوصيات اللازمة بصددها.

وقد احتفظ مندوب الأردن بحقه في الرجوع الى حكومته بالنسبة لقبول التوصيات السابقة..

٧ ـ وفي ٢٢ ـ ١١ ـ ١٩٦٠، أرسلت الحكومة الأردنية مذكرة الى الامانة العامة للجامعة العربية، بينت فيها ان مقترحات اللجنة الفنية العربية سوف تؤثر تأثيراً كلياً ومباشراً على مشروع البوتاس الاردني وقد يؤدي الى إلغاء المشروع لأسباب فنية ذكرتها، وأوضحت ان التكاليف الاولية التي ستضاف الى المشروع كنتيجة حتمية لهذا التحويل.. اذا ما تقرر العمل به ستكون ١,٣١٢,٠٠٠ دينـــار.

ويفهم من ذلك ان الاردن يعارض ضمناً في تنفيذ تحويل الروافــد..

٨ ـ اما الأمانة العسكرية فتقدمت بمذكرة للجامعة العربية في ٣ ـ ١٠ ـ ١٩٦٠ إثر دراساتها لموضوع تحويل مجرى نهر الأردن ـ ضمنتها توصياتها بهذا الشأن ويتبين منها ضرورة التضامن العربي، ووضعت حقائق عسكرية معينة تحت نظر اللجنـــة.

٩ ـ ويلاحظ انه في الوقت الذي كانت تقوم فيه الدول العربية بالتباحث لإيجاد وسيلة مشتركة لمواجهة الاعتداء الاسرائيلي بتحويل مجرى نهر الأردن ـ كانت الحكومة الأردنية تقوم من جانبها بتنفيذ مشروع اليرموك داخل أراضيها عن طريق شق قناة الغور الشرقية..

وبعد هذا كله، ما هو الموقف في هذه اللحظة..؟

الموقف ـ مع الأسف ـ يدعو الى الأسف..

فقد انتهت المرحلة الاولى ببناء مواسير مغطاة قطرها مائة وثمانية بوصات بين بحيرة طبريا وخزان سهل الباطوف..

كما وضع اليهود موتورات لضخ المياه من بحيرة طبريا إلى القناة التي شقوها بدلاً من المشروع الاصلي الذي كان يقوم على ضخ المياه شمالي بحيرة

الحولة عن طريق المنطقة المجردة من السلاح .. ثم عادوا وقرروا التخلي عن هذه الفكرة وتنفيذ فكرة جديدة تتضمن رفع المياه من شمالي بحيرة طبريا بمعدل ألف قدم في مسافة تبلغ حوالي ١٢ ميلاً .. ولكي لا تظهر اسرائيل بمظهر الدولة المعتدية في أرض طرم ، فقد قررت أن تبني هذه المنشآت في أقبية من الاسمنت المسلح تحت الأرض ثم يجري ضخ المياه الى أعلى على مرحلتين اثنتين .. الاولى ترفع المياه على علو « ٧٥٠ قدماً » ، ثم الثانية التي تدفع المياه إلى علو ٣٢٠ قدماً أخرى . وسينتهي العمل بهذا المشروع أو في مطلع عام ١٩٦٣ .. وسيجري بموجب ذلك تحويل مبلغ ثلاثمئة وعشرين مليون متر مكعب من بحيرة طبريا الى النقب .. وتقول اسرائيل — بذلك — الى الأمم المتحدة والدول الكبرى : ان هذا المشروع يعطينا ٣٢٠ مليون متر مكعب من المياه .. بينما اللجنة الفنية للجامعة العربية قد اعطتنا بموجب مشروعها عام ١٩٥٤ أكثر من أربعمائة مليون متر مكعب .. وان هذا المشروع لا يتعدى على أية أرض عربية ولا على أية بقعة في الأرض الحرام ، وان هذا المشروع في جانب اسرائيل لا يختلف — من حيث المبدأ — عما قامت بتنفيذه الأردن من تحويل مياه نهر اليرموك ، وبناء الخزانات والسدود فوق هذا النهر ، لمصلحتها .. خاصة — وهذه وجهة نظر اسرائيل — ان كمية المياه المحولة من نهر اليرموك تبلغ نحو أربعة آلاف وخمسمائة متر مكعب في الساعة الواحدة ، وانه عندما تتم الأردن عمليات التحويل فان ذلك يعني أن تخسر اسرائيل أربعين مليون متر مكعب من المياه في السنة ..

المهم : المعنى الواضح من وراء تحويل مياه الأردن لم يعد خافياً .. ومعنى تعمير « النقب » من أجل استيعاب خمسة ملايين يهودي جديد .. لم يعد خافيـاً ..

ترى هل ننتظر حتى تتم عملية التحويل .. تحويل المياه ..؟

ان ننتظر حتى تتم عملية التعمير .. تعمير الصحراء ..؟

وإذا كان من حق اسرائيل — كما كان ينادي بذلك زعماؤها وقادتها من بن‌غوريون .. الى شرتوك .. الى مناحم بيجن .. الى جولدا مايير أن تقوم بحرية التصرف العسكري في حالة وقوع اضطراب في الضفة الغربية من الأردن أو انقلاب سياسي في الوضع الأردني من شأنه أن يهدد سلامتها بالخطر .. نقول إذا كانت اسرائيل تؤكد بأنها ستبادر الى احتلال الضفة الغربية من الأردن اذا وصلت القوات العراقية أو المصرية أو السورية إلى حدود الأردن .. لأنها ترى في ذلك خطراً على وجودها .. فهل نسكت، ونرضى، ونبارك عملية سرقة مياهنا وتحويلها الى الصحراء المجاورة لنا، على حدودنا، في قلب وطننا، لكي يتجمع فوق رمالها خمسة ملايين يهودي جديد .. ؟

أليس تعمير الصحراء واستيعاب خمسة ملايين يهودي فوقها، أكثر خطراً علينا نحن العرب، من انضمام الأردن الى أية وحدة عربية ووقوف القوات العربية « الواحدة » على حدود اسرائيل ؟

مرة أخرى نتساءل : ماذا ننتظر ..؟

والجواب واحد لا يتغير :

— يجب أن نعود .. لكي نحطم هذا كله .. بأيدينا .. بدمائنا .. بارادتنا .. بحقدنا .. وتبقى مياهنا لنا .. لنا وحدنا . !

أجل . !

ويجب أن نعود لكي ننسف كل مصنع ذري وكل فرن ذري بناه « بن غوريون » لكي يجعل من « الذرة » عامل ارهاب وتخويف وتقتيل لنا في المستقبل .....

فالفرن « الذري » الذي بدأ العدو في حفر أساساته في نوفمبر عام ١٩٥٨ .. وما تبع ذلك وما أذيع في شهر مايو عام ١٩٥٩ على لسان الصحف العبرية(١)

---

١ — جريدة « هابوكر » ١٠-٥-١٩٥٩ .

من أن الولايات المتحدة قد قدمت لاسرائيل فرناً ذرياً متعهدة بتقديم مادة اليورانيوم اللازمة لتشغيله بقوة ألف كيلووات .. ثم ما تبع ذلك وما أذيع في شهر ديسمبر عام ١٩٦٠ عن وجود فرن ذري ثان لاسرائيل في منطقة صحراء النقب وبالتحديد في منطقة « وادي عربة » بجوار مستعمرة « ديمونة » الى الجنوب الشرقي من مدينة بئرالسبع .. وهذا بدوره ، أرغم بن‌غوريون على أن يعترف بوجود هذا الفرن ، ويعلن عنه وسط ضجة المعارضة الاسرائيلية واحتجاجاتها في ٢١ يناير عام ١٩٦٠ قائلاً : « إن هذا المشروع الجديد بالرغم من أنه مخصص للاغراض السلمية الا اننا احتفظنا بسريته مدة ١٨ شهراً تفادياً لما سيسببه هذا الخبر من الخوف في البلاد العربية .. فقد طلبت منا دول عديدة تعهداً بأن اسرائيل سوف لا تقوم باستغلال المشروع في انتاج الاسلحة الذرية .. »

وسواء قيل ان الجنرال الفرنسي بوشاليه **Buchalet** هو الذي التحق بالشركة اليهودية الدولية **Schneider** بعد أن كان مشرفاً على تفجير القنبلة الذرية الفرنسية في الصحراء الكبرى ...

أو قيل أن فرنسا قد مدت اسرائيل بكل ما تحتاج اليه الأخيرة من مساعدات ومعلومات حول هذا الموضوع ، دون علم الولايات المتحدة وموافقتها ...

أو قيل على لسان صحيفة « الواشنطن بوست » في ١٨ يناير ١٩٦١ من أن المسؤولين الأمريكان قد حاولوا عبثاً حمل الاسرائيليين على عدم صنع قنبلتهم الذرية .. وان الخبراء الامريكيون يؤكدون ان لديهم معلومات لا يتطرق اليها الشك بأن اسرائيل — إذا تدفقت الاسلحة من بلدان الكتلة الاشتراكية الى البلاد العربية — ستصنع قنبلة ذرية .

أو قيل أن لجنة الطاقة الذرية قد تألفت في اسرائيل برئاسة رئيس الوزراء عام ١٩٥٢ .. وعضوية ستة أشخاص .. وبميزانية خاصة بلغت عام ١٩٥٧ أكثر من ٢٧ مليون دولار .. وإن اسرائيل قد مدت انابيب نفط (بترول)

خاصة لنقل عشرة آلاف طن من الغاز في السنة لفرنها الذري في النقب .. وان حوالي مائة مليون دولار قد أنفقها – بن‌غوريون ومستشاروه – دون استشارة أحد على انشاء هذا الفرن الذري .

سواء هذا أم ذاك ..

وسواء انتجت اسرائيل القنبلة الذرية أم لم تنتجها ..

وسواء حصلت اسرائيل على أسرار الذرة – كاملة – ام لم تحصل ..

فان ذلك كله ، لن يكون – كما يريد بن‌غوريون – عامل تخويف لنا وارهاب لاعمالنا ويأس في قلوبنا من استعادة ارضنا ووطننا .. بل هذا كله بالذات – سيكون عامل قوة يدفعنا لأن نستعجل الايام ونستقرب الوقت الذي ندخل فيه الى الأرض الطيبة وننسف هذه المنشئات الذرية ونحطمها فوق رؤوس أهلها .. ونطهر منها رمال النقب ..

يريد بن‌غوريون أن يجعل من قصة القنبلة الذرية – كما أعلن يوم ٢١ يناير عام ١٩٦٠ – سبباً يرهبنا به . يريد أن يفرض بذلك شروط الصلح علينا .. يريد ان يرغمنا على الاعتراف بأن اسرائيل قوية .. قوية جداً .. قوية جداً جداً .. وانها بالتالي قد ولدت لتعيش ، لا لتزول ..

ولكن ..

إذا كان في وسع مجموعة تافهة من العصابات الصهيونية ، كالأرغون .. واشتيرن .. والهاجانا .. ان ترغم بريطانيا العظمى – باسطولها ، بمائتي الف عسكري لها في فلسطين ، بمخابراتها البحرية ، بأموالها ، بنفوذها الدولي بهيبتها ، على أن تفزع وتستسلم وتقرر الانسحاب من فلسطين .. فمن باب أولى ، أن يستطيع تسعون مليون عربي ، بروحهم الفدائية ، بأموالهم ، بجيوشهم ، بالحقد الذي في قلوبهم ، بالايمان الذي في صدورهم ، بالعزم الذي في تفكيرهم ، بالخطر الذي يهدد مستقبلهم ، بالمعاني التي رأوها في حرب فلسطين ، وقبل حرب فلسطين ، وبعد حرب فلسطين .. نقول ، من

باب أولى أن نستطيع نحن – أن نفعل أكثر ، ونحقق أكثر ، وننجح أكثر ..

وبعد ذلك ، فلتتفضل اسرائيل وتقذفنا بما أنتجته من قنابل ذرية ..

ان الموضوع لا يحتاج الى طول بحث :

فاما بقاء أو لا بقاء .. إما وجود أو لا وجود ..

أما نحن ، أو هم ..

ويا نسمات حرب الفداء في ليلة « ٢٩ أغسطس عام ١٩٥٥ » .. لقد هزنا الشوق وحان اللقاء !!

ويا بطولات أهلي في موجاتهم الفدائية عبر الحدود .. الى قلب مواقع العدو ، في منتصف ليل السادس من ابريل عام ١٩٥٦ لقد ظمأت الى رؤيتكم تلال يافا وبيارات « وادي حنين » .! .

ويا غارات كل فدائي ، من شعب كل منا فيه ، فدائي ، لقد مضت تسأل عنكم .. عن اصحابكم .. « بيت جبرين » .. ومستعمرة « غورا » والفالوجة .. ومستعمرة شابيرا .. وجبعات راحيل .. « وابوغليون » .. واورين .. ورحبوت .. وزكيم ..ديرسنيد .. والقسطل .. وكفاز حارشوت .. وعين حارود .. وعاقر .. ووادي عاره .. وشوارع الرملة ، واللد ، وكل شبر من البلد السجين ، وتنادي :

– بحق روح « مصطفى حافظ » شهيد الفدائية .. بحق حرب لا يفهم العدو الا لغتها .. ولا يخاف الا منها .. ولا يرضخ الا امامها ..ولا يستسلم الا لها .. تعالوا .. ادخلوا .. تسللوا .. اعبروا فقد جاء قبلكم ابطال ، وشهداء ، وفدائيون ، وقادة ، واستطاعوا أن يرغموا اليهود على البكاء والنحيب .. وادخلوهم – عنوة – الى بيوتهم .. وأرغموهم على العودة قبل غروب الشمس الى منازلهم .. واملأوا قلوبهم خوفاً ورعباً .. واجعلوا مندوبهم في الأمم المتحدة يصرخ باكياً :

– ان القضاء على اعمال الفدائيين ضروري بالنسبة لبقاء اسرائيل ،

أو زوالهـــا .![1]

قال تعالى في كتابه العزيز :

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم .. » !

صدق الله العظيم .

---

١ - « صوت اسرائيل » - « أبا ايبان » صفحة ٢٢٥ .

الخـاتمة

« لو عرفنا أين نحن .. وإلى أين نتجه .. لأدركنـا
مادا علينا ان نفعل .. وكيف يجب ان نفعله .. »

« ابراهام لنكولن »

المعركة طويلة جداً .. والطريق « الى هناك » محفوف بالشوك ، والتعب ، والدم .! وسنواجه فترات متعاقبة يتغلب فيها اليأس على الأمل ، والقنوط على الرجاء ، والجمود على الحركة .! قد نرى اعداءنا يقفزون بمشاريعهم من نصر الى نصر ويحققون بنشاطهم مكسباً بعد مكسب .! قد تتضاعف موجات الهجرة القادمة الى « بلادنا » من عواصم أوروبا فتزيد من عدد نفوس دولة الاعداء ، وقوة جيشهم .! قد نواجه المزيد من الأزمات ، والمزيد من الضربات والمزيد من الزوابع والأعاصير .! وقد نتلفت حولنا فنجد معظم الدول العربية — التي يجب أن تبقى طرفاً أساسياً في معركة المصير — مشغولة بقضاياها .. بمشاكلها .. بتطورها .! وقد ندعو فلا يستجيب الى دعائنا أحد ، ونصيح فلا يسمع صيحتنا بشر .! وقد تشتد الخصومات والخلافات بين الدول العربية ، فيزيد ذلك من سواد الليل الذي نعيش فيه ، ويضاعف من حلكة الضباب الذي يحيط بنا ! وقد تمر دورة للأمم المتحدة بعد دورة ، وجلسة بعد جلسة ، وعام بعد عام ، ونحن ما زلنا نتطلع عبر الاسلاك الشائكة والأسوار العالية الى مزارعنا الخيرة وبياراتنا ، وقرانا ، ومدننا ، ورمالنا ، فلا نجد سوى الدمع بلسماً نخفف به نار الشوق الى تلك

ولكن ذلك كله ، يجب ألاّ يؤخر لحظة واحدة ، في صرفنا عن الاستعداد لليوم القادم الكبير ..! يجب أن لا يضعف ايماننا بالعودة .! يجب آن نختار يوماً نبدأ به .. ونبدأ منه .. واذا لم نبدأ اليوم ، فيجب أن نبدأ غداً ، واذا لم نبدأ غداً، فيجب أن نبدأ بعد غد.. ان المهم هو ان نبدأ .. هو أن نتحرك ليفهم العالم اننا لم نمت .. هو أن نثبت وجود بقية حياة في نفوسنا وقلوبنا .. هو أن نقول للدنيا أن الايام والسنين لم تأخذ منا الا العمر .. أما الايمان بحقنا ، وأما الثقة بعودتنا ، فهما اقوى من الايام ومن العمر ومن السنين !

ولقد سبقنا الى مثل حالنا ، رجل مثل « الجنرال شارل ديغول » رئيس جمهورية فرنسا ، وزعيم « فرنسا الحرة » أيام الحرب العالمية الأخيرة . ففي وسط انتفاضات ومقاومات اهالي رومانيا ، والمجر ، وبلغاريا ، وفنلندا ، ويوغسلافيا وبولندا ، ضد الطغيان النازي الذي احتل بلادهم بالحديد والنار ، انطلق شارل ديغول يقول وبلاده ما زالت في قبضة هتلر :

« لو اننا انتظرنا —كما نحن— حتى تنتهي الحرب ، لفقدنا ثقتنا في أنفسنا ، ولكان ذلك سبيلاً الى القضاء على استقلالنا الى الابد .. لقد كان علينا أن نتحرك ، لئلا يؤدي سلوكنا الحالي الى موت دائم .. استعباد اعدائنا لنا ، الى تحكم حلفائنا بنـــا »[1]

ولهذا ، وقف ديغول وسط بحر المانش ، وعلى شواطىء بريطانيا ، يترقب عودة الفدائيين الفرنسيين من شواطىء فرنسا ، يحملون اليه تفاصيل أخبار العدو ، ويتسلمون منه تعليماته وتوجيهاته في العمل ..

وبهذه الروح ، وبمثلها ، دعا « تيتو » اللجنة المركزية لحزبه في يوغوسلافيا الى الاجتماع سراً في ضاحية بعيدة من ضواحي بلغراد ، وتقرر بدء الثورة في ٢٢ يونيه عام ١٩٤١ ..

---

١ — الاتحاد — مذكرات « ديجول » ١٩٤٢ — ١٩٤٤ .

ففي ذلك الاجتماع ، كان « تيتو » ، والجيش الالماني يحتل بلاده بالحديد والنار ، يكتب نص النداء الذي وجهه الى الشعب اليوغوسلافي يطالبه بالثورة والانقضاض على غزاة بلاده من الطليان ، والالمان ، والبلغاريين ! لقد قال تيتو في معرض ندائه التاريخي المذكور :

« أدوا واجبكم يا أبناء الوطن في حربكم من أجل الحرية تحت قيادة الحزب اليوغوسلافي .. وأنتم ايها العمال كونوا مستعدين للمعركة الفاصلة والأخيرة[1] ... »

ولم يمض أكثر من ثلاثة أيام على مثل هذا النداء ، حتى كانت قوات الشعب السرية في مدينة « زغرب » تنسف خطوط السكة الحديدية .. وتحرق الصحف « الخائنة » المتعاونة مع الالمان .. وتقوم باعمال الارهاب في جميع انحاء يوغوسلافيا .! ان تيتو يصف تلك الاعمال بقولـه :

«كانت اعمال تلقائية .. صادقة .. انطلقت بلا نظام .. ولكن بأمانة ! »

ولم يستطع نظام منع التجول .. ولا حملات التفتيش المستمرة ... ولا الاعتقالات الجماعية .. ان تطفىء تلك الثورة .! وعندما انبرى رجال البوليس اليوغوسلافي لمقاومة اعمال الشعب ، قرر الوطنيون اعدام رجال البوليس اليوغوسلافي .. ثم راحوا ينفذون هذا الحكم .. علناً .. وفي شوارع بلغراد . لقد ثاروا وكل هدفهم الانتقام لبلادهم .. لم يفكروا بنتيجة الحرب.. بل ان دلائل تلك النتيجة – في عام ١٩٤١ ، كانت – على عكس ما يشتهون – تبشر بانتصار هتلر وحده .. ومع ذلك ، فقد مضى الشعب اليوغوسلافي ، يقود الثورة داخل بلاده ضد أعنف وأقسى مستعمر في التاريخ .. ولم تستطع خلافات « ستالين » مع قواد الثورة ، ولا خلافات قواد الثورة مع زملائهم في بلغاريا .. ان تؤثر شيئاً على حقيقة وسير الثورة .. بل لقد قالها المارشال « تيتو » بكل فخر واعتزاز :

---

١ – مذكرات تيتو – صفحة ١٤٩ .

« لقد حاربنا – وحدنا .. وحدنا – لمدة عشرين شهراً دون الحصول على أية مساعدة عسكرية من أية جبهة كانت » ..

وبهذه الروح كان « ونستون تشرشل » رئيس وزراء بريطانيا – يعالج مشاكل الحرب بينما قنابل الالمان تدق سماء بريطانيا وأرضها ، انه يقول :

« ان الاحداث تتكاثر في كل عام .. ولكن القرارات المطلوبة لمعالجة هذه الاحداث لم تصعب في نظرنا .. [1]

ثم يمضي تشرشل في وصف حالة بريطانيا وهي تستعد للغزو النازي القريب فيقول :

« .. ان جميع معلوماتي تؤكد ان العدو يستعد لغزو هذه البلاد ، ولكننا « نستعد » أيضاً لكي نعد له « استقبالاً » يليق بالمناسبة .. [2] »

ولسنا بحاجة لكي نكرر أقوال تشرشل ، ومواقفه الصلبة العنيدة ، في كل الفترات الخطيرة التي مرت ببلاده ، والتي كان لها الفضل الأكبر في الصمود والمثابرة ، حتى تحقق لها النصر .. نريد فقط أن نؤكد أمام كل عربي ان ما نواجهه اليوم ليس غريباً على غيرنا من بني البشر . ان غيرنا مر بتلك المحن وصارعها حتى صرعها . ان عدونا – بالذات – الذي اغتصب بلادنا قد وقف بعد الحرب العالمية الثانية في حالة أسوأ من حالتنا في هذه الأيام . كانت روائح الملايين من ضحاياه في حمامات الغاز بألمانيا ، تملىء مشاعره واحاسيسه . كانت العائلات اليهودية تفتش عن هياكل ضحاياها في أقبية « داخاو » ومعسكرات النمسا وبولونيا والمانيا .! وكان زعماء الصهيونية وعلى رأسهم « حايم وايزمن » يتنقل بين لندن وواشنطن وهو يدق أبواب تشرشل ، وروزفلت ، باكياً مستنجداً ، مستجدياً ، فلا يكاد يفوز منهما الا بكلمات التشجيع العابرة البسيطة [3]

---

١ – مذكرات تشرشل الجزء الثالث .

٢ – مذكرات تشرشل الجزء الثالث .

٣ – يصف « حايم وايزمن » هذه الحالة في كتابه « التجربة والخطأ » ص ٥٤٠ .

كما كانت الانقسامات بينهم على أشدها .. عصابات شتيرن تقتل اللورد « موين » في القاهرة ، وحايم وايزمن يرتجف خوفاً ويكتب الى تشرشل رسالة كلها لعنات على كل عصابة ومنظمة ارهابية في فلسطين ! عصابة « الأرغون » تنادي بالعنف ، وعصابة الهاجانا تقاومها وتطالب برؤوس أصحابها . والمشكلة اليهودية التي كانت تريد أرض فلسطين حلاً لها ، قد انتهت – في معظمها – على يد هتلروالنازية .! والعقد النفسية تستبد بهؤلاء اللاجئين اليهود الذين نجوا من حمامات الدم ، فتتحطم نفسيتهم ، وتفكيرهم وآمالهم وآراءهم وحياتهم . والكثير من الازمات .. والكثير من الخلافات والكثير من الهموم والضربات ..

ولكن ، ذلك كله ، ايضاً ، لم يمنع قافلة العدو عن أن تعود وتتابع سيرها في اتجاه بناء الدولة اليهودية ، ولو أن اليهود استسلموا لليأس والحزن والعذاب الذي تعرضوا له في كل اوروبـــا ، مع ما رافق ذلك من تحطيم تراثهم ، وتشويه لسمعتهم ، واهانة لشخصياتهم .. لما كسبوا الجولة الاولى في صورة التقرير الذي اعدته اللجنة الأنجلو – أمريكية لفلسطين ، ثم كسبوا الجولة الثانية في ارغام بريطانيا على التخلي عن الانتداب الى الامم المتحدة ، ثم كسبوا الجولة الثالثة في ارغام الامم المتحدة على ارسال لجنة تحقيق « دولية » الى فلسطين ، ثم كسبوا الجولة الرابعة في « شراء » ثلثي الاصوات اللازمة للتصويت على قرارات اللجنة الدولية بتقسيم فلسطين .. ثم كسبوا الجولة الخامسة في جر الدول الكبرى الى التصويت في مجلس الأمن على فرض الهدنة الاولى .. ثم الهدنة الثانية ثم الدخول الى عضوية الامم المتحدة . !

من هنا .. يهمنا أن نستطيب كل صعب ، ونستسيغ كل علقم ، ونتقبل كل تضحية ، تسير بنا الى الهدف الكبير الواحد في العودة المنشودة ..

اذا كانت هناك حاجة الى المال ، فيجب أن نجد المال ، يجب أن نخلقه . يجب أن نفرضه – بالرضى أو بالقوة على كل ثري عربي في الوطن العربي .! لقد قال الدكتور « لودر ملك » عام ١٩٤٤ في كتابه « فلسطين أرض

الميعاد » أن مشروع تحويل نهر الاردن ، وجر مياه البحر المتوسط الى البحر الميت من أجل بناء قوة كهربائية واستخراج الاملاح والثروات المعدنية ، يحتاج الى مائتين وخمسين مليون دولار[1] .. وفي عام ١٩٦٣ ينتهي المشروع الذي رسم خطوطه الخبير الامريكي في عام ١٩٤٤ .. ترى ، هل يكون من الصعب بعد هذا على العرب ايجاد المال اللازم لتمويل مشروع أقل خطورة وتكاليف من مشروع تحويل نهر الأردن .. اعني « تحويل » مياه « الحاصباني » « ومياه » « بانياس » عن الصب في نهر الأردن لئلا تذهب المياه الى العدو..؟؟

هل من الصعب أن نرصد الآلاف بينما عدونا يرصد الملايين ؟ ، لقد صرح مدير الاسكان في الوكالة اليهودية المستر « روبرت ناتان » في ٢٢ يونيو ١٩٤٩ أن الوكالة بحاجة الى مليارَيْ دولار للانفاق على تهجير واستيعاب سبعمائة وخمسين ألف يهودي مهاجر الى اسرائيل . ومنذ عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٦٢ دخل اسرائيل حوالي مليون شخص أكثر من هذا العدد .. ؟

مرة أخرى : هل نحن بحاجة الى مال ..؟

أم نحن بحاجة الى جمع شتاتنا .. وربط أوصالنا .. من أجل توحيد جهودنا ؟

لا أدري ولكني وأنا أقرأ تاريخ الصحافة اليهودية في العالم قد اضطررت لأن اعود الى القرن السابع عشر لابحث عنها في بدء نشأتها ، في هولندا . ! ففي عام ١٦٨٦ ظهرت أول جريدة يهودية في « امستردام » ناطقة باسم اليهود الاشكنازى .. وكانت هذه الجريدة تصدر مرتين في الاسبوع وباللغة الالمانية[2] ، وكانت تحمل معظم أخبار جميع اليهود في العالم .. كانت تتحدث عن مآسيهم . عن أعيادهم .. عن وفياتهم .. عن مواليدهم .. ثم اختفت

---

1 — Dr. Walter Iowder milk, Palestine Land Of Promise 1944.

٢ - كان صاحبها « اوري بن أرون » Uri Ben Qaron .

وظهرت بعدها جريدة باللغة العبرية اسمها «كوهليت موسار»[1] وبعدها ظهرت جريدة «كورانت»[2] ثم جريدة «ديسكورش»[3] باللغة اليهودية القديمة .. ثم ظهرت «اليهودي الفرنسي»[4] لأول مرة عام ١٨١٧ في فرنسا ، ثم ظهرت مجلة نسائية يهودية في «فينيسيا» بايطاليا .. الى ان انتقلت الموجة الى بريطانيا فظهرت جريدة «اليهودي المثقف»[5] في عام ١٨٢٣ تحمل أخبار الحفلات والاندية والمؤسسات اليهودية في بريطانيا حتّى جاء عام ١٨٤٠ .. وهو – في نظر جميع اليهود نقطة التحول في العلاقات الانجليزية اليهودية ، فظهرت جريدة «الجويش كرونيكل» في ١٨ أكتوبر عام ١٨٤٤ ، كتعبير عن الشعور بالحاجة لدى جميع اليهود الانجليز في أن يكون لهم – مثل سواهم – مجلة مستعدة لأن تتبنى قضيتهم وترعى شؤونهم ومصالحهم وتربط بين أفراد شعبهم .. »

وهكذا ظهرت أول صحيفة يهودية في بريطانيا .. وما زالت – حتّى اليوم – أقوى الصحف اليهودية – في بريطانيا ..

وما زال يهود بريطانيا يذكرون أن هذه الجريدة قد صدرت بأموال وتبرعات مجموعة من اليهود الاغنياء بينهم اللورد «روتشلد» الذي تبرع لها – قبل صدورها – بخمسة جنيهات استرليني .!

نصل هنا الى بيت القصيد ونقول : هل تشرد عرب فلسطين في انحاء الأرض وتفرقوا الى بلاد عربية ، وغير عربية .. وتمضي الأيام والسنين ، ويموت منهم من يموت – ويتزوج من يتزوج ، ويولد من يولد ، ويصاب من يصاب ، وليس بينهم من يعلم شيئاً عن الآخر .. فالذي في الكويت لا يعلم عن الذي في القاهرة ، والذي في «الدار البيضاء» لا يعلم عن الذي

---

1 — Kohelet ·Musar
2 — Courant
3 — Diskursh
4 — Israelite Francais
5 — Hebrew Intelligencer

في بغداد ، وعمان .. وبيروت ؟

أليس من الواجب الطبيعي ان تبادر كل جالية فلسطينية في كل بلد من بلدان العالم، الى اصدار مجلة أو نشرة اسبوعية تحمل أخبارها ، وتعليقات اهلها ، وآمال افرادها ، الى بقية اهلهم واخوانهم في انحاء العالم ..؟

ان الكتابة في مثل هذا النوع من الصحافة ، واجب وطني ، لا يتطلب مالاً ولا أجراً . ! ان كل فلسطيني — حيثما كان — يعتبر نفسه « مراسلاً » متطوعاً لكل مجلة فلسطينية تصدر في أية بقعة من بقاع الأرض ..

فهكذا .. نجد بعضنا .. هكذا نجد .. حقيقتنا .. هكذا نضم صفوفنا . !

ثم .. هل نحتاج الى سلاح ..؟

سنجده — كما قال عنا المجرم السفاح « مناحم بيجن » — في يد اعدائنا[1] سنجده في مصانعنا .. سنجده في دول الكتلة الشرقية ، في الصين الشعبية .. في اسواق براغ ، في معسكرات الجزائر، في كل مكان . ولن نحتاج في تلك المراحل الاولى للمعركة الى طائرات « ميج ٢١ » أو « هنتر » أو « ميراج ٣ » ، ولا الى دبابات « سناتوريون » و « ستالين » .. ان طبيعة هذه المرحلة تكتفي بالرصاص ، والبنادق والرشاشات ، والقنابل اليدوية ، والمسدسات .. وان العثور على هذه الاسلحة الخفيفة ليس بالأمر الصعب .. ولا بالمستحيل !؟

ثم .. هل نحتاج الى المزيد من الشرح والمزيد من التفسير لكي نؤمن بضرورة الدخول فوراً في مرحلة الاستعداد والتنفيذ ..؟

- يجب أن نعلم اننا في حالة سباق عنيف بيننا وبين اعدائنا .. نحن نستعد ، ولكنهم — هم أيضاً — يستعدون .. نحن نتسلح ولكنهم — هم أيضاً — يتسلحون . نحن نبني اقتصادنا وحياتنا ، ولكنهم — هم أيضاً — يبنون اقتصادهم وحياتهم ..
- يجب أن نعلم — بالتالي — ان عنصر « الوقت والزمن » معنا بقدر

---

١ — مناحم بيجن « الثورة » « The Revolt »

ما هو مع أعدائنا . ان الصهيونية العالمية ، وأموالها ، ونفوذها، كلها ، تدق أبواب كل مدينة في العالم لكي تفتح أسواقها وتكسب تأييدها ورعايتها وصداقتها لاسرائيل ..

ومن هنا نسأل ، لكي نفهم الموقف على حقيقته :

ـ هل حالة اسرائيل اليوم ، أحسن أم اسوأ ، مما كانت عليه في عام ١٩٥٠ .. مثلاً ؟

وبالتفصيل : هل زادت ثروة العدو أم نقصت ؟ هل زادت قوته أم نقصت ؟ هل زاد عدد جيشه أم نقص ؟ هل زاد نفوذه الدولي أم نقص ؟ هل تضاعف عدد الشعب في « دولته » أم نقص ؟ هل زادت الأسباب التي تكفل له الحياة أم نقصت ؟

وعلى ضوء الجواب ، على جميع هذه الاسئلة ، يجب أن نقرر موقفنا ، في الاجابة على السؤال الكبير :

ـ متى نبدأ ؟ وهل نبدأ الآن ؟ أم نبدأ بعد الآن ؟ أم لا نبدأ مطلقاً ؟

ولكي نضمن صحة الاجابة ، نسأل أنفسنا :

ـ ما هما أكبر قاعدتين ترتكز عليهما حياة اسرائيل الداخلية ؟

والجواب :

ـ انهما الماء .. والأرض . !

ويقفز السؤال الثاني :

ـ وهل استطاعت اسرائيل أن تبني هاتين القاعدتين ؟

والجواب :

ـ حتى كتابة هذه السطور : لا ...

ثم استطرد بسرعة وأكمل الجواب وأقول :

ـ ولكنها أي ـ اسرائيل ـ ماضية في عملية بناء هاتين القاعدتين . وانها تعلم مدى خطورة هاتين القاعدتين بالنسبة لحياتها ووجودها ومصيرها . إن خبراءها ـ ومنذ أيام الحرب العالمية الاولى ـ يتناولون قضية المياه بالبحث

والتفصيل ويفتشون عن أنجح الطرق لضمان المياه المطلوبة لبناء « الوطن » أو « الدولة » اليهودية . ان « دافيد ميلر » في كتابه : « يومياتي في مؤتمر الصلح » يقول بالحرف الواحد :

« وعندما تقدم الخبراء الى رئيس وأعضاء مؤتمر الصلح في باريس بمشروعهم لإنشاء الوطن القومي اليهودي أو الدولة اليهودية في فلسطين أكدوا ضرورة سعي حكام هذه الدولة ، أو هذا الوطن ، الى ضمان ما يلزم دولتهم من مياه يفتقرون اليها ، اذ أن حياة مثل هذه الدولـــة ، تعتمد — أولاً وآخراً — على تطور الحياة الزراعية عندهم »[1] ..

وكذلك فان قضية البحث عن المياه لم تفت عن تفكير « حايم وايزمن » في كتابه « التجربة والخطأ » حيث قال : « ان مسألة البحث عن كميات كافية من المياه لا زالت تحتاج الى بحث طويل .. »[2]

بل اني سمعتها بأذني ، من فم الدبلوماسي الامريكي المعروف المستر « جيمس مكدونالد » أول سفير أمريكي في اسرائيل ، عندما قابلته في بيروت وهو في طريقه الى استراليا — وكان قد اعتزل منصبه وقرر الاقامة في مدينة سيدني — قلت لـــه :

— ما هي أكبر مشكلة تهدد حياة اسرائيل في هذه الايام ؟ وكنت أتوقع بشعور باطني أنه سيرد على سؤالي ويقول ان المشكلة الكبرى التي تهدد حياة اسرائيل هي التهديدات العربية بسحق اسرائيل .. ولكنه — مع أسفي — رد على سؤالي قائلاً :

— انها مشكلة .. المياه . !

وعدت أسأله ، وقد ظننت — بشعور المتأكد — بأن « التهديدات العربية بسحق اسرائيل » تأتي في المرتبةالثانيةمن الاهمية والخطورة بعد مشكلة « المياه »

1— « My Diary At the Peace conference of Paris » Vol IV p. 263,1924.

٢ — ص ٤٥٨ : التجربة والخطأ .

فقلت لـــه :

ـ وما هي المشكلة الاخرى ـ بالترتيب ـ التي تهدد اسرائيل بالاضافة الى مشكلة المياه ؟

ـ انها مشكلة البحث عن خليفة .. لبن غوريون ! !

قلت ، وقد قررت ان أرغمه على الاعتراف بوجود الخطر العربي على اسرائيل كمشكلة قائمة خطيرة يجب أن يحسب لها أي حساب :

ـ وما هي المشكلة الثالثة .؟ هل تقول لي انها التهديدات العربية بالقضاء على اسرائيل ؟

وأجابني ، وبروده ، على حالـــه :

ـ لا ... ان مشكلتهم الثالثة هي .. مشكلة الارض .! ان عليهم مسؤولية « تعمير » واسكان كل شبر من الأرض التي حصلوا عليها من العرب ، لكي يضمنوا ـ بذلك فقط ـ بقاءها ـ بقاء هذه الأرض ـ في أيديهم . ان عليهم تعمير النقب وزرعه بالمهاجرين الجدد لكي يبقى النقب في حوزتهم ان عليهم تعمير « الجليل الغربي » وزرعه بالمهاجرين الجدد لكي يضمنوا بقاء الجليل الغربي في أيديهم .! وبعد أن تمتلىء الأرض بهؤلاء المهاجرين تبدأ اسرائيل في البحث عن ارض جديدة .. لمهاجرين جدد .

ثم ضحك جيمس ماكدونالد : وهو يقول لي :

ـ ان اسرائيل في هذه الحالة تشبه تلك القصة الامريكية الشائعة عن الفلاح الامريكي الذي يريد شراء المزيد من الأرض ، لينتج المزيد من القمح ، ليطعم المزيد من الخنازير ، ليكسب المزيد من المال ، ليشتري المزيد من .. الارض .!

وأقف هنا ، قليلا وأقول :

ـ على ضوء هذا الكلام نفهم تماماً ما هي المشاكل التي تعتمد عليها حياة اسرائيل . هنا نفهم ـ تماماً ـ الشرايين التي تمد اسرائيل بالحياة .. فهل ننتظر حتى تستكمل هذه الشرايين نموها وتبدأ في نقل « الدم » الى

جسم العدو ، أم نبدأ نحن في مهاجمتها وتخريبها والقضاء عليها لكي يبقى جسم العدو مهدداً بالفناء والموت ..؟

انني اترك الجواب على هذين السؤالين الى كل عربي لا يهمه أمر فلسطين ، لانها فلسطين ، بل يهمه أمر فلسطين لما تنطوي عليه الحركة الصهيونية في فلسطين من أخطار جسيمة تهدد كل قطر عربي .. آخر ..

وأصل الى السؤال الرابع وأقول :

— هل معنى الدعوة الى « القوة » و « العنف » و « المعركة » أن نتخلى — نهائياً — عن الاسلوب الدبلوماسي والسياسي في العمل ؟

وأجيب بصراحة وأقول :

— ان الفصل المتعلق « بجيش التحرير الفلسطيني » في صفحات سابقة ، هو مجرد فصل واحد من فصول الكتاب ، وليس « كل » الكتاب . ولهذا يجب أن ننظر الى صفحات الكتاب ، كلها ، كمجموع ، ككتلة ، ككل ، لا كفصول منفصلة ، متجزأة .. ومع ذلك ، فانني لا أتردد عن أن أقول بكل صراحة ووضوح ان العمل « الدبلوماسي » بالنسبة « لأهل » فلسطين ، لم يعد له بعد اليوم مكان ولا وجود .! ان العمل الدبلوماسي من أجل العودة نتركه — نحن الفلسطينيين — للدول والحكومات العربية ، ولكن ، لا نتولاه نحن او لا نؤمن به ولا نسلكه .! نحن جربنا الاسلوب الدبلوماسي طويلاً .. طويلا .. طويلا .! نحن عشنا « الدبلوماسية » بكل اساليبها ، بكل خداعها ، بكل غشها ، بكل حقارتها منذ أول الحرب العالمية الاولى حتى آخر نوفمبر من عام ١٩٤٧ . وكانت النتيجة ان خسرنا فلسطين .! نحن تعاونا مع كل لجنة تحقيق جاءت الى بلادنا واعتقدنا ان فيها الفائدة لنا .! نحن أحسنا الظن باللجنة الانجلو — أمريكية فاذ بجميع اعضائها — باستثناء سكرتيرها — « هارولد بيلي » (١) تقرر فتح أبواب الهجرة الى فلسطين

١ — انه سفير بريطانيا الحالي في القاهرة. كان اليهود — خلال وجوده في القدس كسكرتير=

وإدخال مائة ألف يهودي فوراً.! نحن ظننا أن الأمم المتحدة – وهي أكبر هيئة دولية في العالم – قادرة على أن تفهم حقيقة العدل في قضية فلسطين، وبالتالي، تلك السبل التي من شأنها أن تضع حداً للهوس الصهيوني في احتلال فلسطين وتأسيس «الدولة» على أرضها.. ولكن الأمم المتحدة التي ينص ميثاقها بالحرف الواحد على «عدم» شرعية السيادة على أية بقعة في العالم يتم احتلالها بالقوة:

« Acquisition Of Territory By Force Should Not Be Recognized As Constituting A Right To Sovereignty ».

هذه الأمم المتحدة لم تكتف بأن قررت تقسيم فلسطين.. ولم تكتف بالتصويت على قرار التقسيم.. ولم تكتف بإدخال اسرائيل عضواً في الأمم المتحدة قبل أن تقوم الاولى بتنفيذ قرار «واحد» من قرارات المؤسسة الدولية.. لم تكتف الأمم المتحدة بكل ذلك، بل انها تنكرت لميثاقها، روحاً ونصاً، عندما اعترفت «بشرعية» الاغتصاب الصهيوني للاجزاء العربية من فلسطين.. ورفضت ان تمد لجنة «التوفيق» بأسباب الحياة.. وطأطأت رأسها وهي ترى وسيطها الدولي يسقط مضرجاً برصاص العصابات الصهيونية... ورفضت أن تعين حارساً يتولى الاشراف على الأموال والأراضي العربية.. ورفضت أن ترغم اسرائيل على تنفيذ قرار واحد من قراراتها حول فلسطين.. وجعلت من منبرها الدولي سلاحاً يشهره «أبا ايبان» و «جولدا مايير» و «بن غوريون» و «ميشال كومى» و «اريان ايشيل» في وجه العرب يتهجمون.. ويهددون.. ويتوعدون.. وينذرون.!

لقد استنفدنا – نحن عرب فلسطين – جميع الوسائل الدبلوماسية التي يقدر عليها بشر، من أجل الوصول الى حقنا.. ومع الأسف.. فقد فشلت

– للجنة المذكورة، يمطرونه برسائل التهديد ويطالبون برأسه. حتى اعضاء اللجنة كانوا يخفون عليه خططهم ونداءاتهم بحجة انه.. مع العرب..!

– جميع – هذه الوسائل في اعادة لاجىء واحد ، أو شبر واحد من شعب فلسطين ، وأرضه ..

فماذا بقي ؟

لقد لجأ العدو الى القوة ، والسلاح ، ولغة العصابات بعد أن صدر « الكتاب الابيض » في ربيع عام ١٩٣٩ ، فوجد فيه اليهود « نهاية » أو « اعتداء » على « وعد بلفور » .. وهكذا – ومن أجل قتل « الكتاب الأبيض » والعودة بالسياسة البريطانية الى ما كانت عليه قبل ١٩٣٩ ، انطلق اليهود يستعدون ، ويتدربون ، ويتطوعون في جيش الحلفاء للحصول على الخبرة والسلاح والمعلومات ، ويتصلون بتشرشل وروزفلت للتأكيد لهما ولشعبيهما بأن الحرب هي حربهم ، وان العدو النازي هو عدوهم ، وان النصر عليه ، هو انتصار لهم ، وان الحليف هو حليفهم ، وان المعركة هي معركتهم .. فاذا أوشكت الحرب على النهاية كانوا في « بلتيمور » يطالبون بالدولة اليهودية ، وكانت عصاباتهم تأخذ مكانها في تل أبيب .. وحيفا .. والقدس ، وكانت اذاعاتهم السرية تنطلق حاملة الصوت الصهيوني المحموم : « هنا صوت ارض اسرائيل »، « هنا صوت الشعب اليهودي » .. وكانت قنابلهم تنسف فندق الملك داود .. وتخرب سجن « عكا » وتعتدي على معسكرات « صرفند » وتحطم خطوط السكك الحديدية وتهدد كل مندوب سام من « غورت » الى « مكمايل » وتتربص بكل قائد عـــام .. من « مونتغموري » .. الى « ايفلين باركر » .. حتى تمكنوا من نسف « الكتاب الأبيض » وفتح صفحة جديدة لسياسة جديدة تمشي عليها الحكومة المنتدبة ، وحلفاؤها في فلسطين ..!

أريد أن أقول ان اليهود لم يتخلوا عن الدبلوماسية .. إلا عندما فشلت هذه الدبلوماسية .. ولم يلجأوا الى السلاح إلا عندما تبينوا فائدة هذا السلاح في معركتهم السياسية . ولولا ذلك لما اضطر اليهود الى « تعليق » الجنود

الانجليز على أشجار البرتقال في تل ابيب و « ناتانيا » فخرقوا بذلك كل جسر يربطهم بالانجليز وأفسدوا كل ثقة بينهم وبين لندن ، ووضعوا انصارهم اليهود في مجلس العموم ومجلس اللوردات البريطاني في أحرج المواقف ، وتركوا العالم يتهمهم بالوحشية والهمجية وهم اشد الناس حرصاً على الظهور بمظهر المسالمين والضحايا الابرياء للاضطهاد النازي في أوروبا ، والتعصب العربي في فلسطين ..

هذا ما فعله العدو ، لكي ينسف « مجرد » سياسة واحدة يتضمنها « كتاب » واحد .. فهل نتمسك بالدبلوماسية وامامنا اكبر من مجرد كتاب ننسفه ، امامنا دولة بأسرهـــا ..؟

لقد لجأ العدو الى العنف وكفر بالدبلوماسية وهو الذي يتمتع بجميع الأسباب التي تكفل له النجاح في مجال الدبلوماسية العالمية الصامتة الهادئة . كان يتمتع بالصهيونية العالمية .. يتمتع بالصداقات الشخصية التي تربط بين زعمائه وزعماء الدول الكبرى .. يتمتع بالنفوذ اليهودي في كل دائرة من دوائر وزارة الخارجية الامريكية .. ومع ذلك ، فقد قذف بالدبلوماسية الى البحر ، ولجأ الى « شرعية الدفاع عن النفس » .. فماذا نقول نحن ؟ نحن الذين ليس لدينا « عروبة عالمية » وليس بيننا من يرتبط بصداقة شخصية مع أي حاكم أو قطب من أقطاب الدول الكبرى ..؟

والدبلوماسية ، بعد هذا ، وسيلة من أجل غاية ..

فما هي غايتنا نحن في هذه المعركة ؟ هل غايتنا أن نعود « نحن » ، او بعضنا الى فلسطين ، ام ان تعود « فلسطين » الينا ، كلنا ؟؟ هل غايتنا ان نكسب قطعة أرض جديدة من مساحة الأرض المغتصبة ، ونحصل عـــلى « كوريدور » أو ممر يربط القدس بيافا ، أو يربط النقب بالأردن .. ام غايتنا « البعيدة المدى » ان نستعيد كل شبر فقدناه من أرض فلسطين ؟؟

ان في الجواب على هذه الاسئلة ، يحدد معالم الطريق بالنسبة للعمل المنتظر . اذ ليس المهم — فقط — ان نقنع زعماء أمريكا وبريطانيا وفرنسا بوجهة

نظرنا وبحقنا في المعركة .. بل المهم ، كل المهم ، أن يقنع بذلك الحق ، زعماء اسرائيل في قلب اسرائيل .. بالذات .

ليس المهم — فقط — ان نضغط على كنيدي مثلاً ، أو ماكميلان مثلا لكي يضغط بدوره على بن‌غوريون بوجوب اعادة كذا لاجيء او تعديل كذا حدود ... بل المهم — كل المهم — ان يقتنع بن‌غوريون ومن هم وراء بن‌غوريون ، بأن دولتهم قد ولدت ، ولكنها لن تعيش .. وانهم مجرد قطرة ماء في بحر عدائي يحيط بهم من كل جانب .. وان اختيارهم لفلسطين كأرض للدولة كان اختياراً غير موفق .. وان الصراع لم يعد محصوراً بينهم وبين حفنة لاجئين ، بل هو صراع موت أو حياة بينهم وبين القومية العربية كلها .. بكل معانيها ورسالتها وأهدافها وخطرها ...

ومن هنا ، فان الدبلوماسية كلها ، ومعها كل اسباب الدبلوماسية في العالم لن تستطيع أن تقنع بن‌غوريون ومن هم وراءه ، بخيط واحد من خيوط هذه الحقائق الاساسية القائمة ..

اذن ماذا ..؟

ما هو الشيء القادر على اقناع بن‌غوريون ، وزعماء اسرائيل ، والصهيونية العالميـــة .. ؟

ما هو ..؟ او : من هو ؟ أو : كيف هو ؟

ان الجواب ليس غامضاً ، ولا مبهماً ، ولا صعباً .. خاصة بالنسبة لأهل فلسطين .. قبل أي شعب آخر ..

وإذا ظهر هناك ، بيننا أو بعيداً عنا ، من ينادي بفوائد العمل الدبلوماسي المتصل الهادىء من أجل استعادة حق عرب فلسطين .. قلنا له :

— تفضل أنت ومارس هذه الدبلوماسية كما تشاء .. ودعهم يقررون عودة اللاجئين .. دعهم يقررون تعديل الحدود .. دعهم يقررون تدويل القدس على مساحة ٣٦ ميل مربع .. دعهم يقررون دفع التعويضات .. اما نحن — نحن الفلسطينيين — فقد نفضنا يدنا من كل أمل في أي عمل دبلوماسي

« ولن نتنازل قيد شبر واحد عن موقفنا » .لقد بلونا المر ، وشربنا العلقم ، ولم يعد أمامنا إلا أن نواجه الحقيقة الواحدة الوحيدة في العمل الجدي المثمر الذي سيمضي بنا الى النصر . ولا نريد منك أن تنقطع – أيها الدبلوماسي – عن دبلوماسيتك . ولا نسألك أن تسلك السبيل الذي نسلكه . انك بنفوذك الدولي ، أو ببترولك الهائل ، أو بسمعتك العالمية ، أو بجيادك ، أو بمسيحيتك ، أو بمغتربيك ، أو بتفتح بلدك على العالم ، أو بصداقتك مع زعماء الغرب ، قادر على أن تمارس هذه الدبلوماسية ، وتحقق بها – وبواسطتها – لنا ولبلدنا بعض النصر .. اما نحن ، فلا .. لا نريد أن نؤمن بشيء قد كفرنا به .. وكل ما نريده منك ، هو أن يكون مفهوماً بالنسبة لنا ، وللعالم العربي كله ، وللعالم بأسره الحقائق التاليـــة :

– ان خطوط الهدنة التي تفصل الوطن السليب عن بقية الوطن ، هي خطوط وهمية لا نعترف بها .. ولا نقرها ..

– ان اجتياز هذه الخطوط من قبل أهل الوطن السليب – ذهاباً أم إياباً – أمر شرعي لا تستطيع أية حكومة عربية أن تمنعه أو تقاومه ..

– ان أهل الوطن السليب أحرار في اختيار الوسائل والطرق التي تؤدي بهم الى استعادة وطنهم ..

– ان الدول العربية التي تعرف حدودها بالنسبة لأي « عمل عسكري » يقوم به اهل الوطن السليب ، قد لا تسمح لنفسها بأن تشجع أهل فلسطين على القيام بأية أعمال يرى فيها العدو تعكيراً للأمن في داخل دولته ، ولكنها – مع ذلك – لا تستطيع امام نفسها ، وضميرها ، ومسؤولياتها امام شعوبها ، ومصيرها المشترك ، ان « تمنع » اهل فلسطين من القيام بهذه الأعمال ..

وبعد هذا ، فما دامت الأمم المتحدة قد عجزت عن أن تجد حلاً عادلا للاجىء العربي الفلسطيني ، فقد أصبح من حق اللاجىء العربي الفلسطيني أن يخلق – للامم المتحدة – حالة جديدة من شأنها أن تحل مشكلة « اللجوء » عند الفلسطيني وتخلق بديلاً عنها ولها – للأمم المتحدة – مشكلة اللجوء ..

عند الاسرائيلي ..

ولهذا سنفتتح من هذا اليوم ، صفحة جديـــدة ..

ولهذا سنفتح منذ اليوم – وبعد اليوم – صفحة جديدة ...

سنقنع اليهود – أحزاباً وشعباً وحكومة – أن « أوغندا » التي اختارها لهم زعيمهم « تيودور هرتزل » منذ خمسين سنة ، ما زالت اصلح لأن تكون وطناً أو دولة لهم ، من أرض فلسطين .!

سنقنع العالم ، كل العالم ، – ان فلسطين – التي لم تنفصل يوماً واحداً عن دنيا الشرق العربي منذ الامبراطورية الرومانية حتى اليوم ، لن تبقى منفصلة بعد اليوم عن الأرض الأم .. بل يجب أن تعود .!

سنقنع الذين يفهمون بلغة المال والارقام ، ان مجموع ما امتلكته سائر المستعمرات اليهودية في فلسطين والتي تشكل « ثلث » الشعب اليهودي ، لم يزد عن « واحد على عشرة » من مساحة أرض فلسطين في نهاية الانتداب عام ١٩٤٨ .. وان منطق الارقام أقوى – دائماً – من منطق الدعاية والكذب والتلفيق .!

سنقنع الدول الكبرى اننا لسنا امة من الاقطاعيين نساق كالخراف الى الازمات والمعارك .. لقد كان لنا ذات يوم امبراطورية عظيمة حطمها المغول في القرون الوسطى ، وقضى عليها الحكم التركي لمدة اربعمائة سنة ، فكان من الطبيعي أن تتجمد اوضاعنا بينما العالم من حولنا يتطور ... ولكننا رغم ذلك قد استيقظنا .. وأيقظنا الذين حولنا ، ونفخنا من روحنا في غابات أفريقيا وجبال آسيا .. وخلقنا ثورات ، ومبادىء ، وفلسفات ، وسياسات ، وأثبتنا وجودنا في الصراع الدولي ، وكان لنا الصوت الكبير في باندونغ ، وبلغراد ، والأمم المتحدة ، والدار البيضاء .!

وسنعيد خريطة « فلسطين » مرة أخرى الى مكانها على خريطة العالم ! سنثبت للذين قاوموا الصهيونية في بلادهم عام ١٩٢٠ .. وقاوموا انشاء الدولة اليهودية في فلسطين حيث رأوا في الدعوة الى خلق هذه الدولة « روحاً

رجعية استعمارية تتنافى مع المبادىء الاشتراكية التي نادى بها لينين .. وتروتسكي .. وستالين في الثورة الكبرى .. وان الهجرة الى فلسطين هي في حد ذاتها تهرب من الصراع الطبقي ضد الرأسمالية والبرجوازية » .. أقول سنثبت للكاتب السوفييتي العظيم « بافلوفيتش » « الذي كتب » عن الكذبة الصهيونية والحقيقة الفلسطينية[1]، بما فيه التعبير المخلص عن الحقيقة الصادقة للقضية الفلسطينية بأسرها .. منذ عام ١٩٢٠ .. وما تبع ذلك من ادانة واضحة للحركات الصهيونية في العالم بلسان المؤتمر الثاني « للكومنترن » عام ١٩٢٠ على اساس اعتبارها بمثابة « عمليات استغلالية سيئة » ... اقول ، سنثبت لهؤلاء ، رغم كل شيء ، رغم التبدل المؤسف في الموقف السوفييتي حول التصويت على قرار اسرائيل في عام ١٩٤٨ .. اننا — نحن ايضاً — قد تطورنا .. وتبدلنا .. وقررنا أن نعيد الخريطة الى مكانها الطبيعي ، ما دام أن موسكو لم تشعر بوجود وجهة نظر للعرب تجاه قضية فلسطين الا .. في عام ١٩٢٩ .. عندما قام العرب بأول ثورة عارمة واسعة النطاق ضد الانتداب ، وضد اليهود[2] ..

واذا ظن « دافيد بن‌غوريون » ان الطريق الى اقامة حكومات « ديمقراطية » في العالم العربي ، هو الطريق الى « الصلح مع العرب » ، كما أعلن في « نوفمبر » من عام ١٩٦١ .. فاننا نعلن اننا سنقيم الكثير من الحكومات الديمقراطية ، ولكننا لن نقيم حكومة « خائنة » واحدة .! ان الحكومة العربية التي ستعقد صلحاً مع العدو ، لن تصل الى الحكم .! واذا وصلت اليه لن تبقى فيه .! ان المسؤول الذي سيسمح بأن يرفرف العلم الاسرائيلي فوق بناية واحدة ، أو سيارة واحدة ، في عاصمة عربية واحدة ، لم يولد

---

1 — « Zionist Lie And Palestine Reality » By Pavlovich

٢ — قال « ولتر لاكيه » في كتابه : « الاتحاد السوفييتي والشرق الادنى » : لقد اختفت خريطة فلسطين من امام الاتحاد السوفييتي لمدة عشر سنوات ولم تعد إلا في عام ١٩٢٩، على صوت الثورة ص٣٥ . Walter Z. Laqueur. S. U. And The M. E.

بعد ، واذا ولد ، لن يعيش .!

اننا نعتقد ان « نكبة ما » قد اصابتنا في فلسطين ، ولكننا — أيضاً — نعتقد أن ارواحنا ونفوسنا ارخص من ان تضيع منا فلسطين ! نحن نؤمن بالقدر ، ولكننا لا نؤمن بأن نعطي وجهنا الأيسر لمن يضربنا على وجهنا الأيمن .! ان ديننا ، وتقاليدنا ، وتاريخنا ، تفرض علينا أن نرد الصاع صاعين ، والضربة ضربتين. ان الموت لا يهمنا ، اننا نسمع التهديدات المستمرة بالقضاء علينا .. اننا لا ننسى ان الصهيوني الأول « حايم وايزمن » قد أعلن في أول ديسمبر عام ١٩٤٨ ، « انه ينصح الذين يطالبون بضم الاجزاء العربية الباقية في مدينة القدس الى اسرائيل .. بأن يصبروا قليلا .. قليلاً » .. ومعنى ذلك ان الوقت وحده هو الذي يحول دون احتلال اليهود للمسجد الاقصى .. والصخرة المشرفة .. وقبر المسيح .!

ونحن نعلم ان عدونا — رغم قوته — ليس أقوى منا .. ولم يكن .. ولن يكون. اننا اعلم الناس بطبيعة « الجبن » و « الخور » و « الخوف » و « الاستسلام » المتأصلة في نفوس اليهود .. ان الذين خاضوا المعارك ضد الارهاب الصهيوني وضد العصابات الصهيونية ، يعرفون معنى هذا الكلام جيداً . ولن تستطيع كل الافلام الصهيونية والروايات التمثيلية والاناشيد الحماسية التي تطلقها هوليود وباريس ولندن وتل أبيب حول جرأة اليهودي ، وشجاعته ، وتضحياته[1] ، ان تبدل من الموقف شيئاً .. والذين رأوا اليهود — جنوداً او مدنيين — خلال الأيام السود التي احتل فيها اليهود مدينة « غزة » عقب العدوان الثلاثي ، يذكرون علامات الهلع والخوف التي كانت ترتسم على وجوههم عندما يذكر امامهم اسم : الفدائيين . كان الجنود يمشون في مجموعات لا تقل عددها عن خمسة أفراد .. ليلاً ونهاراً ..

---

١ — كل هدف الفيلم المشهور : أكسودس Exodus أن يثبت بطولة اليهود العسكرية ومقدرتهم الحربية .

وبعد غروب الشمس ، كان الجنود اليهود لا يخرجون على اقدامهم مطلقاً .. بل كانوا يركبون الدبابات ويحتمون وراءها للتجول في شوارع غزة .. وليست تفاصيل الاصوات اليهودية المستغيثة المولولة المستنجدة كأبشع ما يكون الضعف والخوف خلال ثورات العرب وهجماتهم على المستعمرات اليهودية في عام ١٩٢٩ ١٩٣١ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٨ ، ١٩٤٧ .. بالشيء الغريب ولا بالشيء الجديد ..

ونحن نرى في الابقاء على « يهودية » الجامعة العبرية ومستشفى « هداسا » على جبل الزيتون ، والسماح للقوافل اليهودية أن تخترق حدود المدنة في كل اسبوع حاملة للحرس اليهودي المقيم في بنايات الجامعة والمستشفى ، الاكل ، والشراب والحلويات ، والزهور ، والغاز ، والاعلام اليهودية ، وكل ما يتطلبه أفراد الحرس ... أقول اننا نرى مثل هذا العمل اهانة للمشاعر العربية ، وطعنة لكرامة السيادة والروح الوطنية . لقد استولى اليهود على أموال مليون عربي في الأرض المحتلة ، وتصرفوا بها ، وباعوها الى الشركات الصهيونية والى الافراد والى الجمعيات التعاونية اليهودية ، فلا ضرورة — اذن — أن نحتفظ نحن لليهود بمباني جامعتهم ومباني مستشفاهم كما هي — على جبل الزيتون ، تشرف على القدس العربية ، وتتحكم بالقوى العربية ، المجاورة لها ، وتمثل أبشع وأرخص وأحقر معاني التسلط على سيادة الدول وسلطانها وهيبتها وكرامتها .. ولذا فقد يأتي اليوم القريب الذي يجب أن تسد فيه الحدود في وجه القوافل اليهودية العابرة الى تلك « الجامعة » وملحقاتها . وإلا ، فعلى المواطن العربي الذي فقد أرضه ، وبيته ، ومكتبته ، ومستشفاه في الوطن المغتصب ان ينتقم — ولو جزئياً — لنفسه وينسف تلك المباني عن بكرة أبيها .. فالموضوع هنا ليس موضوع بناية او ثلاثة .. انه موضوع يتعلق « بمبدأ » استعدادنا للوقوف أمام الطغيان الصهيوني ووضع حد له وكسر شوكته الى الابد ..

لقد أقام « جلوب باشا » سوراً عالياً يفصل القدس عن بعضها ، ويجعل

من الدور المتهدمة والبساتين المحترقة بجوار هذا السور حداً بين القدس اليهودية .. والقدس العربية .! فمن رأى هذا السور ؟ من تحدث عنه ؟ من استنكره ؟ من اقام حوله جزءاً من الضجة المصطنعة العالمية التي أقامتها الدول الانجلو – أمريكية ضد الهر « أولبرخت » الذي أمر ببناء سور يفصل برلين الشرقية عن برلين الغربية .؟ من احتج عليه ؟ من حاول أن ينسفه ؟ من وجد فيه حاجزاً يمنع العربي في القدس من التطلع الى بقايا ارضه ومنازله في « باب الجديد » .. في « المصرارة » .. في « مندلبوم » .. في الاجزاء المغتصبة من أغلى المدن ، وأقدس العواصم ؟

لقد أراد جلوب ان يضمن السلام والاستقرار على حدود القدس .. ؟ أي سلام هذا ، واي استقرار ؟

ومن يريد منا ، السلام ، أو يريد الاستقلال .. ؟

وكيف لنا ، بالسلام أو بالاستقرار ، والعدو على بعد خطوات منا !. يبني منازل جديدة ... فوق أرضنا .. ويحتل أفراده كل منازلنا .. ونراه بأم اعيننا .. ونشاهد سياراته وشبابه ونساءه يتجولون في شوارعنا .. وفي الاعياد ، أعياده ، يطلق الصواريخ فوق رؤوسنا ، ويضيء نجمة « سليمان » على تلال « قدسنا » .. وفي مساء « الجمعة » ينفخ في « البوق » من مكبرات الصوت ليعلن دخول « السبت » فنسمعه ونلعنه ونتذكر ، من جديد مأساتنا ونكبتنا .. وواقع حالنـــا .!

كيف لنا بالسلام ، أو بالاستقرار ، وذكرى « ٢ » نوفمبر .. في كل عام تطرق باب حياتنا .. وذكرى « ١٥ مايو » تدق باب عمرنـــا .؟

هل يعرف شباب « العودة » .. قصة وعد بلفور .. قصة ٢ نوفمبر ؟

لقد رواها – بالتفصيل المؤلم – في كتابه « وعد بلفور » أحد كبار جال الصهيونية الانجليز واسمه « ليونارد شتين » [1] لكي يدلل – بها –

---

1 — «The Balfour Declaration» By : Leonard Stein 1961, p. 680

على مدى الجهد والتعب والمثابرة والاتصالات التي تحملها وقام بها اقطاب الصهيونية العالمية من أجل الحصول على هذا الوعد. ونحن لا نريد وعداً يعيدنا أو يعود بنا الى .. فلسطين .. لا نريد جوازسفر يسمح لنا بالدخول .. لا نريد « شرعية » بريطانية تسهل لنا استعادة ما فقدناه . نحن كنا هناك ، وسنعود الى هناك .. بوعد أو بدون وعد ، برسالة يكتبها لنا أو لأحد زعمائنا أي قطب كبير من أقطاب العالم أو بدون رسالة .. ان صاحب الحق لا يريد الاستئذان لكي يستعيد حقه. اننا لم نعترف يوماً « بالوعد » الذي فتح أبواب بلادنا للاجنبي وأدخل علينا شعباً غريبا .. اننا لا نرى فيه سوى مجرد « صورة » واضحة للنفاق الاستعماري البريطاني الذي أعطى شيئاً لا يملكه ، وتصرف بوطن ليس له ، فكانت النتيجة بدء الفوضى ، والخراب ، والقلاقل ، والمأساة ..

هل يعرف شباب العودة قصة هذا الوعد .. ؟

سأروي لعقولهم ، أروع قصة خداع في النصف الاول من القرن العشرين ..

سأكشف أمامهم كيف استطاع وايزمن أن يصل الى بلفور ، وكيف نجح وايزمن في الاتصال بالوزارة البريطانية ثم كيف اخذ منها الوعد المشؤوم ..

اسمع .. يا شباب بلدي .. اسمع :

في نوفمبر عام١٩١٤ التقى « وايزمن » بالمستر « سكوت » **Scott** رئيس تحرير جريدة « المانشيستر جارديان » وأقنعه بصحة المذهب الصهيوني .. وقام « سكوت » بمهمة تعريف وايزمن بالمستر « لويد جورج » والمستر « هربرت صموائيل » وكلاهما كان وزيراً في الوزارة البريطانية يومئذ .. ولما كان هربرت صموائيل يهودياً ، فقد استطاع وايزمن من أن يكسبه مع زميله لويد جورج الى جانبه ويتفق معهما على تمهيد الطريق أمام الحصول على تأييد بريطاني رسمي للحركة الصهيونية في فلسطين ..

واتصل لويد جورج بالسير « ادوار جراى » وزير الخارجية البريطانية يومذاك وقال وزير الخارجية لزميله لويد جورج انه سيسعى لإنشاء دولة

لليهود في فلسطين ..

وفي عام ١٩١٥، اصدر هربرت صموئيل أول مذكرة رسمية بعنوان « مستقبل فلسطين » طالب فيها بهجرة ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي الى فلسطين بمساعدة الحكومة البريطانية .. ونجح المستر « سكوت » رئيس « المانشيستر جارديان » ، في أن يقنع زميله في الجريدة المستر « هربرت سايد بوثام » في أن يؤلف جمعية بريطانية يهودية من أجل فلسطين،تقوم بغزو الرأي العام البريطاني .. وكتب هذا عدة مقالات ينادي فيها بتحويل فلسطين الى دولة يهودية مبرراً ذلك بأن الدفاع عن قناة السويس لا يكتب له النجاح الا عن طريق دولة يهودية في فلسطين .. لقد كان هذا هو رأي المستر «كتشنر » فاستغله وايزمن والصهيونيون ابشع استغلال واستطاعوا بذلك أن يؤثروا على عدد من كبار الشخصيات البريطانية المسؤولة ..

واقترح « لويد جورج » على وايزمن أن يتصل من جديد باللورد بلفور .. قال بلفور لوايزمن : « ماذا استطيع أن افعل وانا لست وزيراً ولست مسؤولاً » ؟ولكن ، ما ان جاء شهر مايو عام ١٩١٥ حتى اصبح بلفور وزيراً في الدولة وراح يدفع عجلة الصهيونية بقفاز رسمي الى الامام ..

وصدر الأمر البريطاني الرسمي الى وايزمن ، بأن يجعل من لندن مقراً لإقامته لما في ذلك من أثر على نجاح العمل الصهيوني .. وقال لويد جورج لوايزمن أن بريطانيا بحاجة لاكتشاف طريقة تصنع بها « الأسيتون » لاستعماله في المتفجرات ... واستطاع وايزمن أن يكتشف ما طلبه منه لويد جورج وأن يحمل اكتشافه الى صديقه المستر « سكوت » في جريدة المانشيستر جارديان،الذي صحبه على الفور لمقابلة لويد جورج في فبراير ١٩١٦ ، الذي أصدر على الفور قراراً بتعيين وايزمن في البحرية تحت اشراف الوزير اللورد بلفور ..

وقال بلفور للموظف الجديد « وايزمن » بالحرف الواحد :

« عندما تنتهي هذه الحرب ستحصل على « مدينتكم » .. على القدس .. »

ومضت الأيام ..

وفي يونيو عام ١٩١٧ ، أعلن اللورد بلفور أنه مستعد للنظر في أيـة مقترحات صهيونية بشأن فلسطين .. وفي اليوم التالي ، كان وايزمن يقدم له نسخة من هذه المقترحات أمام مجلس الوزراء البريطاني ..

وفي ٢ نوفمبر .. منذ ٤٥ سنة ، صدر الوعد البريطاني الرسمي إلى يهود العالم ، بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ..

هل عرفت الآن – أيها العربي – من هي الدولة التي غرثت جرثومـة الشر في أرض العرب .؟

بريطانيـا .. بريطانيـا .. بريطانيـا ! !

وليس معنى هذا أن النكبة كلها قد انحصرت في هذا « الوعـد » أو أن الجريمة ، كلها ، قد انحصرت في الانجليز ..

لا ..

ان « السذاجة » التي عالج بها الأمير « فيصل بن الحسين » – ملك العراق فيما بعد – قضية فلسطين ، ومقابلته – بل ترحيبه الشديد في استقبال حايم وايزمن في يونيو عام ١٩١٨ ، في شرق الأردن ، كانت أيضاً من أسباب المأساة ..

ثم ان الكتاب « الساذج » الذي أرسله سموه الملكي – الأمير فيصل – إلى « فيلكس فرانكفورتر » ، عضو الوفد الصهيوني الأمريكي ، إلى مؤتمر الصلح بباريس والذي أعرب فيه « سموه الملكي » عن أن « اليهود والعرب أبناء عم .. يشكون من نفس الاضطهاد – كذا – على يد دول أقوى منهم .. واستطاعوا بمصادفة سعيدة – كذا – أن يوحدوا جهودهم من أجل تحقيق أهدافهم .. معاً .. وكيف اننا نحن العرب ، ننظر بعظيم العطف على الحركة الصهيونية .. وأن وفدنا – هنا في مؤتمر باريس – على علم تام بالمقترحات التي قدمها الوفد الصهيوني إلى مؤتمر الصلح وانه – أي هذا الوفد – يرى أن تلك المقترحات معتدلة وعادلة .. واننا سنقدم كل ما في وسعنا من أجل

تنفيذها . واننا نعرب لليهود بأحر استقبالنا لهم في بلادنا .. واننا مع زعماء اليهود — وخاصة وايزمن — ما زلنا نقوم بكافة الاتصالات .. فهو — في نظرنا — بطل في الدفاع عن قضايانا — كذا — وأرجو أن يتمكن العرب في المستقبل من رد هذا الجميل لليهود .. إذ أننا نعمل معاً — عرب ويهود — من أجل بعث الشرق الأوسط — كذا — وأن حركاتنا القومية تكمل بعضها — كذا — فالحركة الصهيونية ، حركة قومية وليست إستعمارية — كذا — وان هناك مكان — في سوريا — لنا جميعاً .. كذا .. كذا .. وانه لا يمكن لأحدنا أن ينجح دون مساعدة الآخرين .. »[1]

ان هذه الدبلوماسية العربية الجاهلة — ولا ضرورة لاستعمال ألفاظ أخرى — كانت أيضاً من أسباب المأساة .. تماماً — كما كانت العسكرية العربية الجاهلة — ولا ضرورة لاستعمال ألفاظ أخرى — على يد الملك عبدالله ، وبعد مرور ثلاثين سنة على هذا الكلام ، من أسباب المأساة ..

وليس هنا مجال العتاب .. ولا مكان التقريع ..

هنا ، القول فقط ، بأن الدبلوماسية العربيـــة ، لم تحقق نجاحاً سياسياً واحداً منذ سنة ١٩١٦ الى ١٩٤٨ ، بالنسبة لقضية فلسطين .! ان هذه الدبلوماسية — الجاهل منها والخائن — قد « ساعدت » على قيام الدولة اليهودية أكثر مما ساعدت على تأخيرها .. وليس هناك فرق كبير بين مثل دبلوماسية الأمير فيصل عام ١٩١٨ في باريس ، ودبلوماسية ملوك العرب ورؤسائهم عام ١٩٣٦ ، عندما ارسلوا — مجتمعين — الى زعماء فلسطين كتباً يطالبونهم فيها بانهاء الاضراب « معتمدين على حسن نوايا صديقتهم بريطانيا وعلى رغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، واعدين بمواصلة السعي لمساعدة الفلسطينيين على نيل الحرية والاستقلال .! »

---

١ — اسرائيل والشرق الاوسط : هاري اليس ص ٧٠ .
Israel And The Middle East ; H.B. Ellis .

وهكذا ، كانت دبلوماسية ملوك العرب ، ورؤسائهم ، وأمرائهم ، السبب في القضاء على الثورة العربية في فلسطين والتي استمرت أكثر من ستة شهور طوال ، وبالتالي القضاء على البرنامج الوطني الذي أعلنته الأحزاب الفلسطينية ، يومئذ ، مجتمعة ، والذي يتضمن أول ما يتضمن إنشاء حكومة وطنية ديمقراطية ووقف الهجرة ، ووقف إنتقال الأراضي إلى اليهود ..

ان ١٢ أكتوبر عام ١٩١٩ ، يوم انتهى هذا الاضراب العظيم بما فيه من ثورة مسلحة ، لا يختلف – بالنسبة لمعناه السياسي ، عن أول يناير عام ١٩١٩ ، عندما أرسل الأمير الهاشمي « فيصل بن الحسين » كتابه المشهور إلى المؤتمر الصهيوني الأمريكي ..

السذاجة والخيانة هنا .. هي السذاجة والخيانة هناك ..

ولم يكن فيصل بن الحسين ، وحده ، في هذا الميدان ..

ولم يكن ملوك العرب وامراءهم ورؤساءهم وحدهم في هذا الميدان .ء

ان هناك الزعيم العراقي الكبير الذي استقبل وفداً من عرب فلسطين توجه إلى بغداد لكي يشرح للمسؤولين الحاجة إلى المساعدة والتعاون والسلاح ، فاذا بالزعيم المذكور ، يمد رجله في وجوه الوفد وهو يقول لهم :

« إن قضيتكم .. أتعبتني .! »

ثم ينهض واقفاً .. علامة إنتهاء المقابلة وهو يرفع يديه ويهز كتفيه ... وكذلك ..

ان هناك الزعيم المصري « الكبير » الذي ذهب اليه زعماء فلسطين عام ١٩٣٦ ، ينشدون عنده المعونة والتأييد ، فإذا به يقول لهم بالحرف :

– لماذا لا تتفقون مع اليهود ؟ إننا هنا قد اتفقنا مع الأقباط .. فلماذا لا تفعلون مثلنا ؟!

واني اربأ بأي قبطي – من إخواننا الأقباط .. أن يكون بالنسبة إلى أي بلد عربي ، كما كانوا اليهود بالنسبة لفلسطين ..

وكذلك ..

ذلك المسؤول السوري الكبير الذي ذهب اليه وفد آخر من إخواننا الفلسطينيين في عام ١٩٤٧ .. للبحث والمداولة ، فلم يخرج – صاحبنا – طيلة المقابلة عن ترديد عبارة واحدة ..

– وفقنا الله على الهدى .. وفقنا الله على الهدى ..

وكذلك .. ثم كذلك ..

المسؤول والزعيم الاقتصادي المصري الكبير ، الذي جاء إلى القدس عام ١٩٣١ ، فقال للزعماء هناك :

– عليكم بالتفاهم مع .. اليهود .. ان ذلك اجدى لكم وأنفع ! !

وبعد ..

هذه عيّنات من الدبلوماسية العربية الجاهلة الساذجة .. والخائنة ، التي عملت من أجل فلسطين ..

ولهذا لا نريدها ، ولا نؤمن بها ، ولا نشغل أنفسنا بخداعها ولا نثق بجدواها ولا نطمئن إليها ..

إن سبيلنا إلى ذلك سبيل آخر ..

ان العدو يرسل إلينا جواسيسه وأوكاره في كل يوم .. ولن يكون لنا في فلسطين – ما دامت مغتصبة – إلا دبلوماسية الفدائيين ..

ان العدو لا يفهم إلاّ لغة القوة .. ويجب أن لا نتحدث إليه إلاّ بهذه اللغة .! إننا نصفق لكل دولة عربية تريد أن تبني جيشها القوي وتصنع نفسها ، وتستعد ! اننا لا نريد أن نتدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة عربية ما دامت هذه الدولة ترى في العدو المشترك عدواً لها ، وفي الدول المتحررة حليفة لها .! اننا جنود كل « قائد » يمشي بنا إلى معركة المصير .! اننا المقدمة لكل جيش يريد أن يخوض الجولة القادمة . ولا نريد أن نكون عالة على أحد . لقد أطلقنا صيحة البعث في كل قطر عربي ، وكنا السبب المباشر لكل الانتفاضات والثورات العربية .. ومن نكبتنا ومأساتنا شعر العرب بالخطر العظيم الذي يهددهم ويهدد أولادهم وأحفادهم .. وكنا الوقود

الذي أضاء للتسعين مليون عربي طريق العمل والجد والبناء...وغفر الله للذين رأوا فينا كبش الفداء يوم راحوا يقتلون شبابنا وينتقمون منا ... منا نحن ، عندما عجزوا عن الانتقام لأنفسهم ممن يشتهون الانتقام منهم .. ولكن الأيام وحدها ستثبت لكل عربي ، في كل دولة عربية ، مسؤول كان أم غير مسؤول، ان الفلسطيني بطبيعته وأخلاقه ، وماضيه ، وقضيته ، ونكبته ، ليس عميلا « لأحد » ولا مأجوراً لحساب أحد ، ولا جاسوساً لأحد ، ولا جسراً يمر من فوقه أحد .. ان الفلسطيني يعطي ولا يأخذ ، ويضحي ولا يمنّ ، ويحالف لأنه يؤمن بوطنية الذين يحالفهم ، وليس من شيمته الخنوع ولا المسكنة ولا الاستسلام ... يؤمن بالفرج القريب ويحب بلده ويحيا ساعات بعده عنها بدمه ودموعه ، وعلى ضوء هذا الحب يختار من يستحق حبه مـــن الزعماء ، وعلى ضوء هذا الايمان يمشي وراء من يشاركه إيمانه بيوم عودته ..

ان إبن المأساة .. إبن الأرض الضائعة ، لم ينتصر لبلد عربي معين على بلد عربي معين إلاّ بمقدار ما رأى في البلد الذي انتصر إليه انتصاراً لقضيته .. لأرضه .. لأهله .! لقد جاء سوري كبير مسؤول يسأل فلسطينياً من رجالات « غزة » في شتاء عام ١٩٦٢ :

● كيف تسمحون لأنفسكم بالتظاهر ضدنا والهتاف بسقوطنا بعد حوادث ٢٩ سبتمبر الماضي .. هل أصبحت سوريا — الآن — دولة منحرفة في نظركم .. ؟

وأجاب الفلسطيني من « غزة » على الفور :

● والله ما تظاهرنا ضدكم وإنما تظاهرنا ضد الانفصاليين منكم الذين طعنوا الوحدة العربيـــة ..

فأجاب السوري بشدة :

● وما علاقتكم — أنتم — بالوحدة أو بالانفصال ..؟ نحن — عندما « أردنا » — قررنا أن نتحد .. وعندما « أردنا » قررنا أن ننفصل .. فما شأنكم بنا .. ؟

وعاد الفلسطيني من « غزة » يرد بنفس الشدة :

● والله ما تظاهرنا ضد انفصالكم إلاّ عندما شاهدنا المستعمرات اليهودية المحيطة بمنطقة الحدود والواقعة بين خط الهدنة ، «ومجدل عسقلان» تطلق الصواريخ النارية ليلة إعلان الانفصال . ! ان أصوات الهتافات والموسيقى والرقص التي انطلقت في المستعمرات المجاورة لقرى «بيت حانون» و «بيت لاهيا» هي التي دفعتنا – رغم أنوفنا – إلى التظاهر ضد الانفصال لأننا رأينا عدونا – في ليلة الانفصال – وقد ارتدى ثياب ... العيـد !

وكذلك ، فان ابن الأرض الضائعة ، ووليد النكبة ، لم يحاول يوماً أن يناقش إيمانه في آراء إخوانه العرب – زعماء وقادة ومسؤولين – تجاه المعركة الحاسمة القادمة ضد العدو المشترك . ان اختلاف إبن المأساة عن إخوانه العرب في النظر إلى عمق المأساة ، وطرق علاجها ، وتوقيت معركته ضد أعدائه وأعداء إخوانه ، لا يعني – مطلقاً – رغبة إبن النكبة في الانفراد وحده بمعالجة نكبته .! اننا نؤمن أن القضية يجب أن تبقى عربية ، ونؤمن أن الجزائر لم تنتصر في تحقيق استقلالها بسبب جيش التحرير الجزائري وحده ، وإنما بسبب التأييد المادي الواسع ، والمعنوي الواسع ، من الدول العربية . ومهما تعرض الفلسطيني إلى موجات من اليأس ، أو القنوط ، أو العتاب ، تجاه موقف إخوانه العرب من قضيته فإن ذلك لا يعني ولن يعني بحال من الأحوال ، إنعزال هذا الفلسطيني عن دنياه العربية ، أو انفراده بقضيته الفلسطينية ..

ان واجب كل فلسطيني ، حيثما كان ، أن يؤكد على الدوام ، ويقوي على الدوام ، إيمان إخوانه العرب في قضيته الكبرى . ان الفلسطيني مسؤول تجاه وطنه وتجاه تاريخه وتجاه مصيره ، أن يعمل على سد كل ثغرة ، وقتل كل نعرة ، وإيضاح كل غموض ، وكشف كل مؤامرة من شأنها أن تسلخ المعنى الفلسطيني عن المعنى العربي بالنسبة لقضية فلسطين . وإذا حاول العدو أن يجعل من إسرائيل – الدولة – «قلباً» لليهودية العالمية ، فمن واجب

أهل فلسطين جعل فلسطين – السليبة – قلباً للأمة العربية ...

ومن ناحية أخرى فإن على الدول العربية أن تفهم «نفسية» الشعب الفلسطيني وما تتنازعه من عوامل مادية، وروحية، «وحياتية» وفلسفية ونفسية. ان هذا الشعب لا يكاد يصدق أن القدر يكافأه بعد ثلاثين سنة من جهاده وتضحياته وعذابه، بأن يصبح بلا أرض ولا جنسية ولا مال. ان هذا الشعب لا يكاد يصدق أنه خرج – فعلاً – من بلاده. انه يسأل: من الذي أخرجني من بلادي؟ من الذي قال لي انك ستعود بعد خروجك بأسبوع .. بشهر واحد؟ من الذي أمرني أن أعتمد عليه.؟ فعندما اعتمدت عليه، تركني للجوع والضياع والتشرد.! من الذي اختار لي هذه النهاية المفجعة من عمري وتاريخي ..؟!

ولا يكاد هذا الشعب يجد جواباً واحداً على هذه الأسئلة ..

بل انه لا يريد أن يجد لها جواباً .. لا يريد أن يصدق بأنه رضي أن يكون ضحية الأهل والأقارب وأبناء العم.! لا يريد أن يشعر بأن غيره قد ضحك عليه .. واستغفله .. وأرخص كرامته .. ورمى به إلى المجهول ..!

بل لا يريد أن يصدق أن الخداع والهوان والدجل يصل إلى حد اللعب بمصير الشعوب والأوطان ..

وينظر هذا الشعب إلى الأمم المتحدة ويتساءل:

- ما دامت هذه المؤسسة هي التي أقرت شرعية التقسيم فلماذا لا تستطيع أن تقرر شرعية أمور أخرى ترتبت على التقسيم.؟ لماذا تعجز هذه المؤسسة عن أن تعيد لاجئاً واحداً إلى بلده.؟ لماذا تعجز عن أن ترغم اليهود على عدم اتخاذ «القدس» عاصمة لدولتهم؟ لماذا تسكت على احتلال اليهود لهذه الأراضي الواسعة في النقب وفي الجليل الغربي؟ لماذا تسكت على مقاطعة اليهود – للآن – للجنة الهدنة السورية – الاسرائيلية، ولجنة الهدنة المصرية – الاسرائيلية؟ لماذا تسكت على استيلاء اليهود على الأملاك العربية والأراضي العربية في فلسطين؟ لماذا .. كذا؟ ولماذا كيت ..؟

ولا يكاد هذا الفلسطيني يجد جواباً مقنعاً واحداً على هذه الاسئلة الحائرة .

لقد كان عدد دول الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ يوم وافقت على تقسيم فلسطين، لا يزيد عن خمسة وخمسين دولة.. ولم يزد عدد الدول التي منحت أصواتها للتقسيم عن خمسة وثلاثين دولة فقط .. بينما تشمل الأمم المتحدة اليوم على مائة وأربع (١٠٤) دول ! ومعنى هذا أن الرأي العام العالمي تجاه القضية وتجاه الحل العادل السليم لهذه القضية قد طرأ عليه تبديل وزيادة بنسبة الضعف .. فهل يجوز أن يبقى الوضع على ما هو عليه، بينما السلطة التي خلقت هذا .. الوضع قد تبدلت، وزادت، واتسعت، وأصبح معظم أعضاءها الجدد، «أبرياء» لا يعرفون عن قضية فلسطين ولا عن جريمة الصهيونية فيها، ولا عن قرار الأمم المتحدة في صورتها الباهتة القديمة، بتقسيمها، شيئاً ؟؟

ويجيب الشعب بنفسه على هذا السؤال ويقول :

● لا .. هذا لا يجوز ..

ويعود الشعب ويسأل نفسه :

● كيف نستطيع إذن أن نصحح هذا الخطأ ؟

ويجيب على هذا السؤال قائلاً :

ـ ان العدو نفسه قد تولى الاجابة على هذا السؤال، وعلى لسان رئيس وزرائه «بن غوريون»، عندما كتب يقول :

«إن الأمم المتحدة لا تملك السلطة، ولا القوة، ولا الارادة على أن تضع مبادءها وقراراتها موضع التنفيذ . وقد شعرت دولة إسرائيل بهذه الحقيقة في اليوم الأول من وجودها ..»[1]

ومعنى هذا الكلام لا يحتاج ـ عند العرب ـ إلى بحث ولا تفسير ..

---

١ ـ كتاب اسرائيل السنوي ـ «المقدمة» بقلم : دافيد بن غوريون صفحة ٩ .

Israel Government Year Book 1961—62 « Our Generation » By « Ben — Gurion », p 9 .

إن عليهم – بدورهم – الإقتناع ، ولأول مرة ، بصحة كلام .. عدوهم بالنسبة لهيئة الأمم المتحدة ..

ثم ينظر شعب النكبة إلى جوهر نكبته ويتساءل :

– هل عرف التاريخ الحديث ، كله ، نكبة كنكبة فلسطين .. في تشرد أهلها .. في فداحة معناها .. في ضياع حقيقتها .. في نكسة معنى العدالة على أرضها .. في عمق الظلم المنطوي في فصولها .. ؟

وينظر شعب المأساة حوله إلى المحيط الدولي ويقول :

– إنني أبارك استقلال كل شعب في العالم .. إنني أفرح لحرية الهند من حكم بريطانيا .. واستقلال باكستان من الاستعمار الأجنبي .. وانطلاق بورما .. ووجود سيلان .. وبعث فيتنام ، وكمبوديا ، ولاوس على أشلاء الامبراطورية الفرنسية في الهند الصينية .. وتحرر اندونيسيا من هولندا وتحرر « مملكة نيبال » من طغيان حكامها .. وتحرر ليبيا من الطليان .. وتونس من الفرنسيين .. وغانا من الانجليز .. وغينيا من الفرنسيين .. والكاميرون من الالمان ثم من الفرنسيين والانجليز .. وتوجو من الالمان .. والصومال من الطليان .. وموريتانيا من الفرنسيين .. والسنغال والسودان الفرنسي من الفرنسيين .. ومدغشقر من فرنسا .. وكذلك .. تحرر فولتا العليا .. وساحل العاج .. وتشاد .. والكونغو الفرنسي ... والكابون .. من الفرنسيين والكونغو من البلجيكيين .. وقبرص من الانجليز ... ونيجيريا من الانجليز ... وسيراليون من الانجليز .. وو .. و أفرح لاستقلال كل شعب ، وحرية كل بلد .. ولكن .. ولكن ألم يكن من حقي أنا .. « أنا » الشعب الذي لم يجاهد أحد كما جاهدت .. ولم يضح أحد كما ضحيت .. وفتحت قلبي وعقلي للعلم وللمعرفة .. ثم ينتهي الأمر بسواي إلى الحرية والاستقلال والمجد .. وينتهي بي الأمر إلى التشرد .. والجوع والضياع .؟!!

مرة أخرى ، ليس هناك شعب في الدنيا يفرح لانتصار الأحرار من أجل حريتهم .. كما يفرح لهم شعب فلسطين . ولكن من حق هذا الشعب

ـ أيضاً ـ أن يشعر بالمرارة ، وبالعذاب ، وهو يرى موكب الحريات يقف على معظم بلدان الدنيا فيمنحها الاستقلال والكيان والحكم الذاتي والكرامة وعندما يصل إلى فلسطين يحطمها ويشرد أهلها ويعطيها لشعب غريب لا هو شرقي ولا غربي ، ولا هو صاحب حق ، ولا هو بطل تاريخ ، ولا هو شعب مكرمات وفتوحات وأمجاد ..

ان من حق الشعب الفلسطيني أن يطمع في قدرة إخوانه العرب على تفهم عقليته ونفسيته ، وبالتالي على التجاوز عن الكثير مما قد يخلق بعض الضباب بينه وبين إخوانه في الوطن الكبير .! ان على هؤلاء الاخوان مسؤولية تقدير الشعب الفلسطيني ، كشعب ، متعلم ، نشيط ، ذكي ، عامل ، شجاع ، يستطيع أن يعطي الكثير ، ويساعد في بناء الكثير ، ويساهم بقسطه في تطور الشرق العربي نحو القوة والرقي ... بلا حذر ، ولا خوف ، ولا شك ، ولا عقد نفسية . ان هذا الشعب لا يطمع في أن يسلب أي شعب خيرات أرضه أو لقمة العيش التي في يده .. انه يحب بلده ، ولا يفضل عليها بلداً في العالم .. انه لم يخرج من وطنه بحثاً عن عمل .. وانما خرج من وطنه في معركة مصير .! إن الذين التحفوا السماء وافترشوا البطحاء ، وعاشوا بين البراري والقفار والصحراء ، ما زالوا حتى يومنا هذا يقابلون رجال الأمم المتحدة برفع الأعلام السود ، وفوق رؤوسهم لافتات كبيرة تنادي : « نريد العودة » ، « نرفض الاستيطان » .. « تسقط مشاريع الاسكان » ..

ولكن هذا الشعب يفهم « مرارة » الأرقام أكثر من سواه .. انه اذا قرأها لم يستطع أن يحبس آهاته ودموعه .. ان هذه الأرقام أشبه بالخناجر التي تتساقط فوق صدره وظهره ورأسه ! ان غيره قد يمر بهذه الأرقام مر الكرام .. أو يقف عندها لحظة ثم يتركها إلى شيء آخر . أما هو ، فإن الأرقام المتعلقة بوطنه يحفظها عن ظهر قلب ، ويفهم معناها ، ويقلب وجوهها ، ويحلل نتائجها ، ويتأثر بها ، ألف ألف مرة أكثر من غيره .! ومن هنا كان سر مرارته ، وسر شقائه ، انه يقف عند الرقم (٢٠٦٦٢) كيلو

متر مربع .. ويعرف انه أمام مساحة الارض التي اغتصبها منه العدو .!
لقد قررت الأمم المتحدة أن تعطي العدو أقل من « ١٤٩٢٠ » كيلومتر مربع ، ولكن العدو – بلا حرب ولا قتال – استولى على زيادة بلغت « ٥٧٤٢ » كيلو متر مربع .!

انه يعلم ان مائة وأربعة وعشرين ألف مهاجر يهودي من عام ١٩٥٣ قد سكنوا في بيوته .. واحتلوا منازله .. وأكلوا في مطبخه .. وناموا في فراشه .. وذكروه باللعنات والشتائم .!

انه يعلم ان « ١٣٣ » ألف يهودي آخر ، في نفس السنة ، ذهبوا إلى إخوانه الفلاحين في فلسطين وشاركوهم بيوتهم وأكلهم وحياتهم ..

انه يعلم أن ٩٨٠ ألف يهودي لاجىء متشرد قد دخلوا وطنه منذ قيام إسرائيل إلى نهاية عام ١٩٦٠ .. وعاشوا بفضل المال الذي تركه ، والثياب التي نساها ، والخيرات التي خلفها ..

انه يعلم أن العدو لم يكن وحده وهو يحارب المعركة ضد العرب والعروبة كان هناك متطوعون من حوالي « خمسين » بلد في العالم .. وان العدو لم يشيد الدولة بفضل سواعده وإنما استطاع هذا العدو أن يجمع ٩٢٩ مليون دولار .. بصورة تبرعات من الولايات المتحدة وبريطانيا وغربي أوروبا وجنوب أفريقيا خلال المدة ما بين ١٩٤٨ و ١٩٦٠ .. وان هذا العدو قد جمع من عملية بيع السندات في أمريكا وحدها أكثر من « خمسمائة مليون » دولار في نفس المدة .. وان الولايات المتحدة الأمريكية قدمت له قرضاً في العام الأول من قيام دولته بلغ « مائة مليون » دولار .. وان أكثر من « ٤٤٧ » مليون دولار قد تسلمتها اسرائيل من الولايات المتحدة كقروض ومنح حتى عام ١٩٦٠ ..

وان أكثر من « ٥٤١ » مليون دولار قد تسلمتها إسرائيل من ألمانيا الاتحادية حتى نهاية ١٩٦٠ ، كتعويضات ..

وعندما سقطت فلسطين بيد الأعداء ، لم يبق للعرب ، من فلسطين ،

من كل فلسطين ، أرضاً يزرعونها أكثر من خمسمائة فدان تولى مسؤوليتها أفراد الأقلية العربية الباقية هناك .! ان خمسمائة فدان في عام ١٩٤٨ هي كل ما بقي للعرب من أموالهم وأراضيهم في فلسطين المحتلة . والحمد لله ، فقد ارتفع هذا الرقم إلى سبعة آلاف فدان ... في عام ١٩٦١ .. من مجموع مليون و ٧٠ ألف فدان من الأرض الزراعية في كل إسرائيل .!

هذه أرقام موجعة .. مؤلمة .. مليئة بالمرارة .. والجراح والذكريات ! وان إبن المأساة يفهم هذه الأرقام ويتوجع منها أكثر من سواه .. إنها قصة حياته .. وسطور عمره .. وفصول تشرده .. ومشاهد غربته .. ومراحل معركتـــه .!

اننا نفهم ماذا تعني بالنسبة إلينا أن يزور بلادنا « المغتصبة » في عام واحد — عام ١٩٦١ مثلاً — ومن قارة واحدة هي قارة افريقيا .. وحدها ، حوالي ثلاثة رؤساء جمهوريات وأربع رؤساء وزارات ، ووزراء من ١٨ دولة أفريقية . وأن يزور إسرائيل للتدريب في معاهدها الفنية والزراعية حوالي ألف و ٨٦ طالب من آسيا وأفريقيا .. وأن يتغنى رئيس وزراء « شرقي نيجيريا » بتقدم إسرائيل وازدهارها ورقيها ..

نحن نفهم أكثر من غيرنا ماذا يعني دافيد بنغوريون بقولـــه :

« ان أبواب إسرائيل مفتوحة أمام كل يهودي ... في أي مكان .. فهي دولة يهودية — لا لأن معظم شعبها من اليهود — بل لأنها دولة ليهود العالم ؛ لكل يهودي يريد أن يعيش فيها .. »[1]

نحن نفهم معنى قانون « العودة » الذي أعدته حكومة العدو وسمحت بموجبه « بعودة » كل يهودي ، بلا شرط ، ولا نوع ، ولا حواجز .. لأن هذا القانون كما أسمته « هو قانون إستمرار التاريخ اليهودي .. » فليست الدولة هي التي تسمح لليهود في الخارج بأن يهاجر إلى إسرائيل ويقيم

---

١ — دافيد بن غوريون : « جيلنا .. ماذا انجز وماذا عليه ؟ »

فيها .. « ان هذا الحق بالهجرة والاستقرار موجود في اليهودي بحكم كونه يهودياً .. فما عليه الا أن يقرر العودة . ! »

ولو قيل لنا : هل استطاعت إسرائيل أن تندمج في أطارها المطلوب كدولة شرقية .. تنتمي إلى هذا الجزء من العالم .؟ لقلنا : لا .! ان رئيس وزرائها – بالذات – ينفي عن إسرائيل هذا الطابع .! انه يقول عن دولته انها دولة « عالمية » .. للعالم كله .. « ما دام هناك يهود في كافة أنحاء العالم »! انه يقول : « ان أساس بقائها وشرط استمرارها أن تبقى دولة للعالم .. ما دام اليهود شعب عالمي .. وما دامت اسرائيل دولة لليهود .. ومن اليهود .. »

فهو ينفي عنها طابعها الشرقي ..

وهو يقول أن مصير المنطقة – منطقة الشرق الأوسط – ليس في يد العرب وحدهم .. ان مصير هذه المنطقة في يد .. إيران .. وتركيا .. أيضاً[1]

وهو يقول أن سلامة إسرائيل ليس في اعتمادها على صداقة أمريكا ، وبريطانيا ، وفرنسا . ان هذه الصداقات – تؤكد له بلسان رؤساء هذه الدول انهم مع اسرائيل من أجل بقائها .. ولكنها – أي هذه الصداقات – ليست كافية لحماية وجود اسرائيل .. وكذلك فليس منظمة شمالي الأطلنطي « الناتو » Nato ولا الاتحاد السوفييتي ... ولا الأمم المتحدة التي « زاد عدد أعضائها ولم تزد قوتها » ، قادرة على حماية إسرائيل .. « ان سلامة اسرائيل تعتمد على الحفاظ على هذه الصداقة .. ولكن عدم الاعتماد عليها . ان سلامة اسرائيل – فوق كل شيء – تعتمد على مقدرة إسرائيل في أن تدافع – هي – عن نفسها .. بأسلحتها .. فتغلب أعدائها .. وتقضي عليهم .. حتى لا يعود أمامها أعداء .. »[2]

ولكي نفهم المزيد من مثل هذا الكلام ... نسمع المزيـــد إلى أقوال

---

١ – مقالات لبن غوريون في جريدة نيويورك هيرالد تريبيون – مايو ١٩٦٢

٢ – دافيد بن غوريون .. مقدمة كتاب اسرائيل السنوي لعام ١٩٦٢ .

بن غوريون في تحليله للرسالة الملقاة على عاتق اسرائيل فيقول :
« ان مشكلتنا ثلاثية :
أولاً ، كيف نحافظ على ميزتنا النوعية كشعب متعلم قوي ذكي .!
ثانياً ، كيف نضمن إستمرار أصدقائنا في مدنا بالأسلحة التي بدونها لا نستطيع أن نحافظ على حياتنا .! ثالثاً ، كيف نحصل على المال والقروض التي نشتري بها الأسلحة من الذين يوافقون على بيع هذه الأسلحة لنا .. أو نحصل على هذه الأسلحة بالمجان ... أو بالدين .. أو بالسعر المخفض إذا كانت أسعارها غالية في نظرنا .[1]
ثم يستطرد فيقول :
« في عام ١٩٤٨ ، كنا نقف بنسبة يهودي واحد ضد أربعين من العدو . واليوم نقف بنسبة يهودي واحد ضد عشرين من العدو .. لقد زاد عددنا بنسبة مليون ونصف وزاد عدد العدو بنسبة ستة ملايين ..
ثم يقول :
« .. ان سلامتنا تعتمد على مقدرتنا في أن نثني العدو عن محاربتنا وتحطيم وجودنا .. وإذا لم نستطع أن نثنيه عن عزمه على محاربتنا ، فيجب أن نستطيع التغلب عليه إذا دخلنا المعركة » ..
ثم هو يقول :
« لا يمكن أن يكون هناك نوعان لليهود .. في العالم .. ان كل اليهود في قارب واحد .. وسط بحر هائج مجنون .. وإن لم نتعاون على قيادة السفينة ، كلنا معاً ، فسنغرق ، كلنا معاً .. » ..
وما أكثر ما يقوله بن‌غوريون من آراء وأفكار ..
انه يأسف لأن نسبة المواليد وعملية النسل بين صفوة رجالات إسرائيل ، منخفضة .. محدودة .. وهذا ما يهدد سلامة البلاد .. بالخطر .!

---

١ — المصدر السابق .

انه يصر على أن ينزع عن اسرائيل طابعها الشرقي .. حفاظاً عليها .!
انها لو أصبحت دولة تنتمي إلى منطقة الشرق الأوسط ـ كما يقول ـ لقضت نحبها وسط جيران يرفضون الاعتراف بها وينشدون هلاكها .!

انه يرى في التقارب الفرنسي ـ الألماني ، درساً يجب على بلاده أن تتعلمه في تقوية علاقاتها مع أية دولة .. أية دولة مستعدة لأن تساهم ـ عند الضرورة ـ في الدفاع عنها .. بما في ذلك دولة « ألمانيا الغربية » التي كانت ـ إلى وقت قريب ـ العدو الأكبر لليهود في العالم .!

انه ينادي بضرورة استطاعة بلاده صنع السلاح الذي تحتاج إليه . وان هذا لن يتحقق إلاّ إذا ارتفع شعبه الى مستوى الامكانيات الفنية والانتاجية بحيث تزيد الصادرات ، ويستقل الوضع الاقتصادي .. وتوجد الأبواب المادية المطلوبة من أجل الانفاق على أية مواهب فنية أو خاصة .. ويزيد الوفر .. ويزيد الشحن .. وتعمر الصحراء !

ثم هو بعد هذا يعترف بأن سلامة بلاده محفوفة بالأخطار .. وأن وحدة الأمة الاسرائيلية داخل الدولة اليهودية ما زالت ناقصة إلى حد كبير .. وأن سدس مساحة الأرض التي اغتصبتها اسرائيل قد استغلت وحرثت وزرعت بينما هناك « خمسة أسداس » المساحة ما زالت تحتاج إلى العمل ، والمال ، والمهاجر ، والتعب .. وأن نوع الحكم في إسرائيل ما زال معرضاً للتدهور والخراب .. حيث الأحزاب المتصارعة المتعددة لبلد صغير محدود لا يحتاج نوع الحكم فيه إلى أكثر من حزبين إثنين فقط .. واحد محافظ ، والآخر عمالي .. وأن الشعب الاسرائيلي سيبقى خلال العشرين سنة القادمة بحاجة إلى المزيد من رفع معنوياته .. باستمرار .. من أجل توحيد العمال مع طبقات الأمة .. من أجل التخلص من الأحقاد الدفينة بين الشعب اليهودي ..[1]

---

١ ـ هذه الآراء مأخوذة من عدة مصادر على لسان « دافيد بن غوريون » رئيس وزراء=

أجل .. ما أكثر ما يقوله رئيس الدولة ، «والعصابة» في الاعراب عن الوسائل التي يراها كفيلة بضمان بقاء سلامة الدولة والعصابة سالمة في الوجـــود ..

وفي بعض هذه الأقوال ما يستحق الدرس والتأمل والفهم .. والرد .

وفي بعضها ما يستحق التحفظ والتشريح ..

ولكنها – دون استثناء – يجب أن توضع أمامنا ونحن في معركة مصيرنا .

فالعدو يفكر في وسائل الدفاع عن نفسه .. ونحن نفكر في وسائل تحطيم هذه الوسائل ! هو يرسم طريق البقاء والخلود ، ونحن نرسم لأنفسنا طريق الصراع ضد ما يرسمه العدو لنفسه ولنا . هو يقول بأن كسب المزيد من الأصدقاء والحلفاء ، والشركاء ، سيضمن له فرض الصلح على العرب ، ونحن نضع مثل هذا القول موضع الدرس والفحص ونستخرج منه ما يجب أن يكون عليه موقفنا من مثل هؤلاء الاصدقاء والحلفاء والشركاء ، لكي «لا» يكون هناك أي صلح بيننا وبين العدو ..

وبعد أن ننتهي من الرد على كل فكرة ، أو استراتيجية ، أو مخطط يضعه العدو في وجه أي خطر يزحف عليه من الدنيا العربية ، نبدأ نحن في وضع مخططنا وفكرتنا واستراتيجيتنـــا ..

ان على رأس مشاكل اسرائيل تأتي المشاكل التالية :

– الخطر العربي .. وما يترتب على ذلك من إرغام العدو على ابقاء عدد كبير من الجيش وشراء عدد ضخم من السلاح ، وما يعني ذلك من تكاليف باهظة على الخزينة الاسرائيليـــة ..

٢ – استيعاب الهجرة الجديدة .. وما يترتب على ذلك من نفقات ومشاكل

= اسرائيل ومن بين هذه المصادر :

١ – الكتب الرسمية السنوية لاسرائيل .. ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ .

٢ – حياة بن غوريون بقلم : «روبرت سان جون»..

٣ – مجموعة خطب بن غوريون ١٩٤٨ – ١٩٥٨ .

مادية ومعنوية ..

٣ ــ الأرض .. المحدودة المساحة أمام مطامع صهيونية واسعة ..

٤ ــ الميـــاه ..

٥ ــ الأحزاب والطبقات المتصارعة .. سياسياً وفكرياً وأدبياً وثقافيـــاً ..

٦ ــ علاقة إسرائيل كدولة ، بالصهيونية العالمية كحركة وكفلسفة ..

٧ ــ البحث عن مصادر مالية جديدة للتطور المطلوب ..

٨ ــ الحصار العربي .. وسد منافذ العبور والدخول « بسهولة » وأمـــان إلى دنيا الشرق الأوسط .: والأدنى ..

٩ ــ الهجرة اليهودية « من » إسرائيل إلى الخارج .. وقد بلغ عدد الذيـــن هاجروا من إسرائيل إلى خارجها حتى عام ١٩٦٠ ، أكثر من ١١٧ ألف و ٧٦٧ شخصاً .!

١٠ ــ أزمة ثقة بين حاضر إسرائيل ، ومستقبلها .. بين إسرائيل وبعض دول العالم .. بين مستوى الصناعة الاسرائيلية ومستوى الصناعة العالمية .. بين الفكرة الاسرائيلية الصهيونية المتعصبة ، والفكرة السياسية العالمية الحديثة التي تتجاوز عن معاني الدين والجنس والذات .. وبعض هذه المشاكل مرهونة بعامل الوقت .. قد تزول مع مرور الزمن وبعض هذه المشاكل ستبقى ، ما بقي العرب... أصحاب الحق الشرعي في أرض فلسطين.. وبعض هذه المشاكل مستمدة من طبيعة اسرائيل ، ستبقى ما بقيت اسرائيل كدولة تقوم على الدين والجنس والذات ..

ومن هنا يبدأ واجب كل عربي في دراسة هذه المشاكل ومعالجتها على أساس طبيعتها وعلاقتها بالزمن وبالدولـــة .. وبالعرب .

فالواجب الاول ، ان يعمل كل عربي على مضاعفة خطورة هذه المشاكل وإطالة عمرها ، ووضع العراقيل التي قد تساعد على حلها ...

والواجب الثاني ، إستغلال هذه المشاكل وتوجيهها ــ قدر المستطاع ــ لما فيه المصلحة العربيـــة ..

والواجب الثالث ، توجيه الضربة اللازمة قبل أن يمر الزمن المطلوب حاملا معه الحل المطلوب ..

وأفسر كلامي ، وأقول :

يجب أن يبقى كل جيش عربي — من حيث القوة والعدد والسلاح — وكأنه على أهبة الدخول — غداً — في معركة الثأر ضد العدو .! ان الحفاظ على مثل هذا الوضع ، هو الكفيل بأن لا تستّريح إسرائيل من أعباء ونفقات الجيش الاسرائيلي يوماً واحداً ..

ويجب أن يشعر كل يهودي هاجر إلى إسرائيل ، أن كل ما بناه ، وكل ما أنتجه ، وكل ما جاء به من مال ، سيبقى على فوهة بركان ، بانتظار موعد ثورة هذا البركان التي ستقضي على كل ذلك ، وبالتالي، إرغام اليهودي الموجود في الداخل على أن «يخرج» ، وإقناع اليهودي الذي في الخارج على أن «لا» يدخل .!

ويجب أن يكون مفهوماً لدى شعوب العالم أن صوت اليهود — الأقرب إلى الحقيقة — هو صوت «المجلس الأمريكي لليهود» **American Council For Judaism** ، لا صوت حزب «الماباي» ودافيـــد بن‌غوريون .. والمؤتمر الصهيوني العالمي .. وناحوم جولدمان . !

ويجب أن نحطم الأسطورة القائلة بأن إسرائيل — بمعاهدها التدريبية على «جبل الكرمل» أو في مستعمرة «رخبوت» أو في «تل أبيب» قد أصبحت قبلة أهل العلم والمعرفة من: «بورما وكينيا ومالي وساحل العاج ونيجيريا» ! ان هذه الدعاية المضللة ، هي التي تغري دولاً أخرى صغيرة مثل مدغشقر ، وغينيا ، والسنغال ، وسيلان على أن ترسل شبابها إلى معهد الموسيقى في تل‌أبيب .. مثلاً ، أو إلى مؤسسة «هداسا» للتمريض .. أو إلى معهد «التيكنون» في حيفا .. أو إلى مختبرات «وايزمن» في «رخبوت» سعياً وراء ما يظنون انه المعرفة والعلم والفائدة .. بينما ان هذه المعاهد تتساوى مع أية معاهد أخرى من نوعها في العالم ..

وما دامت إسرائيل ليست هدفاً – في حد ذاتها – كما يقول رئيس وزرائها وإنما الهدف هو أن تتسع هذه الأرض ، ويزيد عدد هذا الشعب ، وتضم الأرض المغتصبة كل يهودي في العالم .. فقد أصبح من واجب كل عربي أن يُحطّم هذا الهدف بكل ما يستطيع دفاعاً شرعياً عن نفسه وذاته ..

يقول بن‌غوريون : « ان استقلال إسرائيل الاقتصادي ، لن يتحقق الا إذا استطاعت صحراء النقب أن تطعم سكانها » ..!

والرد على هذا .. من حقنا .. وعلينا ..

يقول بن‌غوريون أن بناء وتصنيع ميناء « إيلات »[1] على الخليج سيفتح أبواب إسرائيل أمام المزيد من الرأسمال العالمي مما يزيد في قوة إسرائيل وعظمتها وسمعتها الدولية ..

والرد على هذا .. من حقنا .. وعلينا ..

ان إسرائيل تنوي أن تقيم في صحراء النقب – بمساحتها البالغة أربعة آلاف وستمائة ميل مربع ، أكثر من ١٥ مدينة جديدة بينما ليس في هذه الصحراء – اليوم – سوى ٥ مستعمرات .. وأربعة مدن من بينها مدينة « بئرالسبع » العربية .. ويوظف من أجل ذلك ألفي مليون دولار .. وتسرق مياه الأردن – مياهنا – إلى قلب الصحراء ..

والرد على هذا .. من حقنا .. وعلينـــا ..

ان العدو ينوي أن يستغل كل ذرة من فوسفات النقب ، وتربته المليئة بـ « الجرانيت » و « النحاس » و« الحديد » و« المغنيزيوم » و « السلفات » .. ويوظفها في مصانعه ومختبراته ومتفجراته ...

والرد على هذا .. من حقنا .. وعلينا ..

كيف ...؟ كيف نرد .. ومتى نرد؟

---

١ – اسمها العربي : « ام رشرش » .

يقول فلاسفة اسرائيل أن التاريخ اليهودي قد مرّ في مراحل خطيرة ثـــلاث :

أولاً ــ مأساة التعذيب اليهودي في العالم ..

ثانيـاً ــ بعث اليهودية الأمريكية ..

ثالثاً ــ قيام الدولـــة ..

وقد مر الشعب العربي الفلسطيني بالمرحلة الاولى التي مر بها اليهود .. فتعذبوا .. وتشردوا .. وتألموا ... وبكوا .. وفقدوا كل غال وعزيز .. فهل سيأتي دور المرحلة الثانية .. مرحلة لبعث « العروبة » الواسعة خارج نطاقها الفلسطيني المحدود .. ؟؟

ان الملك حسين قد أفرد للقضية الفلسطينية فصلاً خاصاً في مذكراته[١] وقد بحث فيها ــ باختصار ــ قصة المراحل التاريخية المعروفة التي مرت بها هذه القضية .. منذ عام ١٨٣٨ حتى مقتل جده الملك عبدالله .. ولم ينسَ الملك حسين أن يشيد بعملية ضم ما تبقى من أرض فلسطين إلى مملكة الأردن .. وأن يتغنى بالمعاملة الكريمة التي يلقاها اللاجئون العرب في الأردن .. ولكن ، جلالته قد وقف عند هذا الحد ولم يدلنا على الطريق الصحيح الذي تعود به الينا ، فلبسطين !؟

لقد طالب جلالته بالحلول العادلة للقضية الفلسطينية وترك للقارىء أن يفهم ما يريد من وراء هذه العبارة ... الغامضة ... الواسعة ..

ولكننا نسمح لأنفسنا بأن ندخل في التفاصيل ونفسر لجلالته كيف نفهم ــ نحن ــ مدلول عبارته في الحلول « العادلة » لقضية فلسطين ..

ان العدالة ، كالشرف ، لا تتجزأ .. فليس هناك نصف عدالة أو ربع عدالـــة .. هناك عدالة كاملة أو ظلم كامل ...

---

١ ــ « مذكرات الملك حسين » . ص ٩٤ .. عام ١٩٦٢ ــ بالانجليزية :
« Uneasy Lies The Head »

وبالتالي ، ان الحل العادل لقضية فلسطين ، هو أن تعود إلينا ، فلسطين .. كل فلسطين ..

ولكي يتحقق هذا الحل ، يجب أولاً ، وقبل كل شيء ،أن يعمل جلالته فوراً من أجل اتحاد قيادات الجيوش العربية وتنسيقها بحيث تستطيع الطائرة « العربية » التي تضرب العدو ، أن تهبط في مطار أردني ، ويستطيع « الفدائي» الذي يدخل من حدود سوريا أن يخرج « سالماً » من حدود الأردن .. وإذا كانت « عمان » تعتبر — على حد قولها — خطوط الهدنة خطاً واحداً ، فإن معنى ذلك أن العدو واحد .. والجيوش واحدة ... وبالتالي ، العمل الحربي ضد إسرائيل ، يصبح واحداً .!

فهكذا يكون العمل من أجل تجسيد معنى العدالة في فلسطين ..

وما ينطبق على الأردن ، ينطبق على كل دولة مجاورة للأرض المغتصبة ...

ان التغني بمأساة اللاجئين ، وذرف الدموع عليهم ، والحث على انقاذهم ، وزيارة معسكراتهم ، وتوزيع النصائح الغالية وغير الغالية عليهم ، واستغلالهم في كل مناسبة سامية أو في كل عيد ملكي ، لم يعد يجدي ! يجب أن نضيء الشمعة بدلاً من أن نلعن الظلام ! يجب أن نعيد اللاجيء إلى بلده بدلاً من أن نبكي له ، أو نبكي معه ، أو نبكي عليه .! فليس مهماً أن يتغنى الأردن بلسان حكامه أنه البلد « الصامد » في وجه العدو ! لا ! بل يجب أن يتغنى الأردن بأنه البلد الذي لم يستطع العدو .. أن يصمد أمامه !

وليس معنى هذا أننا نطالب الأردن بأن يعبر الجيش الأردني ، غداً ، حدود البلد السليب ، ويغزو إسرائيل بمفرده . فنحن لا نطلب المستحيل ، ولكننا نطالب فقط بأن لا يكون الأردن أو غير الأردن حجر عثرة في طريق أية عملية تهدف إلى استعادة فلسطين .! وإذا كان من حق الأردن أن يفكر بسلامته وكيانه وباستقراره ، فإن من حقنا نحن أن نفكر بمصيرنا ، بوطننا ، بعودتنا . فإذا اتفقت الغايتان وانسجمت الفكرتان ، كان بها ، وإلاّ فإن من واجب كل فلسطيني وكل عربي أن يمضي في طريقه .. طريق

غده ومستقبله ، مهما كانت الصعاب ، ومهما طال الطريق ..

وإذا كانت عملية استعادة فلسطين لا تعتبر بالرأي السهل ، فإن إستغلالها على النحو الشخصي ، أو معالجتها على النحو السطحي ، ليست من الوطنية ولا من الشرف في شيء ...

ان فلسطين لا تعود إذا صدر عن وزارة الخارجية الأردنية كتيب في بضعة صفحات ينادي بأن « قضية فلسطين هي قضية العرب جميعاً .. وأنها في المملكة الأردنية قضية الوطن الأردني والأسرة الأردنية والمواطن الأردنـــي ... (٢) »

وكذلك لا تعود فلسطين لو حاول الحاكم الأردني أن يفلسفها بألفاظه ، ويلونها بتعابيره. فهي تارة « تمثل عدوانا مسلحاً على الوجود العربي » ، وهي تارة تمثل « شكلاً كلياً من أشكال الاستعمار لا تقف عند حد من التوسع » ، ولذا فإن معالجة القضية « أن ترد إلى صورتها الأصلية البسيطة .. قضية عدوان غاصب جامح على وطن آمن » .. وأن الخطوة الأولى في سبيل مواجهتها مواجهة جديدة « هي في العمل الفوري المخلص نحو تجميع الجهد العربي على أساس مدروس مترفع عن النزاعات السياسية ومنطق المحاور » ..

ترى ، على من تقرأ مزاميرك يا داوود . ؟

وإذا كان الغرض من نشر مثل هذه الكلمات هو الدفاع عن سمعة الحكومة الأردنية بالذات أمام الرأي العام العربي ، فقد يكون لها بعض الفائدة . أما إذا كان الغرض من نشرها هو الدفاع عن فلسطين ، فإن الأمر عندئذ — لا يعدو — مجرد العبث .. والسطحية .. واللعب بالنار .! فبينما تهاجم حكومة الأردن « تلك الدعاوى الرائجة اليوم في الأوساط العربية المسؤولة وغير المسؤولة والتي أصبحت في — عرفها — من قبيل « الكليشهات » .. إذ

---

١ — كتيب بعنوان: « الاردن والقضية الفلسطينية والعلاقات العربية ».. صادر عن وزارة الخارجية الاردنية بلا تاريخ ولا اسماء ..

بها – هي – تطوي كل صفحة من كتابها على مجموعة من « الكليشهات » التي لم تستطع حتى اليوم أن تسترد شبراً واحداً من أرض فلسطين . ! والآن .. هل تجهل الحكومة الأردنية أن الاستعمار الأنجلو – أمريكي هو الذي خلق إسرائيل ، وأن هذا الاستعمار – بالذات – هو الذي يحمي إسرائيل ، وأن هـــذا الاستعمار بذاته هو الذي يساهم اليـــوم في نفقات ثلثي الميزانية الأردنية .. ؟!

وإذا كانت الحكومة الأردنية تطالب في منشورها «الأبيض» ، « بوضع فلسطين بمعزل عن المنازعات العربية » ، ألا تراها أولى من غيرها – والحالة هذه – أن ترد الجزء العربي من فلسطين إلى أهله الفلسطينيين العرب ليقرروا مصيره بأنفسهم .. وأن تترك للدول العربية مهمة تشكيل الكيان الفلسطيني الذي سيتولى مسؤولية الكلام باسم شعب فلسطين .. ؟

وما دامت الحكومة الأردنية تؤمن بأن استرداد الحق السليب في فلسطين عملية شاملة تتطلب تعبئة جميع الطاقات من عسكرية ومالية ... وسياسية ..[1] فهل تراها وضعت في حسابها إمكانية تدخل لندن وواشنطن – عند أول بادرة عربية لاسترداد فلسطين ، واعلانها وقف أية معونة مالية أو عسكرية أو معنوية تدفعها لحكومة الأردن ؟

وعندئذ ، ماذا سيكون عليه موقف حكومة عمان ..؟

وما دامت حكومة الأردن تؤمن بوحدة الجهد العربي « واجتناب بعثرته » ، فلماذا سمحت لنفسها بالتدخل الفاضح في طعن الوحدة القائمة بين دمشق والقاهرة .. تلك الوحدة التي أحاطت باسرائيل وأقامت حولها جيشاً عربياً واحداً من الجنوب ومن الشمال ..؟

حقاً .. وكل عربي يشارك حكومة الأردن في أننا « لا نرى في صورة الواقع السياسي العربي الحالي مظاهر تقدير حقيقي لبديهية توحيد الجهد العربي ».

---

١ – نفس المرجع : الكتاب الاردني « الابيض »، ص ٣٤.. بلا تاريخ ولا اسماء ...

بدليـــل ، موقف حكومة الأردن من أكثر من قضية عربية منذ أربع سنوات حتى اليوم ..!

وبعد هذا ، إذا كانت حكومة الأردن لا ترى في الاعتماد على المساعدات المالية الخارجية ، أي عائق في سبيل حرية ذلك البلد ،الذي يتلقى مثل هذه المساعدات ... فاننا نقول أن الحرية تعبير نسبي ليس له حدود ولا ميزان .. فقد لا تمنع هذه المساعدات المالية حكومة الأردن من أن تهتف بحياة الحرية .. مثلا .. أو تطالب بحرية دول افريقيا .. وآسيا .. مثلا .. أو تؤيد دخول « الصين الشعبية » إلى الأمم المتحدة على أبعد تقدير .. ولكن هذه المساعدات لن تسمح للأردن بأن يخطو خطوة واحدة في الاعتداء على العدو المشترك الذي اغتصب منا فلسطين ..

تلك حقيقة لا تغيب عن تقدير وفطنة حكام الأردن ..

ولكنهم – لأكثر من سبب – يتجاهلونها ويغفلونها – عن عمد – عندما تبدأ عمليات المزايدة في بحور العمل السياسي العربي المتخبط ..

ان قيادة معركة العودة ، تفرض أول ما تفرض ، أن يتسلم زمامها – عسكرياً وسياسياً – الأحرار الشرفاء من زعماء العرب . وليس من المنطق في شيء أن نتكلم في الأردن عن حشد القوى العربية في الدنيا العربيـــة الواسعة ، بينما جميع القوى الوطنية في داخل الأردن – نفسه – مجمدة منذ عام ١٩٥٧ ..!

فقد كان نوري السعيد – أيضاً – يتكلم عن وجوب انقاذ فلسطين .!

قال لي في عام ١٩٥٧ عند مقابلتي له في مطار روما وهو ذاهب إلى واشنطن :

– أنا ذاهب لمقابلة الرئيس إيزنهاور لكي أتفق معه على حل « عادل » لقضية اللاجئين الفلسطينيين ..

قلت له : هل تعني حل قضية فلسطين .. يا باشا ..؟

فمد نوري السعيد يده على عادته وراح يلوحها في الفضاء وهو يقول :

– ما فيش فرق .. ما فيش فرق .. لاجئين .. فلسطين .. كله واحد .!

قلت ضاحكاً في ألم : كله عند العرب صابون ... يا باشا .. أليس كذلك ؟!
قال وقد أدرك الغمز : المهم أن تستقر الأوضاع في الشرق الأوسط . ان الشيوعية تستغل قضية اللاجئين ولا نريد لهذه الحال أن تستمر ..

قلت وضحكتي ما زالت باهتة في مرارة :

— أجل .. يجب أن لا تستمر هذه الحالة لكي لا تتمكن الشيوعية من استغلال قضية اللاجئين لمصلحتها ..

وهز الباشا رأسه علامة الموافقة ..

ولم أقل له أن العمل على حل قضية فلسطين يجب أن لا يكون من أجل أحد .. ولا ضد أحد .. ولا وسيلة لخدمة مصلحة أحد .. ولا أسلوباً لتهديد أحد .. بل يجب أن يكون من أجل فلسطين وحدها ، ومن أجل الفلسطينيين وحدهم ..

لم أقل له أن النظر إلى قضية فلسطين من زاوية موسكو أو لندن أو واشنطن هو تهاون وضعف وانحراف ؟؟ فقد كنت أتوقع أن أسمع من نوري السعيد المزيد من رأيه في الحل الذي سيقدمه للرئيس إيزنهاور عند مقابلته له لولا انه — على طريقته الخاصة — عاد يرفع يده في الفضاء ويهز رأسه بعصبية وهو يقول لي :

— اطمئن .. إطمئن ..

ولم أطمئن ..

ولن أطمئن — اليوم — وأشباه نوري السعيد يحاولون حل القضية على مستوى مفهوميتهم ونفسيتهم ووطنيتهم ...

وقد عاد نوري السعيد من رحلته إلى أمريكا ، وقابلته في بيروت وهو في طريقه إلى بغداد .. وقال لي في معرض اشارته للقضية :

— اتفقنـــا ..

قلت : مع من ؟

قال : مع ايزنهاور على أن لا ينقضي عام ١٩٥٨ الا وقد عاد اللاجئون

الى ديارهـــم ! !

قلت : وهل اعلنت هذا الرأي على الصحفيين .؟

قال وهو يضحك : أنت مجنون ؟ لقد سألني الصحيفيون على باب البيت الأبيض وأنا خارج من مقابلة أيزنهاور : هل تريد أن تقول لنا شيئاً ؟ قلت لهم : أجل .. أريد أن أشكر الرئيس أيزنهاور على حسن استقباله لي .. فعادوا يسألون هل نستطيع أن نعرف موضوع الحديث في هذه المقابلة ؟ قلت : أجل .. لقد كان من واجبي وأنا في واشنطن أن أمر على البيت الأبيض وأزور الرئيس زيارة مجاملـــة .!

وراح نوري السعيد يضحك وكأنه استطاع أن يضحك على كل صحفي في العالم ! وسألني :

– ما رأيك ..؟

قلت : لم أفهم شيئاً ..

قال وقد تجهم وجهه : أنت لا يهمك الا أن تعرف الأخبار لكي تنشرها في جرائدك ، ولكن لن اكشف لك شيئاً .. لقد اطلعت السفراء العرب في واشنطن على مضمون المقابلة .. وتستطيع أن تلجأ إلى وسائلك وتحصل على التفاصيل من وزارات الخارجية في بيروت أو عمان أو القاهرة ..

وهكذا كان نوري السعيد يفهم اسلوب الحل العادل السريع الفعال لقضية فلسطين ..

ترى ، هل انقضت أو انقرضت مدرسة نوري السعيد في هذا الاتجاه الممزوج بالسذاجة والانحراف .. ؟

لا أظن ..

فقد يكون من الصعب علينا أن نرمي التراب على مثل هذا التفكير وندفنه إلى الأبد .. وقد يكون من الصعب علينا أن نقنع « المسالمين » بفائدة العنف ، أو نقنع المعتدلين بفائدة التطرف أو نقنع الدبلوماسيين بفائدة عدم الدبلوماسية .. وقد يظن الناس أننا نهذي عندما نقول لهم: « اضربوهم قبل

أن يضربوكم .. واقضوا عليهم قبل أن يقضوا عليكم ».! قد لا يصدقنا أحد عندما نقول أن إسرائيل لم تخفض قيمة عملتها بمعدل ٧٠ في المائة ، الا لكي تربط مصيرها الاقتصادي بمصير السوق الأوروبية المشتركة .. القادمة .. وأن هذه الدولة — ستنضم حتماً — وفي الوقت المناسب إلى هذه السوق التي ترى فيها « مسألة حياة أو موت » كما قال السفير الاسرائيلي ورئيس وفد إسرائيل الدائم لــدى السوق الأوروبية المشتركة في بروكسل ...

لن يصدقنا أحد لو قلنا أن عدد اللاجئين — بلا جنسية ولا وطن ولا أهل ولا عمل — قد زاد في عام « واحد » فقط ٣٢ ألف لاجىء .. وأن من يبلغ عمرهم بين ١ — ١٥ سنة يمثلون ٣٩ في المائة أي ٤٥٢٦٠٤ لاجىء .. وأن ما يزيد عمرهم عن ١٥ سنة يشكلون ٥٩ في المائة ، أي حوالي ٦٩٣ ألف و ٨٩٦ لاجىء .!!

لن يصدقنا أحد لو قلنا أن الاخطبوط الصهيوني قد تسلط على جميع أجهزة الدعاية والنشر في أيطاليا ، فخصصت له أغنى دار للنشر في ايطاليا المسماة « موندادوري » التي اصبحت تصدر كتاباً في كل اسبوع عــن الصهيونية .. واستسلم له أشهر كتاب إيطاليا « البرتو مورافيا » وكذلك « كارلو لافي » .. وجوليو بنداتي .. وأميلو سارفاديو .. وألدومساغرا ومدام روفيني .. وان أكثر من عشرة كتب صدرت باللغة الايطالية دفاعاً عن عملية خطف الزعيم النازي « أدولف ايخمان » .. وأكثر من عشرين كتاب باللغة الايطالية صدرت عن إسرائيل في عامين اثنين فقط — وأن الرأي العام الايطالي بأسره قد أصبح لا يعرف من وجهة النظر العربية سوى ما يقوله ، عنا ، أعداؤنا .. وأن ايطاليا الرسمية والتجارية والصحفية قد تحولت إلى معسكر كبير يستثمره أعداؤنا .. ضد كل عربي .!

لن يصدقنا أحد لو قلنا أن مجال العمل المثمر الواسع في الدنيا « الألمانية » ضد العدو وفي جميع الميادين ، ما زال واسعاً ينتظر من يملأ الفراغ ..

ويعمل .. وأن آمال اليهود في محاولة كسب ود الشعب الألماني ، لم تتحقق ، وانه لولا الضغط الأمريكي على ألمانيا لأصبح كل ألماني .. « أدولف ايخمان » و « تيودور أوبرلندر » .. و «لودفيج زند » .. وانه من واجب كل عربي أن يتحسس طريقه في إمكانية استغلال هذا العداء لمصلحة العرب ضد عدو غادر لئيم ..

ولكن نرجو أن يصدقنا كل عربي عندما نقول :

أولاً — ان إسرائيل قد اعتدت على سوريا خلال خمسة شهور فقط من عام ١٩٦٢ أكثر من ٧٠ مرة ..

ثانياً — ان إسرائيل قد اعتدت على الأردن خلال الشهور الخمس الاولى من عام ١٩٦٢ أكثر من ٧٧ مرة ..!

ثالثاً — ان إسرائيل قد اعتدت على لبنان في الأشهر الخمس الأولى من عام ١٩٦٢ أكثر من ٢٥ مرة .!

رابعاً — ان القناة الفرعية التي ستحمل مياه نهر الأردن إلى مكان المضخات قد انتهت .! انها تبدأ بمجرى النهر وتنتهي في مكان « تل الملاحة » .. انها لم تصل بعد إلى حوض النهر — بالذات — ولكن ذلك لا يحتاج إلى أكثر من عمل بسيط يستغرق نصف يوم .! ان العدو قد أقام مضخات هائلة لدفع المياه إلى سهل « الباطوف » حيث أقام البحيرة الاصطناعية كما أنشأ سداً في جنوبي بحيرة الحولة للسيطرة على مياه النهر في البحيرة المجففة وتحويلها إلى المجرى الجديد .. كما بنى « نفقاً » طوله حوالي ألف وثمانمائة متر لنقل المياه من البحيرة إلى سهل بيسان ، ونفقاً آخر في الجبل طوله ثمانية كيلومترات لنقل المياه من النفق الأول إلى الساحل ...!

خامساً — ان بن غوريون ما زال يردد الكلمة التي قالها أمام المؤتمر الصهيوني العالمي ، مساء يوم ٢٨ — ١٢ — ١٩٦٠ ، في مدينة القدس ، من « أن كيان إسرائيل ، والكيان اليهودي في سائر الأقطار يتوقفان على

تزايد الهجرة إلى إسرائيل ، وإن كل يهودي لا يهاجر إلى إسرائيل يعد مخالفاً لتعاليم اليهودية وخارجاً على أحكام التوراة » !

سادساً – ان ميزانية الوكالة اليهودية التي تبلغ حوالي ٢٧٠ مليون ليرة إسرائيلية ، قد زادت في عام ١٩٦٢ بنسبة ٩٠ مليون ليرة عن ميزانية عام ١٩٦١ ، لمواجهة تيار الهجرة اليهودية الجديدة ..

سابعاً – ان الهجرة بلغت في معدلها عام ١٩٦٠ و ١٩٦١ و ١٩٦٢ حوالي مائة ألف مهاجر – تقريباً – في العام .. يوزع منهم حوالي ٥٥ في المائة على مناطق « التنمية » في صحراء النقب .. وجبال الجليل الغربي .. على حدود مصر .. وسوريـــا .. !

ثامناً – لا يكاد يمضي شهر واحد من حياة إسرائيل الداخلية دون أن تتعرض الدولة إلى هزات وأزمات عمالية .. ومالية ، واجتماعية وسياسية. ففي ٨ – ١ – ٦٢ أضرب ثلاثة آلاف موظف في حكومة العدو .. وفي ١١ – ١ – ٦٢ أضرب ستة آلاف مهندس من مهندسي العدو .! وفي ٢٣ – ١ – ٦٢ أضرب خمسة آلاف نقابي من رجال نقابات العدو .! وفي ١ – ٢ – ٦٢ أضرب أربعمائة موظف من موظفي بلديات العدو .! وفي ٣ – ٢ – ٦٢ تظاهر ألفا شخص من أنصار عصبة «مكافحة السيطرة الدينيـــة» وفي ١٢ – ٣ – ٦٢ وقع اشتباك بين رجال البوليس وخمسمائة من متعصبي اليهود .! وفي ٩ – ٣ – ٦٢ أضرب عمال وموظفو شركة الطيران اليهودية « ايلعال » ! وفي ٢١ – ٢ – ٦٢ أضرب موظفو البريد في إسرائيل عن العمل .! وفي ٢٩ – ٣ – ٦٢ تظاهر أهالي مستعمرة « رمات جان » ضد السياسة الاقتصادية .! وفي ١٢ – ٣ – ٦٢ تظاهرت النساء الاسرائيليات ضد ارتفاع الأسعار والحاجيـــات . ! وفي ١٨ – ٥ – ٦٢ قامت الضجة حول قانون البحارة وأجور عمالها ..!

تاسعاً – ان إسرائيل تلقت منذ قيامها عام ١٩٤٨ ، حتى اليوم ، حوالي ثلاثة

آلاف مليون دولار كمساعدات من أمريكا ودول الغرب[1] .. ومع ذلك ما زالت مفلسة ...!

عاشراً — ان إسرائيل تلقت من الولايات المتحدة الأمريكية وحدها خلال ١٢ سنة الماضية حوالي ١٢٥٠ مليون .. وما زالت تطلب المزيد ..[2]

أحد عشر — صرح وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي بأن الأموال الأجنبية الموظفة في إسرائيل عام ١٩٦١، تقدر بحوالي « ١٥٨مليون » دولار ، بينما كانت هذه الأموال في عام ١٩٦٠ حوالي « ١٠٥ ملايين » دولار فقط . كما قال أن الأموال المحولة إلى الخارج من إسرائيل والمتضمنة الفوائد والأرباح المستحقة على الأسهم ورؤوس الأموال المعادة إلى أهلها وبلادها الأصلية قد ارتفعت من ٢,٥ مليون دولار إلى ٨ مليون دولار في عام ١٩٦١ ..

ثاني عشر — استمرت الواردات إلى إسرائيل في ارتفاع خلال عام ١٩٦٢ بينما هبطت صادرات البرتقال والحمضيات بمقدار ١٠٥ آلاف طن ..

ثالث عشر — أعلن حاكم مصرف إسرائيل أن الأهداف التي ترمي إليها السياسة الاقتصادية الجديدة في إسرائيل ، هي تدعيم الاقتصاد الاسرائيلي وذلك بتعديل نظام الأسعار وإلغاء التفرقة في أسعار النقد .. وكذلك الانتماء الى السوق الدولية وزيادة طاقة الاقتصاد الاسرائيلي على المنافسة والوصول إلى مرحلة الاستقلال الذاتي الاقتصادي على طريق المساواة بين الصادرات والواردات ..

رابع عشر — ارتفعت ميزانية إسرائيل لسنة ١٩٦٢ إلى أربعمائة وأربعين

---

١ — مجلة « نيو تايمز » السوفييتية بتاريخ ٢٠-٤-٦٢ ..
٢ — جريدة « لامرحاب » اليهودية ..

مليون جنيه استرليني أي حوالي ١٨٧٦ مليون ليرة إسرائيلية بزيادة « ١٨٧ مليون » ليرة اسرائيلية منها ١٣٤ مليون ليرة إسرائيلية زيادة في دخول الضرائب[1]. وقد نصت الميزانية الجديدة ٦١ ـ ١٩٦٢ على أن هنالك في باب الواردات مبلغ ٢٩٨ مليون ليرة من واردات خارجية ـ« **غير محددة** »ـ كما نصت الميزانية في باب المصروفات على مبلغ ٤٩٣ مليون ليرة إسرائيلية للدفاع ، أي بنسبة٢٦ في المائة من النفقات وأن هناك مبلغ ٢٩٩ مليون ليرة إسرائيلية رصدت في باب « **خدمات خاصـــة** » .. ؟!

خامس عشر ـ ان عملية « تهويد » منطقة الجليل تسير على قدم وساق ومعنى هذا أن العرب سيواجهون مشكلة « لاجئين » في صورة جديدة ، بضحايا جدد .! والمعروف أن « الأمم المتحدة » قد احتفظت بمنطقة الجليل للعرب في مشاريعها المختلفـــة ...

سادس عشر ـ خصصت الوكالة اليهودية في ميزانيتها الجديدة لعام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ والبالغة «٣٧٠ مليون و٩١٠ آلاف» ليرة إسرائيلية حوالي «٤٢ مليون و ٨١٦ » ألف ليرة إسرائيلية لعمليات الهجرة اليهودية إلى إسرائيل خلال هذا العام .. بزيادة ٢٧ مليون ليرة عن العام الماضي .

وبعد ..

هذه خطوط متشابكة متقاطعة للصورة التي انتهت اليها دولة الاعداء ..
وبعض هذه الخطوط .. أسود مظلم ..
وبعض هذه الخطوط .. أبيض له معنى واضح صريح ..
ولكنها دون استثناء خطوط مفتعلة ، مصطنعة يجب أن نمسحها من

---

١ ـ كتاب اسرائيل السنوي : ص ١٣٩ و ١٤٠ عام ١٩٦٢ .

خريطة الأرض العربية ..

– كيف .. ؟

– بالقوة .. !

وإذا كانت إسرائيل تؤكد بأنها تستطيع أن تعبىء ثلاثمائة ألف جندي وتدفعهم إلى المعركة في خلال ٢٤ ساعة .. فإننا لا نرى في مثل هـذا العمل أكثر من تعطيل كل سيارة في إسرائيل وتوقف كل مصنع في إسرائيل .. إذ ستكون تلك السيارات ، وسيكون هؤلاء العمال من ضمن من ستشملهم عملية التعبئـة ..

وإذا كانت إسرائيل تفخر بقوة دفاعها ، فإن ضرب المناطق اليهودية المكتظة بالسكان، ولو لمرة واحدة، كفيل بأن يدفع مئات الآلاف مـن هؤلاء السكان إلى الهروب وبالتالي إفساد كل خطة داخلية دفاعية في إسرائيل عن طريق خلق الفوضى ، والذعر ، والخراب في صفوف العدو . !

ان إسرائيل لا تخشى أكثر من الأسلوب الحربي الذي تبنته بنفسها في معركة ١٩٤٨ – ١٩٤٩ . ! أسلوب : « أضرب واهرب » مع ما يرافق ذلك من عمليات نسف .. وإرهاب ... وفدائيين .. بحيث لا يبقى جسر ، ولا نفق ، ولا خط حديد .. ولا اذاعة .. ولا خزان مياه .. ولا محطة توليد الكهرباء .. ولا مصنع .. ولا مخازن للاكل .. إلا وتتعرض للضرب ، والنسف والخراب . !

وبعد هذا .. يجب أن نعبر الحدود بمعدات « للاذاعة » تقوم بتوجيه النداءات المتتالية باللغة العبرية إلى الشعب اليهودي في داخل إسرائيل .. مع توزيع أكبر عدد من المنشورات السرية ، والمنتظمة ، على أكبر عدد في أكبر جزء من أجزاء الوطن المغتصب .. بمختلف الوسائل ..

هل نكمل الخطة .. ؟

لا ..

بل سننفذها قبل أن ننشرها .. سيقرأها العالم « كعمل » قد تم وواقع

أصبح حقيقة قبل أن يقرأها العدو كانــذار يمكن أن يتخذ حياله الأجراء الــلازم ..

وعندما يسألني أبناء وطني :

– إلى أين .. ؟

أقول لهم :

– إلى أرضكم الطاهرة .. إلى مزارعكم الندية .. إلى مساجدكم العمرية .. إلى مدنكم الأبية .. إلى دينكم ودنياكم ومعنى وجودكم .. إلى بيوتكم وقبوركم وبعثكم .. إلى فلسطين !

ويسألني أهل بلدي :

– كيف نبدأ ..؟

أقول لهم : بمثل ما ابتدأتم بالأمس .. ومن النقطة التي انتهيتم إليها .. أعبروها من البحر كما عبرها أعداؤكم .. أزحفوا إليها على بطونكم .. على وجوهكم .. على دمائكم .. وإذا تعذر عليكم السلاح أقتلوهم بأسنانكم وإذا فقدتم البندقية أضربوا بالسلاح الأبيض ، وإذا سقطتم على أرضها اهتفوا بحياتها ، وعندئذ ، ستعود إليكم وإليها ، نسمات الحياة ..

ويسألني أهل بلدي :

– وهل نبدأ لوحدنا ..؟

أقول لهم : أجل .. ومعكم الله .. والبحر .. والرمال .. ومليون لاجيء سيأتي إليكم بروح « الفدائي » عندما تطلقون الشرارة الأولى ..

ويسألني أبناء وطني :

– ومتى نبدأ ..؟

أقول لهم :

– متى تشاؤون .. الأمر بيدكم وحدكم .. المعركة معرككتكم .. والقضية قضيتكم .. والشرف شرفكم .. والمصير مصيركم .. ومعركة الفداء لا وقت لها ولا حد .. في الليل وفي النهار .. في السر وفي العلانية .. في البر

وفي البحر .. في الصيف وفي الشتاء .. اليوم وغدا .. وبعد غد ..

ويسألني أهل بلدي :

– وهل كتب علينا أن نخوض المعركة وحدنا ..؟

أقول لهم : أجل .. ان العدو أمامكم .. وبينكم وبين أرض الثورة والعروبة « والامكانيات » القادرة على أن تعمل شيئا ، من خلفكم ، وبجواركم شريان حياة ، كبير ، هائل ، جبار ، ينادي بأنه « شعب عربي ، ومصيره يرتبط بوحدة مصير الأمة العربية .. » وانه شعب يصر على « تصفية العدوان الاسرائيلي على جزء من فلسطين » لأنه يؤمن بأن في هذا تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب[1]، كما أن لكم تحت كل سماء عربي أكثر من شعب ، وأكثر من صوت ، وأكثر من سيف ..

ويا أهل فلسطين ..

– إن لم تعيدوها أنتم .. لن تعودوا .. ولن تعود ..

---

١ – الميثاق ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ ص ١١٧ .

للـــذكرى ..

بتاريخ ٢٢ – ٦ – ١٩٢٢ ، أصدرت الحكومة البريطانية كتاباً أبيض اشتمل على الدستور المقترح لفلسطين وعلى السياسة العامة التي تعتزم حكومة الانتداب اتباعها . وكان هذا الدستور والسياسة العامة مبنيين على أساس وعد بلفور ، كما نص الكتاب الأبيض على انشاء مجلس تشريعي يضم اثنـين وعشرين عضواً ، منهم عشرة أعضاء من الموظفين الانجليز يعينهم المندوب السامي البريطاني ، وثمانية أعضاء تنتخبهم الطائفة الاسلامية وعضوان تنتخبهما الطائفة المسيحية ، وعضوان تنتخبهما الطائفة اليهودية . ويرئس هذا المجلس ، المندوب السامي البريطاني ، وتكون توصيات المجلس استشارية وغير ملزمة للسلطات التنفيذيـة .

وعلى أثر صدور هذا الكتاب عقد العرب مؤتمراً شعبياً في مدينة نابلس في شهر أغسطس سنة ١٩٢٢ . وقد أسفر هذا المؤتمر عن القرارات الآتية :

١ – ان الشعب العربي الفلسطيني يطالب بالاستقلال التـام تنفيذاً لحقه في الاستقلال حسبما جاء في مبادىء الرئيس ولسن ، وفي المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم ، واستناداً للوعود التي قطعتها الحكومة البريطانية

للشريف حسين باستقلال البلاد العربية التي اشتركت مع الحلفاء.

٢ - ان الدستور المقترح والمجلس التشريعي المزمع تشكيله، بنيا على أساس وعد بلفور، وقيام الانتداب على فلسطين الذي يضمن انشاء الوطن القومي اليهودي، وان الموافقة على هذه المقترحات تعني الاعتراف بهذه الامتيــازات ..

٣ - ان الكتاب الأبيض وما احتواه من اقتراحات وضع بمعرفة المندوب السامي البريطاني الأول في فلسطين السير هيربرت صموئيل (وهو يهودي الأصل) بالاشتراك مع المستشار القضائي والنائب العام البريطاني نورمان بنتوتس (وهو يهودي الأصل أيضاً) وبعد عرضه والموافقة عليه من قبل اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصهيوني العالمي.

٤ - ان نسبة التمثيل المقترحة لعضوية المجلس التشريعي لا تمثل النسبة الصحيحة للسكان، لأن نسبة العرب كانت آنــذاك ٩١٪ مــن مجموع السكان.

٥ - ان توصيات هذا المجلس استشارية وغير ملزمة التنفيذ من قبل الادارة

٦ - وبتاريخ ٢٤ - ٧ - ١٩٢٢، قررت عصبة الأمم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني وأقرت صك الانتداب الذي وضعته الحكومــة البريطانية بالاتفاق مع المنظمات الصهيونية، التي كان يمثلها آنذاك اليهودي الأمريكي المستر «بنيامين كوهين»، الذي اشترك مع وزارة الخارجية البريطانية في وضع صيغة نهائية لصك الانتداب والذي نصت معظم مواده على انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وتثبيت هذا الحق كما يتضح من نص المواد الآتية من صك الانتداب وهي :

المادة الاولى : يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والادارة

باستثناء ما يكون قد قيد منها في نصوص هذا الصك.

المادة الثانيــة : تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي بحسب ما جاء بيانــه في ديباجة هذا الصك وترقية مؤسسات الحكم الذاتي ، وتكون مسؤولة أيضاً عن صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الجنس أو الدين.

المادة الرابعة : يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى ادارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في انشاء الوطن اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد ، على أن يكون ذلك خاضعاً دوماً لمراقبة الادارة ، وليعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ما دامت الدولة المنتدبة ترى أن تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض. ويترتب على الجمعية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي.

المادة السادسة : على ادارة فلسطين ، مع ضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع جميع فئات الأهالي الأخرى، أن تسهل هجرة اليهود في أحوال ملائمة ، وأن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار إليها في المادة الرابعة، حشد اليهود

في الأراضي بما فيها الأميرية والأراضي الموات غير المطلوبة للمقاصد العموميـــة .

المادة السابعة : تتولى ادارة فلسطين مسؤولية سن قانون الجنسية . ويجب أن يشمل ذلك القانون على نصوص تسهل إكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون فلسطين مقراً دائماً لهـــم .

المادة الحاديةعشر : تتخذ ادارة فلسطين جميع ما يلزم من التدابير لصون مصالح الجمهور فيما يتعلق بترقية البلاد وعمرانها،ويكون لها السلطة التامة لوضع ما يلزم لاستملاك أي مورد من موارد البلاد الطبيعيـة أو الأعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة في البلاد أو التي ستؤسس فيما بعد أو السيطرة عليها بشرط مراعاة الالتزامات الدولية التي قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها . ويترتب عليهـــا أن توجد نظاماً للأراضي يلائم إحتياجات البـــلاد مراعية في ذلك ضمن الأمور الأخرى الرغبة في تشجيع حشد السكان في الأراضي وتكثيف الزراعة . ويمكن لادارة البلاد أن تتفق مع الوكالة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على أن تقوم هذه بإنشاء أو تسيير الأشغال والمصالح والمنافع العمومية وترقية مرافق البلاد بشروط عادلة منصفة ما دامت الادارة تتولى هذه الأمور بنفسها مباشرة ، غير أن كل اتفاق كهذا يجب أن يشترط فيه أن لا تتجاوز الارباح التي توزعها الوكالة بطريقة

مباشرة أو غير مباشرة مقدار الفائدة المعقولة التي يعود بها رأس المال المستثمر ، وأن كل ما يزيد على هذه الفائدة من الأرباح يجب أن يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذي توافق عليه الادارة .

المادة الرابعة عشرة : تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتحديد وتقرير الحقوق والادعاءات المتعلقة بالأماكن المقدسة، والحقوق والادعاءات المتعلقة بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين . وتعرض طريقة اختيار هذه اللجنة وقوامها ووظائفها على مجلس عصبة الأمم لإقرارها ، ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها دون موافقة المجلس المذكور .

المادة الثانية والعشرون : تكون اللغات الانجليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية لفلسطين وكل عبارة أو كتابة بالعربية وردت على طوابع أو عملة تستعمل في فلسطين يجب أن تكرر بالعبرية وكل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب أن تكرر بالعربية .

المادة الرابعة والعشرون : تقدم الدولة المنتدبة إلى مجلس عصبة الأمم تقريراً سنوياً بصورة تقنع المجلس يتناول التدابير التي اتخذت أثناء السنة لتنفيذ نصوص الانتداب .. وترسل نسخاً من جميع الأنظمة والقوانين التي تسّن أو تصدر أثناء السنة مع التقرير .

المادة الخامسة والعشرون : يحق للدولة المنتدبة بموافقة مجلس عصبة الأمم ان ترجىء أو توقف تطبيق ما تراه من هذه النصوص غير قابل التطبيق على المنطقة الواقعة ما بين نهر الأردن والحد الشرقي في فلسطين كما سيعين فيما بعـــد ، بالنسبة للأحوال المحلية السائدة في تلك المنطقة وأن تتخذ مـا تراه ملائماً من التدابير لإدارة تلك المنطقة وفقاً لأحوالها المحلية الحاضرة ، بشرط أن لا يؤتى عمل لا يتفق مع أحكام المواد ١٥ ، ١٦ ، ١٨ .

تودع الصورة الأصلية لهذا الصك في دائرة محفوظات عصبة الأمم ، وترسل صورة مصدقة منه بواسطة السكرتير العام لعصبة الأمم ،إلى جميع أعضاء العصبـــة .

حـــرر في لندن بتاريخ ١٤ يوليو سنة ١٩٢٢

فلسطين في بروتوكول الاسكندرية :

« ترى اللجنة أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية ، وأن حقوق العرب لا يمكن أن تمس من غير أضرار بالسلم والاستقرار بالعالم العربي ، كما ترى اللجنة أن التعهدات التي ارتبطت فيها الدولة البريطانية ، والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الأراضي العربية والوصول إلى استقلال فلسطين ، هي من حقوق العرب الثابتة ، التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب ونحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار » وتعلن اللجنة أنها ليست أقل تألماً من أحد لما أصاب اليهود في أوروبا مـــن

الويلات والآلام على يد بعض الدول الأوروبية الديكتاتورية ، ولكن يجب ألا يخلط بين مسألة هؤلاء اليهود وبين الصهيونية إذ ليس أشد ظلماً وعدواناً من أن تحل مسألة يهود أوروبا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف أديانهـــم » .

فلسطين في ميثاق الجامعة العربية :

« منذ نهاية الحرب العالمية الأولى سقطت عن البلاد العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية ، ومنها فلسطين ، ولاية تلك الدولة وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأية دولة أخرى . وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب الشأن فيها . وإذا لم تكن فلسطين قد مكنت من تولي أمورها فان ميثاق العصبة في سنة ١٩١٩،لم يقرر النظام الذي وضعه لها إلاّ على أساس الاعتراف باستقلالها . فوجودها واستقلالها الدولي من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه ، كما أنه لا شك في استقلال البلاد العربية الأخرى . وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلاً دون اشتراكها في أعمال مجلس الجامعة . ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظراً إلى ظروف فلسطين الخاصة ، وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً ، أن يتولى مجلس الجامعة أمر أختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعمالـــه .. »

قرارات مؤتمر أنشاص :

« ان فلسطين قطر عربي لا يمكن أن ينفصل عن الأقطار العربية الأخرى ، إذ هو القلب في المجموعة العربية ، وان مصيره منوط بمصير دول الجامعة كافة ، وان ما يصيب عرب فلسطين يصيب شعوب الجامعة العربية ذاتها ،

وان الصهيونية خطر دائم ليس على فلسطين وحدها بل على البلاد العربية والشعوب الاسلامية جميعاً ، وان أقل ما ترتضيه في سبيل حماية فلسطين هو ، وقف الهجرة الصهيونية وقفاً تاماً ، ومنع تسرب الأراضي العربية إلى الصهيونيين منعاً باتاً، والعمل على تحقيق إستقلال فلسطين . وتشكيل حكومة فيها تضمن حقوق جميع سكانها الشرعيين من غير تفريق بين عنصر ومذهب ، وان الأخذ بتوصيات لجنة التحقيق تعتبره دول الجامعة عملاً عدائياً موجهاً ضدها ، وانه ليقتضي أن تتخذ كل الوسائل الممكنة للدفاع عن كيان فلسطين الذي هو جزء لا يتجزأ من كيان البلاد العربية الأخرى .

ان قضية فلسطين ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم بل هي قضية العرب جميعاً ، وان فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها ، وإنه ليس في امكان هذه الدول أن توافق بوجه من الوجوه على أي هجرة جديدة ، ويعتبرون ذلك نقضاً صريحاً للكتاب الأبيض الذي ارتبط به الشرف البريطاني . ولهم عظيم الأمل ألاّ يعكر صفو علائق المودة بين الدول والشعوب العربية من جهة والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين من جهة أخرى ، أي تشبث من جانبهما يرمي الى إقرار تدابير ماسة بحقوق العرب في فلسطين ، حرصاً منهم على دوام هذه الصداقة وتفادياً لرد فعل ينشأ بسبب ذلك ويفضي إلى اضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر على السلم العـــام .

قرارات مؤتمر بلودان العلنية في ٨ يونيه ١٩٤٦ :

بعد المقدمات أوصى مجلس جامعة الدول العربية بما يلي :

أ ــ نقد لجنة التحقيق وتحيزها وتواصيها في مذكرة الجامعة العربية ، ومن كل حكومة عربية على انفراد ، الى الحكومتين الأمريكية والانكليزية .

وقد قدمت المذكرتان وفيهما تفنيد لتوصيات اللجنة واعتبار الأخذ بها عملا غير ودي موجهاً الى الحكومات العربية ، يقصد به القضاء على كيان الشعب العربي الفلسطيني ، ويعرض البلاد الى مشاكل لا حد لنتائجها وإلى اضطرابات تعكر صفو السلم والعلاقات الطيبة بين أمريكا وانجلترا وبين البلاد العربية .

ب- طلب المفاوضة مع الحكومة البريطانية لأجل انهاء الحالة الحاضرة في فلسطين ، حتى إذا لم تنته المفاوضة مع بريطانيا إلى حل مرض ، عرضت القضية على هيئة الأمم المتحدة ، لأن ميثاقها يقضي بألا يرفع إليها من المسائل إلاّ ما يتعذر حله مباشرة حلاً سلمياً .

جـ- انشاء مكاتب للمقاطعة في كل دولة ، ومنع تصدير المواد الأولية المساعدة للانتاج اليهودي ، واتخاذ الاجراءات الجمركية الكفيلة بالتأكد من جنسية البضائع المستوردة ، ومقاطعة المؤسسات الصهيونية كالمصارف والشركات والوكالات والبيوت التجارية ووسائل النقل والمقاولين والخبراء اليهـود .

د- وضع تشريع في كل دولة عربية يعتبر بموجبه بيع العقار من الصهيونيين وتهريب اليهود إليها ، والمساعدة على ذلك ، جرماً جنائيــاً .

هـ- رفض أي شكل من أشكال التقسيم من حيث المبدأ كحل للقضيــة الفلسطينيــة .

و- انشاء لجنة دفاع عن فلسطين في كل دولة ، واصدار طابع باسم فلسطين يرصد ريعه للقضية الفلسطينية .

قرارات مؤتمر عاليه ـ لبنان :

وفي ٧ اكتوبر، انعقد مجلس الجامعة العربية في عاليه (لبنان) وبعـد المذاكرة قرر مجلس الجامعة العربية بالاجماع :

أولا ـ مقررات بلودان السرية واجبة التنفيذ في حالة تطبيق أي حل من شأنه أن يمس حق فلسطين في أن تكون دولة عربية مستقلة .

ثانيـاً ـ بالنسبة إلى قرار الحكومة البريطانية المعلن أخيراً عن عزمها على التخلي عن انتدابها على فلسطين وجلائها عنها مع قواتها العسكرية وجهازها الاداري ، ونظراً لوجود القوات الصهيونية ومنظماتها الارهابية التي تهدد سلامة العرب في فلسطين ، فان الحالة تستلزم من جانب دول الجامعة العربية اتخاذ احتياطات عسكرية على حدود فلسطين .. ولهذا يوصي المجلس الدول العربية بأن تبادر إلى اتخاذ هذه الاحتياطات العسكرية على أن تيسر الدول المتاخمة لفلسطين سبيل الاشتراك والتعاون في هذا الواجب بالاتفاق بينهما ؛

ثالثاً ـ يوصي المجلس دول الجامعة بالمبادرة إلى اداء المساعدات الماديـة والمعنوية إلى العرب في فلسطين لتقويتهم وتعضيدهم في الدفاع عن أنفسهم وعن كيانهم وأن ترصد دول الجامعة من فورها الأموال اللازمـة لذلك .

وقد تقرر تأليف لجنة عسكرية لتهيئة وتنظيم وسائل الدفاع وتدريب الفلسطينيين وتجنيدهم ، كما تقرر حشد قطع من الجيوش المصرية والسورية واللبنانية والأردنية والعراقية على حدود فلسطين .

قرارات مؤتمر صوفر :

دعت الجامعة العربية إلى جلسة عاجلة للجنتها السياسية في صوفر ، يوم ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧ ، لبحث تقرير لجنة التحقيق الدوليـــة وتحديد موقف الدول العربية منه ومن قضية فلسطين ، وبعد البحث أتخذ المجتمعون ، وهم ممثلو جميع الدول العربية وممثل فلسطين القرار التالي :

أولا — ترى اللجنة السياسية أن مقترحات لجنة التحقيق تنطوي على اهدار فاضح لحقوق عرب فلسطين الطبيعية في الاستقلال ، كما تنطوي على خرق لجميع العهود التي قطعت للعرب ، ولذات المبادىء التي تقوم عليها منظمة الأمم المتحدة . وهي ترى في تنفيذ هذه المقترحات خطراً محققاً يهدد أمن فلسطين والأمن والسلام في البلاد العربية جمعاء ، ولذلك فقد وطدت العزم تحقيقاً لاستقلال فلسطين وحريتها ودفاعاً عن كيان الدول العربية ، على أن تقاوم بجميع الوسائل العملية الفعالية تنفيذ هذه المقترحات وتنفيذ كل تدبير آخر لا يحقق استقلال فلسطين كدولة عربيـــة .

ثانيـا — لقد سبق لحكومات الدول العربية أن حذرت لجنة التحقيق مـــن مغبة التوصية بإقامة دولة يهودية في فلسطين ، وكاشفتها بمـــا سيؤدي إليه ذلك حتماً من اضطرابات تعم الشرق الأوسط بأسره وذلك أن عرب فلسطين لن يسلموا بأي تدبير من شأنه أن يقضي على وحدة بلادهم واستقلالهم ، بل أنهم سيعلنون حرباً لا هوادة فيها لدفع ذلك العدوان عن بلادهم ، ولا سيما أنهم يعرفون أن البلاد العربية جميعاً ستقف من ورائهم تناصرهم وتمدهم بالرجال والمال والعتاد للدفاع عن كيانهم . وأن الحكومات العربية نفسها لا تستطيع أن تكبت شعور شعوبها الثائرة من جراء الظلم الواقع

عليها ، ولا أن تقف مكتوفة الأيدي أمام خطر يهدد البلاد العربية جميعها ، بل أنها ستضطر إلى مباشرة كل عمل حاسم يكون من شأنه أن يدفع العدوان ويعيد الحق إلى نصابه . ولن يكون مثل هذا الموقف من جانب الشعوب العربية أو حكوماتها أمراً شاذاً ، بعد أن ثبت لديها في مناسبات عديدة أن الصهيونيين يعتمدون في تسلحهم وحركاتهم الارهابية ونشاطهم الحربي للتنكيل بعرب فلسطين ، على مساعدة مادية ومعنوية تقدمها لهم بعض الحكومات الأجنبية وبعض الهيئات والمنظمات التي تشجعها تلك الحكومات الأجنبية وذلك فضلاً عن أن مسألة نزع السلاح من اليهود ، ومقاومة نشاطهم الارهابي ، قد كان موضع طلبات واحتجاجات متكررة من جانب الحكومات العربية الآنفة الذكر ، من غير أن تكلل هذه المساعي بأية نتيجة حاسمة .

ولذلك ترى اللجنة أن تكاشف الشعوب العربية جميعاً بحقيقة المخاطر التي تحيط بقضية فلسطين ، وأن تدعو كل عربي إلى أن يقدر خطورة هذه المخاطر ، وأن يقدم لفلسطين كل ما في وسعه من معونة وتضحية . وقد اتخذت اللجنة من جانبها من التدابير الفعالة ما يكفل تحقيق الأهداف العربيـــة .

ثالثاً ـ قررت أرسال مذكرة إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا ، تعلمهما بأن كل قرار يتخذ في فلسطين من غير أن ينص على قيام دولة عربية مستقلة فيها يهدد بإثارة اضطرابات خطيرة في الشرق الأوسط ، وأن الدول العربية عازمة على تأييد عرب فلسطين في كل ما يقومون به عندئذ من أعمال في سبيل الدفاع عن عروبـــة وطنهم وحريتهم .

وأسرعت كل حكومة عربية بعد ذلك بارسال مذكرة في هذا الخصوص وبنص واحد جاء فيهـــا :

« بما أن لجنة التحقيق قدمت مقترحات تهدم في مجموعهـــا وفي مفرداتها استقلال فلسطين كدولة عربية ، فان عرب فلسطين وأهل البلاد العربية جميعاً يستنكرون هذه المقترحات ويرفضونها من أساسها ، ويعلنون من الآن ، انه ليست هناك سلطة شرعيـــة تملك أن تقتطع جزءاً من فلسطين العربية وتمنحه للصهيونيـــة لتقيم فيه دولة يهودية . كما يعلنون أنه ليست هناك سلطة شرعية تملك أن تجيز غزو فلسطين بقوم من اليهود لا صلة ولا حق لهم في دخولهـــا . ثم قالت المذكرة :

« وترى الحكومة أن من واجبها أن تبصر حكومتكم بالخطر المحدق فعلاً بالأمن والسلم في الشرق الأوسط وتحملها مسؤولية كل ما يمكن أن يتمخض من أحداث إذا ما اتخذ أي قرار من شأنه أن يمس حق فلسطين في أن تكون دولة عربية مستقلـــة . »

رابعا — قررت اللجنة تأليف اللجنة الفنية العسكرية من مندوبين عسكريين عن الدول العربية ، أوكل إليها دراسة جميع النواحي العسكرية في فلسطين للعرب واليهود ، وتقديم التوصيات لمجلس الجامعة على ضوء الاحتمالات الممكنة الوقوع بعد انسحاب القوات البريطانية مـــن فلسطين .

نص قرار الجمعية العامة

للأمم المتحدة بالموافقة على مشروع تقسيم فلسطين
بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبـــر) ١٩٤٧

ان الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة ، بعد أن عقدت دورة خاصة بناء على طلب الدولة المنتدبة - بريطانيا - للبحث في تشكيل وتحديد صلاحية لجنة خاصة يعهد اليها بتحضير اقتراح للنظر في مسألة حكومة فلسطين المستقلة في دورتها الثانية .

وبعد أن شكلت لجنة خاصة أناطت بها مهمة اجراء تحقيق حول جميع المسائل المتعلقة بمشكلة فلسطين وتحضير مقترحات بغية حل هذه المشكلة .

وبعد أن تلقت وبحثت تقرير اللجنة الخاصة (مستند رقم ٢٦٤ - أ) الذي يتضمن توصيات عدة قدمتها اللجنة بعد الموافقة عليها بالاجماع ، ومشروع تقسيم مع اتحاد اقتصادي وافقت عليه أغلبية اللجنة ، تعتبر أن الحالة الحاضرة في فلسطين من شأنها إيقاع الضرر بالمصلحة العامة والعلاقات الودية بين الأمـــم .

وتحيط علماً بتصريح الدولة المنتدبة الذي أعلنت بموجبه أنها تنوي الجلاء عن فلسطين في أول آب (أغسطس) ١٩٤٨ ..

وتوصي المملكة المتحدة بصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين ، وجميع أعضاء الأمم المتحدة بالموافقة وبتنفيذ مشروع التقسيم مع الاتحاد الاقتصادي لحكومة فلسطين على الصورة المبينة أدناه ، وتطلب :

أ ــ أن يتخذ مجلس الأمن التدابير الضرورية المنوه عنها في المشروع لتنفيذه .

ب ــ أن يقرر مجلس الأمن إذا أوجبت الظروف ذلك . أثناء المرحلة الانتقالية ، ما إذا كانت الحالة في فلسطين تشكل تهديدا للسلم . فإن قرر مجلس الأمن أن مثل هذا التهديد قائم بالفعل فيجب عليه محافظة على السلم والأمن الدوليين ، أن ينفذ تفويض الجمعية العامة وذلك باتخاذ التدابير وفقاً للمادتين ٣٩ و ٤١ من الميثاق ، لتخويل لجنة الأمم المتحدة سلطة في أن تمارس في فلسطين الأعمال التي يلقيها هذا القرار على عاتقها .

جـ ــ أن يعتبر مجلس الأمن كل محاولة ترمي إلى تغيير التسوية التي يهدف إليها هذا القرار بالقوة تهديداً للسلم وقطعا أو خرقاً له أو عمــلا عدوانياً بموجب نص المادة ٣٩ من الميثاق .

د ــ أن يبلغ مجلس الوصاية بالمسؤولية المترتبة عليه بموجب هذا المشروع

وتدعو الجمعية العامة سكان فلسطين إلى اتخاذ جميع التدابير التي قد تكون ضرورية من ناحيتهم لوضع هذا المشروع موضع التنفيذ ، وتناشد جميع الحكومات والشعوب الامتناع عن كل ما قد يعرقل أو يؤخر تنفيذ هذه التوصيــات .

ونأذن للأمين العام أن يسدد نفقات سفر ومعيشة أعضاء اللجنة المشار إليها في القسم الأول ، الجزء (ب) الفقرة الأولى أدناه على الأساس والشكل اللذين يراهما مناسبين ، وفقاً للظروف ، وأن يزود اللجنة بما يلزم من موظفين ومستخدمين ــ لمساعدتها في المهام التي ألقتها الجمعية العامة على عاتقها .

ان الجمعية العامــة

تفوض الأمين العام أن يسحب من صندوق المال مبلغاً لا يزيد على مليوني دولار للغايات المبينة في الفقرة الأخيرة من قرار مستقبل حكومة فلسطين .

الاجتماع الثامن والعشرون بعد المائة

في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧

وفي اجتماعها الثامن والعشرين بعد المائة بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ — انتخبت الجمعية العامة وفق احكام القرار المذكور أعلاه الأعضاء الآتية أسماؤهم ليكونوا لجنة الأمم المتحدة بشأن فلسطين : بوليفيا ، تشيكوسلوفاكيا ، دانمارك ، بنما ، الفلبين .

مشروع تقسيم مع اتحاد اقتصادي

القسم الأول

دستور فلسطين وحكومتها المقبلتين

أ — نهاية الانتداب

التقسيم والاستقلال :

١ — ينتهي الانتداب على فلسطين في أقرب وقت ممكن وعلى كل حال لا يتجاوز موعده أول أغسطس سنة ١٩٤٨ .

٢ — تجلو القوات المسلحة للدولة المنتدبة عن فلسطين تدريجياً ويجب أن ينتهي هذا الجلاء في أقرب وقت ممكن بحيث لا يتجاوز أول أغسطس ١٩٤٨ على أية حال ، وتعلم الدولة المنتدبة اللجنة باعتزامها الجلاء عن كل منطقة قبل وقوعه بأطول مدة ممكنة .

٣ — يبدأ وجود الدولتين المستقلتين العربية واليهودية وكذلك النظام الدولي الخاص المقرر لمدينة القدس المبين في القسم الثالث من هذا المشروع بعد شهر من انتهاء جلاء القوات المسلحة للدولة المنتدبة وفي موعد

لا يتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ على كل حال . وتكون حدود الدولة العربية والدولة اليهودية ومدينة القدس كما جاء وصفها في القسمين الثاني والثالث أدنـــاه .

٤ ــ تعتبر الفترة الواقعة بين موافقة الجمعية العامة على توصياتها بشأن المسألة الفلسطينية واقامة إستقلال الدولتين اليهودية والعربية فترة انتقال .

ب ــ خطوات تمهيدية للاستقلال

١ ــ تنشأ لجنة مكونة من ممثلي الدول الأعضاء الخمس بمعدل ممثل عن كل دولة وينتخب الأعضاء الممثلون في هذه اللجنة بواسطة الجمعية العمومية على أوسع أساس ممكن جغرافياً وغير ذلك .

٢ ــ تنتقل ادارة فلسطين إلى اللجنة تدريجياً كما سحبت الدولة المنتدبة قواتها المسلحة وأن تعمل اللجنة وفق توصيات الجمعية العامة وبتوجيه مجلس الأمن. على الدولة المنتدبة أن تنسق إلى أقصى درجة ممكنة خطط انسحابها مع خطط اللجنة لاستلام وادارة المناطق التي تم الجلاء عنها . ولدى فراغ اللجنة من هذه المسؤولية تفوض باصدار الأنظمة الضرورية واتخاذ التدابير الأخرى اللازمـــة .

وعلى الدولة المنتدبة أن لا تقوم بأي عمل من شأنه أن يمنع أو يعرقل تنفيذ اللجنة للتدابير التي أوصت بها الجمعية العامـــة .

٣ ــ بمجرد وصول اللجنة إلى فلسطين تباشر اتخاذ التدابير لإقامة حدود الدولتين اليهودية والعربية ومدينة القدس وذلك وفقاً للخطوط العامة لتوصيات الجمعية العامة بتقسيم فلسطين . ومع ذلك فإن تخطيط الحدود كما هو مذكور في القسم الثاني من المشروع يجب تعديله كقاعدة عامة بحيث لا يجزىء خط الحدود الفاصل بين الدولتين مناطق القرى إلا إذا استلزمت ذلك دواع ملحـــة .

٤ ــ تختار اللجنة وتقيم بأسرع وقت ممكن مجلساً موقتاً لادارة الحكومة في

كل دولة بعد استشارة الأحزاب الديمقراطية والمنظمات العامة الأخرى في الدولتين العربية واليهودية . ويعمل المجلسان الحكوميان المؤقتان للدولتين العربية واليهودية وفقاً للتوجيهات العامة التي تصدرها اللجنة . فان لم يمكن اختيار مجلس موقت في أول ابريل سنة ١٩٤٨ لأي من الدولتين أو أنه أختير ولكنه لم يستطع القيام بأعباء وظائفه ، فعلى اللجنة أن تبلغ الأمر إلى مجلس الأمن ليتخذ قبل هذه الدولة التدابير التي يراها مناسبة ،كما تبلغه إلى الأمين العام كي يحيط أعضاء منظمة الأمم المتحدة علماً بذلك .

٥ – مع مراعاة نصوص هذه التوصيات ، يكون لكل من المجلسين أثناء فترة الأنتقال – بإشراف اللجنة – كامل السلطة في المناطق التابعة لهـا وبنوع خاص في موضوعي الهجرة والتنظيم العقاري .

٦ – يتسلم تدريجياً كل من المجلسين المؤقتين بكل دولة من اللجنة التي يعملان تحت إشرافها كامل التبعات الادارية لكل منهما خلال الفترة التي تنقضي بين انهاء الانتداب واقامة استقلال الدولـة .

٧ – توكل اللجنة إلى كل من المجلسين بمجرد تعيينهما مهمة مباشرة انشاء الهيئات الأدارية في الحكومة المركزية والأدارة المحليـة .

نص قرار

الجمعية العمومية في جلستها الـ١٣٥ التي عقدت بتاريخ

١٤ مايـو ١٩٤٨

أولا – القرار الذي اتخذ على أساس التقرير المقدم من اللجنة الاولى :

الجمعية العامـة :

آخذة بنظر الإعتبار الموقف الحاضر في فلسطين .

(١)

تؤكد بكل قوة تأييدها لمجلس الأمن فيما يبذله من جهود لعقد هدنة في فلسطين وتناشد جميع الحكومات والهيئات والأشخاص أن يتعاونوا لتحقيق هذه الهدنــة .

(٢)

١ – يخول وسيط الأمم المتحدة في فلسطين الذي تختاره لجنة من الجمعية العامة مكونة من ممثلي الصين وفرنسا واتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية بالاضطلاع بالوظائف الآتية :

أ – أن يبذل حسن وساطته لدى السلطات المحلية والطائفية في فلسطين للقيام بالآتي :

١) تسيير المرافق المشتركة اللازمة لسلامة ورفاهية سكان فلسطين

٢) حماية الأماكن المقدسة والمباني الدينية وأماكن العبادة في فلسطين .

٣) العمل على إيجاد تسوية سلمية للموقف في فلسطين مستقبلا .

ب – أن يتعاون مع لجنة الهدنة لفلسطين التي عينها مجلس الأمن بقراره المؤرخ ٢٣ ابريل سنة ١٩٤٨ .

جـ – أن يدعو – بالقدر الذي يرى فيه المصلحة – الوكالات المختصة ذات الشأن بالأمم المتحدة مثل هيئة الصحة العالمية والصليب الأحمر الدولي وغير ذلك من الهيئات الحكومية وغير الحكومية ذات الصبغة الانسانية غير السياسية لتقديم مساعدتها ومعونتهــا بقصد زيادة رفاهية سكان فلسطين .

٢ – وعلى وسيط الأمم المتحدة أن يقدم تباعاً تقارير شهرية أو في فترات أقرب إذا قدر لذلك إلى مجلس الأمن والسكرتير العام لعرضها على

أعضاء الأمم المتحدة .

٣ — وعلى وسيط الأمم المتحدة أن يعمل وفق أحكام هذا القرار وطبقاً لما قد تصدره الجمعية العامة أو مجلس الأمن من تعليمات .

٤ — يؤذن للسكرتير العام للأمم المتحدة في أن يصرف إلى وسيط الأمم المتحدة أتعاباً مساوية لمرتب رئيس محكمة العدل الدولية ، وفي أن يزوده بالموظفين اللازمين لمساعدته على الاضطلاع بالوظائف المسندة إليه من جانب الجمعية العامـــة .

(٣)

تعفى لجنة فلسطين من الاستمرار في مباشرة تبعاتها المسندة إليها بمقتضى القرار رقم ١٨١ (٢) بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ .

ثانيـا — قرار اتخذ بدون احالة إلى أية لجنـــة :

الجمعية العامـــة :

بما أن الجمعية العامة قد اتخذت قراراً يقضي بتعيين وسيط الأمم المتحدة في فلسطين ومن شأنه إعفاء لجنة الأمم المتحدة لفلسطين من الاستمرار في مباشرة تبعاتهـــا .

قـــررت أن تعرب عن كامل تقديرها للعمل الذي قامت به لجنة فلسطين وفاء بالمهمة الموكلة إليها من قبل الجمعية العامة .

نص قرار مجلس الامن

الصادر في يوم ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ بالجلسة (٣٣٨)

حيث أن حكومة إسرائيل المؤقتة قد أعلنت قبولها تمديد الهدنة في فلسطين مبدئياً ، وأن الدول الأعضاء في الجامعة العربية قد رفضت نداءات وسيط الأمم المتحدة المتعاقبة ونداء مجلس الأمن الوارد في قراره الصادر بتاريخ

٧ يوليو سنة ١٩٤٨ بشأن تمديد الهدنة في فلسطين ، وقد ترتب على ذلك أستئناف القتال في فلسطين ، يثبت أن الموقف في فلسطين يشكل تهديداً للسلم بالمعنى الوارد في المادة ٣٩ من الميثاق .

يأمر الحكومات والسلطات ذات الشأن : عملاً بالمادة ٤٠ من ميثـاق الأمم المتحدة ، بالكف عن أي عمل عسكري ، وأن تصدر لهذه الغاية الى قواتها العسكرية وشبه العسكرية الأمر بوقف اطلاق النار ، على أن يصبح هذا الأمر نافذ المفعول في التاريخ الذي يحدده الوسيط ، وعلى أية حال أقل من ثلاثة أيام من تاريخ صدور هذا القرار .

يعلن أن رفض الالتزام بأحكام الفقرة السابقة من هذا القرار من جانب أية سلطة من السلطات ذات الشأن يثبت قيام حالة الإخلال بالسلم بالمعنى الوارد بالمادة ٣٩ من الميثاق مما يقتضي مبادرة مجلس الامن إلى بحث الأمر بقصد اتخاذ ما قد يقرره المجلس من اجراء جديد بمقتضى الفصل السادس من الميثاق .

يدعو جميع الحكومات والسلطات المختصة الى الاستمرار في التعاون مع الوسيط بغية صون السلم في فلسطين وفق قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٩ مايو سنة ١٩٤٨ .

يأمر بوقف إطلاق النار فوراً وبدون قيد في مدينة القدس لما ينطوي عليه ذلك من أهمية خاصة ومستعجلة على أن يكون نافذ المفعول بعد أربع وعشرين ساعة من صدور هذا القـــرار .

ويأمر لجنة الهدنة باتخاذ جميع التدابير اللازمة لتنفيذ أمر وقف اطلاق النـــار هذا .

يأمر الوسيط بمتابعة جهوده للوصول إلى تجريد مدينة القدس من السلاح ، من غير مساس بالنظام السياسي للقدس مستقبلاً .

وأن يكفل حماية الأماكن المقدسة والأبنية والمزارات الدينية في فلسطين مع احترام حق الوصول إليها .

يأمر الوسيط بمراقبة احترام الهدنة وبتقرير لائحة اجراءات لتحقيق أية إدعاءات خاصة بانتهاك الهدنة التالية للحادي عشر من يونيو سنة ١٩٤٨ ، ويؤذن له في أن يفعل في حالات الانتهاك بالقدر الذي يستطيعه محلياً بمقتضى تدابير ملائمــة .

ويطلب إليه أن يحيط مجلس الأمن علماً بمراقبة الهدنة وأن يتخذ ، عند الاقتضاء ، كل أجراء مناسب .

ويقرر ، مع عدم المساس بما يصدره مجلس الأمن والجمعية العامة من قــرار جديد في هذا الشأن ، أن تظل الهدنة سارية المفعول وفقاً لهذا القرار وقرار ٢٩ مايو ١٩٤٨ إلى أن توجد تسوية سلمية للموقف في فلسطين مستقبــلاً .

يُكرر دعوته الموجهة للأطراف والوارد في الفقرة الأخيرة من القرار الصادر في ٢٢ مايو ١٩٤٨* – ويطلب بالحاح إلى الأطراف المضي في مشاوراتهم مع الوسيط بروح من التوفيق والتضحية المتبادلين لإمكان تسوية جميع مظاهر الاختلاف بطريقة سلمية .

يطلب إلى السكرتير العام أن يزود الوسيط بالموظفين وأن يقدم له التسهيلات اللازمة لتولي الوظائف المعهودة إليه بمقتضى قرار الجمعية العامة الصادر في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ وبهذا القرار .

ويطلب إلى السكرتير العام إتخاذ التدابير الملائمة لتقديم المال اللازم لمواجهة الإلتزامات التي تنشأ عن هذا القرار .

---

* – يرمي هذا القرار الى دعوة اصحاب الشأن لتسهيل مهمة الوسيط .

نص قرار مجلس الامن

بجلسته الـ ٣١٠ المنعقدة يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٤٨

مجلس الأمـــن :

رغبة في وقف الأعمال العدائية في فلسطين دون الإخلال بحقوق أو مطالب أو مراكز العرب واليهود :

١ – يدعو الحكومات والسلطات ذات الشأن إلى أن تأمر بوقف العمليات العدائية المسلحة لمدة أربعة أسابيع .

٢ – ويدعو جميع الحكومات والسلطات ذات الشأن إلى التعهد بعدم جلب محاربين إلى فلسطين ومصر والعراق ولبنان وسوريا وشرق الأردن والمملكة العربية السعودية واليمن أثناء وقف العمليات الحربية .

٣ – يدعو جميع الحكومات والسلطات ذات الشأن – إذا دخل رجال قادرون على حمل السلاح في البلاد أو الأراضي الخاضعة لرقابتها – الى التعهد بعدم تجنيدهم وعدم تدريبهم عسكرياً أثناء فترة وقف العمليات الحربيـــة .

٤ – ويدعو جميع الحكومات والسلطات ذات الشأن إلى الإمتناع أثناء فترة وقف العمليات الحربية عن استيراد عتاد الحرب إلى فلسطين ومصر والعراق ولبنان وسوريا وشرق الأردن والمملكة العربية السعودية واليمن أو تصديره إلى هذه البـــلاد .

٥ – ويدعو في إلحاح جميع الحكومات والسلطات ذات الشأن لاتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة لحماية الأماكن المقدسة ومدينة القدس والسماح بنوع خاص بالوصول إلى جميع المعابد والأماكن المقدسة لمن لهم حق معترف به في زيارتها لممارسة العبادة فيها .

٦ – وعلى وسيط الأمم المتحدة أن يراقب بالاتفاق مع لجنة الهدنة تنفيذ

الأحكام السابقة ، ويضع مجلس الأمن تحت تصرفهم العدد الكافي من المراقبين العسكريين .

٧ — وعلى وسيط الأمم المتحدة أن يتصل بجميع الأطراف بمجرد العمل بأمر وقف اطلاق النار للاضطلاع بالوظائف المعهودة إليه من الجمعية العامة.

٨ — يدعو جميع أصحاب الشأن إلى اسداء المعاونة لوسيط الأمم المتحدة ، ويكلف مجلس الأمن وسيط الأمم المتحدة تقديم تقارير أسبوعية أثناء فترة وقف العمليات الحربيـــة .

٩ — ويدعو مجلس الأمن الدول الأعضاء في الجامعة العربية والسلطات اليهودية والعربية في فلسطين إلى إبلاغ مجلس الأمن يوم أول يونيو ١٩٤٨ بتوقيت نيويورك قبولهم لهذا القرار .

١٠ — يقرر مجلس الأمن في حالة رفض هذا القرار من جانب أحد الطرفين أو من جانبهما جميعاً أو إذا قبله أحدهما ثم رفضه أو انتهكه ثم رفضه فيما بعد إعادة النظر في الموقف في فلسطين تمهيداً لاتخاذ التدابير المنصوص عليها في الفصل السابع من الميثاق .

١١ — ويدعو مجلس الأمن جميع الحكومات إلى اسداء معونتها تنفيذاً لهذا القـــرار .

فقرة من قرار تقسيم فلسطين

بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧

و — الدخول في عضوية الامم المتحدة

عندما يصبح إستقلال الدولة العربية أو اليهودية نافذاً (كما هو منصوص عليه في المشروع الحاضر) ، ويكون البيان والتعهد المنصوص عليهما في هذا المشروع قد وقع عليهما من قبل الدولة ، يصبح عندئذ من المناسب أن ينظر بعين العطف إلى طلب قبولها عضواً في الأمم المتحدة طبقاً للمادة (٤) من ميثاق الأمم المتحـــدة .

موقف الدول

من التصويت على مشروع تقسيم فلسطين

الدول التي أيدت المشروع	الدول التي رفضت المشروع	الدول التي امتنعت عن التصويت
١) استراليا	١) افغانستان	١) الأرجنتين
٢) بلجيكا	٢) كوبا	٢) شيلي
٣) بوليفيا	٣) مصر	٣) الصين
٤) البرازيل	٤) اليونان	٤) كولومبيا
٥) روسيا البيضاء	٥) الهند	٥) سلفادور
٦) كندا	٦) ايران	٦) أثيوبيا
٧) كوستاريكا	٧) العراق	٧) هندوراس
٨) تشيكوسلوفاكيا	٨) لبنان	٨) المكسيك
٩) دومينيكا	٩) الباكستان	٩) سيام (غائبة)
١٠) دانمارك	١٠) المملكة العربية السعودية	١٠) بريطانيا
١١) ايكوادور	١١) سوريا	١١) يوغوسلافيا
١٢) فرنسا		
١٣) جواتيمالا		
١٤) هايتي		
١٥) ايسلندا		
١٦) ليبيريا		
١٧) لكسمبرج		
١٨) هولندا		
١٩) زلندا الجديدة		
٢٠) نيكاراجوا		

الدول التي أيدت المشروع	الدول التي رفضت المشروع	الدول التي امتنعت عن التصويت
٢١) النرويج		
٢٢) بناما		
٢٣) باراجواي		
٢٤) بيرو		
٢٥) الفلبين		
٢٦) بولندا		
٢٧) السويد		
٢٨) أوكرانيا		
٢٩) اتحاد جنوب افريقيا		
٣٠) روسيا		
٣١) الولايات المتحدة الامريكية		
٣٢) اورجواي		
٣٣) فنزويلا		

الفقرة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم

هذه الفقرات الاربع المتعلقة بفلسطين :

١ ـ تطبق المبادىء المثالية على المستعمرات والاقاليم التي انسلخت بعد الحرب الأخيرة عن سلطة الدول التي كانت تحكمها ، والتي تسكنها شعوب ليست قادرة على أن تقف على قدميها امام ظروف المدنيـــة القاسية للعالم الحديث ، وان رفاهية وتقدم هذه الشعوب يعتبر امانـــة مقدسة في عنق المدنية وانه من الواجب أن يتضمن الميثاق الحالي الضمانات من أجل أداء هذه الرســالة ..

٢ ـ ان السبيل الأفضل لتحقيق هذا المبدأ هو أن يعهد بالوصاية على هذه الشعوب إلى شعوب متقدمة تكون ، بسبب مواردها وتجارتها أو مركزها الجغرافي خير من يتحمل هذه المسؤولية ، وتبدي استعداداً لقبولها عملياً بحيث تمارس تلك الوصاية بوصفها دولة منتدبة تمثل عصبة الأمـــم ..

٣ ـ ان طبيعة الانتداب يجب أن تختلف باختلاف درجة الرقي عند الشعب الواحد .. وكذلك حسب المركز الجغرافي ، والمركز الاقتصادي للبلد الواحد ... وما شابه ذلك .

٤ ـ ان بعض الجماعات التي كانت تتبع الدولة العثمانية فيما مضى قد بلغت حداً من الرقي والتقدم يستطاع منه الاعتراف بها كأمم مستقلة بشرط أن تقوم الدولة المنتدبة باسداء النصح والمعونة حتى يحين الوقت الذي تستطيع فيه أن تعتمد على نفسها. ويجب أن تؤخذ رغبات هذه الجماعات بعين الاعتبار الأول عند اختيار الدول صاحبة الانتداب ..

المادة (٦) من الجزء الرابع من اتفاقية الهدنة الأردنية الاسرائيلية المعقودة سنة ١٩٤٩ :

« .. يكون لجميع سكان القرى التي ضمت إلى إسرائيل بنص المادة (٢٠) من هذه الاتفاقية حق الاحتفاظ بحقوقهم الكاملة في الاقامة والملكية والحرية الشخصية ويجب حماية هذه الحقوق. وإذا أراد أحد من سكان هذه القرى مغادرتها فانه يجب أن يسمح له أن يأخذ مواشيه وجميع أمواله المنقولة وأن يدفع له بدون تأخير التعويض الكامل عن أرضه التي يغادرها. وتمنع القوات الاسرائيلية منعاً باتاً من أن تدخل أو تتمركز في القرى العربية، ويقوم على حفظ الأمن في القرى قوة بوليس من المتطوعين العرب .. »

نص القرار رقم ١٩٤ « د ٣ »

المشكلة الفلسطينية

المتخذ من الجمعية العامة للامم المتحدة

في ١١ ديسمبر ١٩٤٨

الجمعية العامـــة :

وقد بحثت الموقف في فلسطين من جديد،

١ ــ تعرب عن تقديرها العميق، للتقدم الذي تم بفضل المساعي الحميدة التي بذلها المرحوم وسيط الأمم المتحدة، في سبيل تسوية سلمية لمستقبل الموقف في فلسطين، والتي لهذا السبب ضحى بحياتـــه.

وتشكر الوسيط بالانـــابة وموظفيه، لجهودهم المستمرة، وروح الشعور بالواجب الذي دللوا عليه في فلسطين.

٢ ــ تنشىء لجنة توفيق مؤلفة من ٣ دول أعضاء في الأمم المتحدة، تكلف بالوظائف الآتيـــة :

أ ــ القيام ، بقدر ما تراه لازماً في الظروف الحالية ، بالوظائف الّتي كانت موكولة لوسيط الأمم المتحدة في فلسطين ، بموجب قرار الجمعية العامة رقم ١٨٦ (الدورة غير عادية ٢) الصادر بتاريخ ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ .

ب ــ القيام بالمهام الخاصة والتعليمات المحددة الموكولة اليها بموجب القرار الحالي وغيرها من المهام الاضافية والتعليمات الّتي قد تكلها إليها الجمعية العامة أو مجلس الأمـــن .

جـ ــ أن تتعهد ــ بناء على طلب مجلس الأمن ــ بأي مهام موكولـــة حالياً الى وسيط الأمم المتحدة في فلسطين أو لجنة الأمم المتحدة للهدنة بناء على قرارات مجلس الأمـــن .

٣ ــ تقرر أن تقوم لجنة من الجمعية العامة مكونة من الصين وفرنسا واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية ، بأن تفرض على الجمعية العامة ــ قبل نهاية القسم الأول من الدورة الحالية لها ــ اقتراحاً خاصاً بأسماء الدول الثلاث الّتي ستكون فيها لجنة التوفيق ، لتوافق عليها الجمعية العامـــة .

٤ ــ تدعو اللجنة إلى استلام مهامها فوراً بقصد انشاء اتصال بين الأطراف أنفسها وبين هذه الأطراف واللجنة ، في أقرب وقت ممكن .

٥ ــ تدعو الحكومات والسلطات المعنية إلى توسيع نطاق المفاوضات المنصوص عليها في قرار مجلس الأمن الصادر في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، وإلى البحث عن اتفاق بطريق المفاوضات اما مباشرة أو مع لجنة التوفيق بقصد إجراء تسوية نهائية لجميع المسائل الّتي لم تتفق عليها بعـــد .

٦ ــ تصدر تعليماتها إلى لجنة التوفيق لاتخاذ التدابير بغية معاونة الحكومات والسلطات المعنية ، على أن تسوي بصورة نهائية جميع المسائل الّتي لم يتفق عليهـــا بعد .

٧ ــ تقرر وجوب حماية الأماكن المقدسة ــ خاصة الناصرة ــ والمواقع

والأبنية الدينية في فلسطين ، وتأمين حرية الوصول إليها وفقاً للحقوق القائمة والعرف التاريخي ، ووجوب اخضاع الترتيبات المعمولة لهذه الغاية لرقابة الأمم المتحدة الفعلية ، ووجوب تقديم لجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة إلى الجمعية العامة في دورتها العادية الرابعة ، اقتراحاتها المفصلة بشأن نظام دولي دائم لأراضي القدس ، بحيث تشمل توصيات خاصة بالأماكن المقدسة في هذه الأراضي . وبالاشارة إلى الأماكن المقدسة في بقية فلسطين ، فان اللجنة يجب أن تدعو السلطات السياسية للمناطق المعينة ، إلى تقديم ضمانات صريحة رسمية مرضية فيما يتعلق بحماية الأماكن المقدسة والوصول إلى هذه الأماكن ، وعرض هذه التعهدات على الجمعية العامة للموافقة عليهـــا .

٨ ـ تقرر أنه ، نظراً لارتباط منطقة القدس بثلاث ديانات عالمية ، فان هذه المنطقة مشتملة على بلدية القدس الحالية ، مضافاً إليها القـــرى والمدن المحيطة ، وأبعدها شرقاً أوديس ، وجنوباً بيت لحم ، وغرباً عين كارم (شاملة أيضاً تجمع موسى) وأبعدها شمالاً الشعفات ، يجب أن تتمتع بمعاملة خاصة ومتميزة عن معاملة مناطق فلسطين الأخرى ويجب أن توضع تحت اشراف الأمم المتحدة الفعلي ، وتدعو مجلس الأمن الى اتخاذ تدابير جديدة بغية تأمين نزع سلاح مدينة القدس في أقصر وقت ممكن . وتصدر تعليماتها إلى لجنة التوفيق لتقدم إلى الجمعية العامة في دورتها العادية الرابعة ، اقتراحات مفصلة بشأن نظام دولي دائم لمنطقة القدس يؤمن لكل من الفئتين المتميزتين الحد الأقصى من السيادة المحلية المتفق عليها مع النظام الدولي الخاص بمنطقة القدس . ولجنة التوفيق مأذونة في اختيار ممثل للأمم المتحدة ، يتعاون مـــع السلطات المحلية ، فيما يتعلق بالإدارة المؤقتة لمنطقة القدس .

٩ ـ تقرر أنه إلى تتفق الحكومات والسلطات المعنية على ترتيبات وتدابير

أكثر تفصيلا ، فأنه يجب منح جميع سكان فلسطين أقصى حرية ممكنة للوصول إلى القدس بطريق البر والسكك الحديدية أو الجو .

وتصدر تعليماتها إلى لجنة التوفيق بأن تحيط مجلس الأمن علماً على الفور بأي محاولة تصدر عن أي طرف لتقييد الوصول إلى المدينة ، لكي يتخذ المجلس الأجراء المناسب .

١٠ – تصدر تعليماتها إلى لجنة التوفيق بالعمل على إعداد الترتيبات بين الحكومات والسلطة المعنية ، مما ييسر التطور الاقتصادي للمنطقة شاملة الترتيبات الخاصة بالوصول إلى المرافىء والمطارات واستعمال وسائل النقل والمواصلات .

١١ – تقرر أن اللاجئين الراغبين في العودة إلى بيوتهم والعيش في سلام مع جيرانهم يجب السماح لهم بذلك في أقرب وقت ممكن ، وأن يدفع التعويض عن ممتلكات هؤلاء الذين لا يختارون العودة ، وعن الخسارة أو الضرر الذي يلحق بالممتلكات ، والذي تقتضي مبادىء القانون الدولي أو العدالة قيام الحكومات أو السلطات المسؤولة بتعويضها .

وتصدر تعليماتها إلى لجنة التوفيق بتسهيل اعادة اللاجئين إلى وطنهم وإسكانهم من جديد وتسهيل نهوضهم الاقتصادي والاجتماعي وكذلك دفع التعويضات والمحافظة على الاتصال الوثيق مع مدير اغاثة الأمم المتحدة للاجئي فلسطين ، وبواسطة هذا مع الهيئات والوكالات المختصة في الأمم المتحدة .

١٢ – تأذن للجنة التوفيق ان تعين الهيئات الفرعية ، وان تستخدم الخبراء الفنيين الذين يعملون تحت اشرافها ، كلما وجدت حاجة الى ذلك ، لتؤدي بصورة مجدية وظائفها والتزاماتها بموجب هذا القرار .

ويكون مقر لجنة التوفيق الرسمي في القدس .

وان السلطات المسؤولة عن حفظ الامن في القدس ، ستكون مسؤولة عن اتخاذ كل التدابير اللازمة لتأمين سلامة اللجنة . وسيقدم

السكرتير العام عدداً محدداً من الحراس لحماية موظفي اللجنة ودورها .

١٣ ـ تصدر تعليماتها الى لجنة التوفيق بأن تقدم الى السكرتير العام ، بصورة دورية ، تقارير عن نشاطها ، لتقديمها الى مجلس الامن وإلى اعضاء الامم المتحدة .

١٤ ـ تدعو جميع الحكومات والسلطات المعنية الى التعاون مع لجنة التوفيق ، والى اتخاذ جميع الخطوات اللازمة للمساعدة على تنفيذ القرار الحالي .

١٥ ـ ترجو السكرتير العام أن يقدم الموظفين اللازمين والتسهيلات ، وأن يتخذ الترتيبات المطلوبة لتقديم الأموال الضرورية المطلوبة لتنفيذ أحكام القرار الحالي .

مقترحات برنادوت

أرسل برنادوت في ٢٧ يونيو ١٩٤٨ « رسالة » الى امين الجامعة العربية ...

وقد اشتملت رسالة برنادوت على جزء تمهيدي استند فيه الى نص قرار الجمعية العامة بتاريخ ١٤ مايو ١٩٤٨ ، الذي تضمنت أحكامه أن يبذل وسيط الامم المتحدة حسن مسعاه لتسهيل السبل لتسوية سلمية للموقف في فلسطين مستقبلاً ومن ثم فان هدف الوسيط الرئيسي هو أن يتعرّف على أساس تحريات كاملة اذا كان من المستطاع التوفيق بالوسائل السلمية بين وجهة النظر والمراكز المتعارضة والمتنازعة لكل من الجانبين .

وذكر الوسيط في الجزء التمهيدي من رسالته أن بدء الهدنة في ١١ يونيه يترتب عليه إحداث جو اهدأ يساعد على النهوض بعبء الوساطة .

وقال ان المسائل الأساسية التي تقوم عليها مطالب الطرفين المتنازعين تتعلق بالتقسيم واقامة دولة يهودية وهجرة يهودية . وفسر مهمته كوسيط بأنها تنحصر في تقديم أفكار يمكن اتخاذها اساساً لمزيد من المناقشات وربما للايحاء بأفكار تهدف الى ايجاد تسوية سلمية لهذه المشكلة .

وذكر بأنه في تحليله للموقف يأخذ في الاعتبار مقتضيات الانصاف واماني ومخاوف وحجج كل من الطرفين كما عنى بالحقائق المستمدة من الوضع الراهن وقتئذ واقتنع بأنه يستحيل عليه ــ كوسيط ــ لأسباب مردها الانصاف والمقتضيات العملية ، ان يطلب من كل من الطرفين التنازل عن جميع مطالبه .

واختتم هذا الجزء التمهيدي بتقريره وجود عامل مشترك مقبول من الطرفين بالنسبة لمستقبل فلسطين وهو اقرار الطرفين بوجوب قيام علاقات سلمية بين العرب واليهود في فلسطين واعترافهما بضرورة قيام وحدة اقتصادية في البلاد .

وقدم الوسيط الافكار الآتية كأساس للمناقشة :

١) يمكن النظر في ايجـــاد نظام ينشأ بمقتضاه في فلسطين ، اتحاد مكون من عضوين احدهما عربي والآخر يهودي ، على أن يكون ذلك بموافقة ورضاء أصحاب الشأن المباشر وأن تكون فلسطين شاملة لشرق الاردن طبقاً للتعريف الوارد في صك الانتداب الذي عهد به في عام ١٩٢٢ الى المملكة المتحدة .

٢) تعين حدود أراضي كل من العضوين في بداية الأمر بطريق المفاوضة ومساعدة الوسيط ووفق أفكار يقدمها ، وعندما يتم الاتفاق على الخطوط الرئيسية للحدود تحدد نهائياً بواسطة لجنة تخطيط .

٣) أغراض ووظائف الاتحاد ، تتلخص في النهوض بالمصالح الاقتصادية المشتركة وصيانة المرافق المشتركة بما فيها الجمارك ورسوم الانتاج وتتولى المشروعات التي ترمي الى زيادة عمران البلاد وتنسيق السياسة الخارجية وتدابير الدفاع المشترك .

٤) وظائف سلطة الاتحاد يمكن أن تمارس بواسطة مجلس مركزي وغير ذلك من الهيئات التي يقررها عضوا الاتحاد .

٥) يجوز لكل عضو من عضوي الاتحاد ان يشرف اشرافاً كاملاً على شؤونه الخاصة بما فيها العلاقات الخارجية وذلك مع عدم الاخلال بأحكام ميثاق الاتحاد .

٦) الهجرة الى اقليم كل عضو تكون من اختصاصه على أن يكون لكل منهما بعد سنتين من انشاء الاتحاد ، الحق في أن يطلب من مجلس الاتحاد اعادة النظر في سياسة الهجرة التي يتبعها العضو الآخر وفي أن يخضعها لما تقضي به المصالح المشتركة للاتحاد . وإذا عجز المجلس عن الوصول الى قرار في هذا الشأن ، امكن لكل عضو في الاتحاد أن يرفع الأمر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي بالامم المتحدة ، الذي يصدر قراراً ملزماً للعضو الذي كانت سياسته موضع البحث على أن يكون ذلك وفق مبدأ القدرة الاقتصادية على الاستيعاب .

٧) تكون الحقوق الدينية وحقوق الاقليات مصونة من جانب كل عضو في الاتحاد ومكفولة من الامم المتحدة .

٨) تكون الأماكن المقدسة والمباني والأماكن الدينية مصونة والحقوق الحالية عليها مضمونة من جانب كل عضو من عضوي الاتحاد .

٩) يعترف لسكان فلسطين الذين تركوها بسبب الظروف الناشئة عن النزاع الحالي ، بحقهم في العودة الى ديارهم بدون قيد وبأن يستردوا ممتلكاتهم .

مسائل اقليمية :

وتضمنت الأفكار الترتيبات الاقليمية بالاشارة الى البند (٢) من المقترحات كما يـلي :

أ ــ ضم النقب كله ــ أو جزء منه ــ الى الاقليم العربي .

ب ــ ضم الجليل الغربي ــ كله ــ أو جزء منه ــ الى الاقليم اليهودي .

جـ ــ ضم مدينة القدس الى الاقليم العربي مع منح الطائفة اليهودية حق

الاستقـــلال بشؤونها البلدية ووضع تدابـــير خاصة لحماية الاماكن المقدسة .

د – النظر في نظام مدينة يافا .

هـ – انشاء ميناء حرّ في مدينة حيفا تدخل فيه منطقة معامل تكرير البترول ومصباته .

و – انشاء مطار حرّ في اللـــد .

وقد ردت الامانة العامة على أفكار برنادوت:

١ – أن رغبة الدول العربية في معاونة الوسيط على استنباط الحل السلمي لقضية فلسطين وفي احداث الجو المواتي للقيام بهذه المهمة ولإظهار نواياها السلمية للعالم هي التي انتهت بها إلى قبول وقف اطلاق النـــار بالشروط التي اقترحها الوسيط .

٢ – نفذت الدول العربية شروط أحكام الهدنة بكل دقة وعناية بينما أمعن الطرف الآخر خرقها وانتهاكها المرة بعد الأخرى بشكل عاد وقف اطلاق النيران فيه بالفائدة على الطرف الآخر وأدخل الى فلسطين العديد من المهاجرين القادمين على القتال والكثير من الأسلحة والعتاد وأخذ في تدعيم مراكزه واحتلال بعض المواقع الاستراتيجية وفي تموين قواته المحاصـــرة .

٣ – ذكر الوسيط أن المسائل الأساسية التي تقوم عليها مشكلة فلسطين خاصة بالتقسيم والدولة اليهودية والهجرة ، كما أكد أن مهمته كوسيط تنحصر في تقديم أفكار تتخذ أساساً للمناقشة ، وأنه أخذ بعين الاعتبار مقتضيات الانصاف وأماني ومخاوف وحجج الطرفين وكذلك حقائق الوضع الراهن . وسبق للوسيط أن صرح أمام اللجنة السياسية للجامعة العربية في ١٥ يونيه ١٩٤٨ ، قبوله لمهمة الوساطة طليقاً من كل قرار سابق . وسبق له أيضاً التصريح في جلسة ١٦ يونيه للجنة السياسية أن الحل الـــذي

سيقدمه لا يقوم على الحالة الراهنة في فلسطين . ومن ثم فان الأفكار التي يقدمها أثارت دهشة اللجنة السياسية واستغرابها فهي لم تخرج عن أسس مشروع التقسيم الذي ترتب عليه النزاع المسلح اذ تهدف إلى أن تحقق لجانب واحد جميع مآربه بينما تغفل مطالب وحقوق العرب أصحاب البلاد الأصليين .

٤ – ان أول فكرة من الأفكار التي يقدمها الوسيط قائمة على أساس خاطىء وهو اعتبار أراضي المملكة الأردنية الهاشمية داخلة في فلسطين وأن – اقحامها في المشكلة الفلسطينية يجاوز ولا شك حدود الوساطة بل هو امعان في تأييد مزاعم الصهيونيين الباطلة من أن فلسطين تشمل بلاد تلك المملكة وهو ما لم يوافقهم عليه أحد .

٥ – واضح أن الأفكار في مجموعها تحقق مأرب الصهيونيين بالنسبة لتقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية فيها فضلاً عن افادتهم من مزايا الوحدة الاقتصادية .

٦ – بينما يقصر مشروع التقسيم الذي أوصت به الجمعية العامة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ الهجرة على جزء من فلسطين – هو اقليم الدولة اليهودية المقترحة – إذ بمشروع الاتحاد يفتح أمامها مجالاً أوسع في كل فلسطين بل والمملكة الأردنية الهاشمية ، فهو من هذه الناحية ميزة مجحفة يقترح الوسيط منحها لليهود على حساب العرب واقتراح الوسيط جعل الفصل النهائي في المنازعات التي تقوم بين عضوي الاتحاد بشأن سياستها الخاصة بالهجرة من اختصاص المجلس الاقتصادي والاجتماعي على أن يكون ذلك وفقاً لمبدأ القدرة الاقتصادية على الاستيعاب .. ولما كانت الهجرة هي المحور الرئيسي للنزاع بين الفريقين ويتخذها الصهيونيون أداة فعالة لتحقيق مآربهم السياسية في فلسطين وغيرها من البلاد العربية وفق برنامجهم المعروف (ببرنامج بلتيمور) فان التصور الوارد في أفكاره من شأنه استمرار هذا النزاع .

٧ – وفكرة الوحدة الاقتصادية بين عضوي الاتحاد تنهض دليلاً على أن قسمة فلسطين سياسياً أمر مصطنع أريد به تلافي عيوبه بالوحدة الاقتصادية . والمعلوم أن الصهيونيين لا يمكن أن يقوم لهم كيان اقتصادي مستقل عن العرب فأريد بالوحدة الاقتصادية تأمين مصالحهم واستغلال العرب لمصلحة اليهود ، بينما يستطيع عرب فلسطين أن يكون لهم كيان اقتصادي قائم بذاته بفضل تعاونهم مع البلاد العربيـــة .

٨ – أما حماية حقوق الأقليات وصون الأماكن المقدسة فان العرب طالبوا دائماً بهما وعملوا عليهما وأبدوا للدولة المنتدبة وللأمم المتحدة استعدادهم لقبول جميع الضمانات اللازمة لهما .

٩ – والتعديلات الاقليمية التي ذيلت بها هذه الأفكار تقوم كذلك على أساس التقسيم وانشاء دولة يهودية ، وتترتب عليها نفس عيوب التقسيم الذي اعتبر جزءاً من البلاد نصف سكانها من العرب ويملكون أكثر الأرض فيها خالصة لليهود ، ولم يعر حقوق هؤلاء السكان العرب الأصليين ومطالبهم القومية أي اعتبـــار .

١٠ – ولما كانت الدول العربية شديدة الرغبة في التعاون والبحث عن أحسن الحلول التي تكفل الأمن والسلام لفلسطين فاللجنة السياسية تقترح المشروع التالي أساساً للبحث :

مشروع الدستور وحكومة فلسطين في المستقبل :

١ – تقام في فلسطين في أقرب فرصة ممكنة حكومة مؤقتة تمثل جميع أقسام المواطنين على أساس نسبهم العدديـــة .

٢ – تقوم الحكومة المؤقتة في أقرب وقت بسن قانون انتخاب لإنشاء جمعية تأسيسية واعداد سجل انتخابي ، واجراء انتخابات للجمعية التأسيسيـــة .

٣ – تتولى الجمعية التأسيسية أعمال السلطة التشريعية وتكون الحكومة

المؤقتة مسؤولة أمامها حتى تجري الانتخابات لقيام هيئة تشريعية بمقتضى الدستور الجديد.

٤ ـ ومع ترك مهمة وضع الدستور إلى الجمعية التأسيسية يجب مراعاة المبادىء التالية بكل دقـة:

أ ـ تكون فلسطين دولة موحدة ذات سيادة.

ب ـ يكون لها دستور ديمقراطي وهيئة تشريعية منتخبة وسلطة تنفيذية مسؤولة أمام الهيئة التشريعية.

جـ ـ يجب أن ينص الدستور على ضمانات تكفل قداسة الأماكن المقدسة بما يشمل حرمتها وصيانتها وحرية الوصول إليهـا وحرية العبادة طبقاً للحالة المرعيـة.

د ـ يجب أن يضمن الدستور احترام الحقوق الانسانية والحريات الأساسية دون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو النوع أو اللغة أو الدين وكذلك يجب أن يضمن حرية العقيدة وممارسة العبادات طبقاً للحالة المرعية، ويشمل ذلك استبقاء المحاكم الدينية المختلفة للنظر في شؤون الأحوال الشخصية.

هـ ـ يجب أن يضمن الدستور حقوق الهيئات الدينية والجمعيـات الأخرى والأفراد في أن يكون لهم ـ إلى جانب المعاهد التعليمية التي تدبرها السلطة العامة ـ معاهد تعليمية خاصة بهم، بشرط أن تخضع للمعتاد من اشراف الحكومة ومراقبتهـا.

و ـ يعترف الدستور بحق اليهود في استخدام اللغة العبرية كلغة رسمية ثانية وذلك في المناطق التي يكونون فيها أغلبية.

ز ـ يجب أن ينص قانون التجنس والجنسية ـ في جملة ما ينص عليه ـ على أن يكون الطالب لها مقيماً شرعياً في فلسطين لمدة مستمرة تحددها الجمعية التأسيسية.

حـ ـ يجب أن يكفل الدستور تمثيلاً ملائماً في الهيئة التشريعية لجميع

الأقسام المهمة للمواطنين على أساس نسبتهم العددية .

ط- يجب أن ينص الدستور بما يجعل السلطة التنفيذية والأدارية معربة بصورة ملائمة عن توزيع التمثيل في الهيئة التشريعية .

ي- يجب أن يمنح الدستور الهيئة التشريعية الحق في أن تخول السلطات المحلية صلاحية واسعة في شؤون التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية الأخرى .

ك- يجب أن ينص الدستور على انشاء محكمة عليا يشمل اختصاصها في جملة ما يشمل الحق في تقرير صحة دستورية كل تشريع ، ويكون من حق أي فريق متضرر أن يلجأ إلى تلك المحكمة .

ل- الضمانات الواردة في الدستور الخاص بحقوق وضمانات الأقليات لا تكون خاضعة للتعديل والتبديل دون موافقة من الأقلية المختصة ، يعرب عنها من قبل أكثرية ممثليها في الهيئة التشريعية .

وقد علق برنادوت على رد الامانة العامة :

١ - اعترف المشروع العربي بمبدأ التمثيل النسبي ويلاحظ في هذا الصدد أن عبارة الأهلين عبارة غامضة إذ أن المسألة الجوهرية هي نظر الأقلية اليهودية هي أساس تحديد صفة المواطن وبيان كم من اليهود الموجودين الآن في فلسطين سيقبلون في الدولة الفلسطينية ذات السيادة ، والفقرة ٤ (ز) تترك هذه المسألة بغير جواب وفضلاً عن ذلك فهناك مسألة متصلة بهذا الموضوع هي مصير اليهود الذين لم يمنحوا حقوق المواطن .

٢ - ان نظام التمثيل النسبي المشار إليه في الفقرة (أ) يطبق على الحكومة المؤقتة المقترح تأليفها وأن الأخذ بمبدأ التمثيل النسبي في أجهزة الحكومة الدائمة لم يذكر بوضوح في فقرات الاقتراح ولو أنه يمكن القول أن هذا ما عنته الفقرة ٤ (ح) .

٣ – ومهما يكن من أمر فان نتيجة اقتراحكم أن الطائفة اليهودية في فلسطين تبقى أقلية ثقافية وسياسية دائمة في دولة فلسطين الموحدة. وأخـذ اقتراحكم بنظام التمثيل النسبي اعتراف صريح بهذه الحقيقة.

٤ – أشير في الفقرة ٤ (و) إلى حق اليهود في استعمال اللغة العبرية كلغة رسمية ثانية في المناطق التي يكونون فيها أغلبية – ويبدو أن هذا قيد شديد يرد على الاعتراف بالحقوق الثقافية والمزايا الجوهرية لمجموعة مهمة من الأقليات – ثم أن معنى عبارة (المناطق) غامضة غموضاً كبـيراً.

٥ – وكذلك الفقرة ٤ (ى) تعتبر تضييقاً للعرف المستقر عليه فيما يتعلق بالحقوق البلدية لأن السلطات المحلية يمكن أن تمنح سلطات مطلقـة فيما يتعلق بالخدمات الاجتماعية فقـط.

٦ – ومما له مغزى كبير ان الفقرة ٤ (ك) لم تشر إلى تكوين المحكمة العليا ولا إلى أساس اختيار أعضائهـا.

٧ – ويبدو أن الفقرة ٤ (ل) ترمي إلى صون حقوق الأقليات التي تحدد تحديداً صريحاً في دستور الدولة وأن غيرها من الحقوق لم تكفل له أي حماية. وجدير بالذكر أن الاقتراح العربي لم يشر إلى الحقوق الاقتصادية ولا إلى الهجرة أو قوة البوليس أو قوة الدفاع في الدولة الموحدة المقترحة. ويمكن القول بأن قيام دولة فلسطينية موحدة ذات سيادة مع النظم الحكومية القائمة على أساس التمثيل النسبي يتفق تماماً مع المبادىء والأوضاع الديمقراطية، ولكن هذا يغفل بعض الحقائق الحيوية الخاصة بفلسطين. فيهود فلسطين كانوا دوماً ولا يزالون طائفة ثقافية وسياسية منفصلة تماماً. وقد سمح لها في عهد الانتداب أن تحتفظ بمؤسساتها الثقافية والسياسية المنفصلة، تلك المؤسسات التي لها استقلالها الواقعي. وفضلاً عن ذلك فهذه الطائفة اليهودية بصرف النظر عن الدوافع والأسباب مشبعة بروح قومية لا تقل عن قومية عرب فلسطين. وأن دولة فلسطين

إذ توجد فيها أقلية جوهرية من هذا الطراز ، لن تكون إلاّ دولة مضطربة ما لم تسحق كلية وبالقوة تلك الأقلية وتقهر أمانيها القومية . وإني مقتنع تماماً بأنه من غير الممكن بأي شكل كان ، إقناع اليهود بالتنازل عن كيانهم الثقافي والسياسي المنفصل في الوقت الحاضر ، وأن يقبلوا الأندماج في فلسطين الموحدة حيث يكونون أقلية دائمة. والحل الوحيد لتنفيذ هدف العرب هو محو الدولة اليهودية وحكومتها المؤقتة بالقوة ، وبديهي أنني لا أستطيع التوصية بذلك كوسيط .

فقرات

من مشروع الكونت برنادوت :

الفقرة ٢٦ – أما فيما يتعلق بما جاء بأفكاري بشأن الهجرة فقد رؤي من المعقول النظر إلى مسألة الهجرة إلى فلسطين في نطاق المسألة الفلسطينية برمتها . فمسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين متصلة حتماً بمقدرة البلاد على الاستيعاب وفضلاً عن ذلك فان فلسطين قد انفردت بها ، بمعنى أن الهجرة هي احدى المسألتين الرئسيتين اللتين تسببتا في نشوب النزاع الراهن ، وجعلتا فلسطين موضع الاهتمام الدولي . ولا يمكن تجاهل أن الهجرة غير المقيدة إلى المنطقة اليهودية في فلسطين قد تؤدي بعد انقضاء عدد من السنين إلى ضغط في السكان والى حدوث اضطرابات اقتصادية وسياسية تبرر مخاوف العرب الحالية من توسع اليهود فيما بعد في الشرق الأدنى ولا يمكن أن تتجاهل كذلك أن الهجرة اليهودية إلى المنطقة اليهودية لا تهم الشعب اليهودي والاقليم اليهودي فحسب

بل تهم أيضاً العالم العربي المجاور . وعلى ضوء هذه الاعتبارات كنت أهدف في أفكاري بشأن الهجرة إلى قبول الشعب اليهودي مختاراً نوعاً من التنظيم الدولي للهجرة في سبيل مصلحة السلم مع جيرانه العرب ، تلك المصلحة الحيويـــة .

الفقرة ٢٧ ـ وقد ألحقت بالرأي المقدم مني مذكرة خاصة ببعض ترتيبات اقليمية يمكن أن يبحثها الطرفان وهي تنطوي على بعض تعديلات هامة للحدود المبينة في مشروع التقسيم الذي تضمنه قرار الجمعية العامة بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ . والحدود الواردة في المشروع ، وضعت على أساس قيام تعاون وثيق بين الدولتين المقترحتين يجعل مثل هذه الحدود غير المألوفة أمراً ممكناً تنفيذه . وقد ظهرت إلى الوجود دولة واحدة فقط من الدولتين الجديدتين المقترحتين ووضح أن التعاون المأمول غير آت ، وأما الترتيبات الأقليمية المقترحة في الأفكار فقد وضعت لخلق أحوال دولية عندما يعود السلام إلى فلسطين تساعد على تدعيم ذلك السلام بدلاً من قيامه على أساس مزعزع . ولتحقيق هذه الغاية فإن الترتيبات الاقليمية المقترحة من شأنها التقليل من مواطن الاحتكاك المحتمل ، وبالتالي احداث شعور أقوى لدى العرب واليهود بالأمن داخل حدود كل منهما .

الفقرة ٢٨ ـ وقد أدخلت الترتيبات الاقليمية المقترحة مدينة القدس ضمن الاقليم العربي مع منح الطائفة اليهودية استقلالاً ذاتياً للشؤون البلدية ، ووضع تدابير خاصة لحماية الأماكن المقدسة ، وتفسير هذا الرأي هو أنه في حالة قيام أي نظام اقليمي في فلسطين يشمل المنطقتين العربية واليهودية ، فان مدينة القدس تقع في وسط الاقليم العربي ، وأية محاولة لعزل هذه المدينة سياسياً أو بغير ذلك عن الاقليم العربي المحيط بها تنطوي على صعوبات جمة .

ومن الناحية الأخرى فان ما امتازت به القدس من طابع خاص بما في ذلك رجحان كفة سكانها اليهود وجمعياتها الدينية تقتضي يقيناً عناية خاصة ، وادخال القدس ضمن الاقليم العربي ، لا يعني بحال سيطرة العرب على اليهود وغيرهم من الشعوب أو المصالح غير العربية في تلك المدينة . ويمكن وضع ضمانات دولية لهذا الغرض . وفضلاً عن ذلك فبينما للقدس أهمية خاصة للطائفة اليهودية بفلسطين ترجع لأسباب تاريخية ودينية فإن هذه المدينة لم توضع داخل الدولة اليهودية المقترحة في مشروع التقسيم الوارد في قرار الجمعية العامة بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، ونظام القدس كان موضوعاً مستقلاً عن إقامة دولة يهودية وحدودهـا .

خاتمة مشروع برنادوت :

الفقرة ٣٢ – هناك بعض حقائق واضحة فيما يختص بالموقف في فلسطين تعد أساسية ولا يمكن التغاضي عنها . فالعرب يعارضون معارضة مرة تقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية وهجرة يهودية ، وبينما هم على استعداد للسماح لكثير من اليهود الموجودين الآن في فلسطين بالبقاء فيها كأقلية في دولة موحدة تحت سيطرة عربية ، فهم يعتبرون يهود فلسطين دخلاء عليهم وخطراً على العالم العربي . وقد أبدت الدول العربية استعدادها لاستخدام قوة مسلحة إلى أقصى حدود طاقاتها ضد ما تعتبره ظلماً ينطوي عليه الغزو اليهودي المؤيد من العالم الخارجي ، وترى الدول العربية ان واجبها يحتم عليها حمل السلاح دفاعاً عن عرب فلسطين .

الفقرة ٣٣ – ومن ناحية أخرى فان يهود فلسطين مصممون على تقسيم فلسطين وعن الدفاع عن الدولة التي أنشأوها والمحافظة عليها

مع فتح أبواب الهجرة اليهودية ، وقد أظهروا استعدادهم وقدرتهم على القتال بعنف للدفاع عن دولتهم ضد العدوان .

الفقرة ٣٤ — والموقف في فلسطين اليوم من ناحية الواقع هو أن حكومة يهودية مؤقتة معترفاً بها من عدد متزايد من الدول تقوم في رقعة من فلسطين وتمارس دون قيود من أي نوع على سلطتها وقوتها كل خصائص الدولة ذات السيادة الكاملة بما في ذلك القيام بالحرب ، وهذه الحكومة المؤقتة والدولة التي تمثلها قامتا تحت رعاية السلطة المستمدة من قرار الجمعية العامة بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، ومنذ صدور هذا القرار وقعت أحداث كثيرة في فلسطين . وليس من اليسير أن نزيل ما سجله التاريخ ، وان حالة الأمر الواقع هذه هي التي تحارب الدول العربية لزوالها ، ولكن الحقيقة السافرة هي أن تلك الدولة قائمة ، وهي دولة صغيرة تقوم قياماً مزعزعاً على شقة ساحلية وظهرها إلى البحر وتواجه من ثلاث جهات عالماً عربياً معادياً وقد يكون مستقبلها غير مأمون ، وإذا كتب لها البقاء بعد هذه الحرب فمن المحتمل أن تكون سلامتها مشكلة خطيرة لزمن طويل ، وأن شعبها — غير العرب الذين يقطنون في وسطها والذين تناقص عددهم تناقصاً تاماً إلى أكثر من النصف بنزوحهم من المناطق التي يحتلها اليهود — وطني وطنية بالغة ويبدو أنه لا يهاب تهديد العرب .

الفقرة ٣٥ — ان أهم شيء في فلسطين اليوم هو وقف القتال في الحال ، ولكن تلك الخطوة أولى فحسب ، لأن السؤال الذي يتطلب الرد في بعض المراحل هو ما إذا كانت الأسرة الدولية مستعدة للسماح بالالتجاء إلى القوة المسلحة كوسيلة لتسوية مشكلة فلسطين ، وان مثل هذا الاستعداد قد ينطوي على أخطار

عديدة تهدد السلم في الشرق الأدنى بأسره إن لم تهدد عالماً أكبر . وبهذا الصدد يجب أن نميز تمييزاً واضحاً بين منع استخدام القوة في فلسطين وجعل استخدام السلاح غير مفيد من جهة ، وبين فرض تسوية سياسية من جهة أخرى . والواقع أن وضع حد لاستخدام القوة في فلسطين سيجعل من الممكن إيجاد تسوية سلمية .

الفقرة ٣٦ — ولأسباب مرغمة عديدة نجد أن للأسرة الدولية مصلحة في حل مشكلة فلسطين حلاً سلمياً . فاذا ما نظرنا إلى الموقف نظرة واقعية كان الآتي :

« إذا منع استخدام القوة المسلحة لتسوية المسألة ، وجعل استخدام البلاد العربية لها غير مفيد ، فستكون في فلسطين طائفة يهودية ذات كيان ثقافي وسياسي منفصل وإن دولة يهودية تكون قوتها ورفاهيتها ومقدرتها على التقدم الاقتصادي والاجتماعي برضاء زعمائها ، يجب أن تعتمد اعتماداً كبيراً على مقدرتها لإيجاد علاقات ودية مع جيرانها العرب ، فاذا لم يحرم استخدام القوة المسلحة فان مصير الدولة اليهودية في فلسطين سيحدد في ميدان القتال . وان القرار قد يتخذ بشأن الالتجاء إلى القوة المسلحة في فلسطين سيحدد احتمالات أخرى لمزيد من الوساطات الفعالة لتسوية هذه المسألة الحيوية ، وستكون قرارات مجلس الأمن في هذا الموضوع حاسمة .

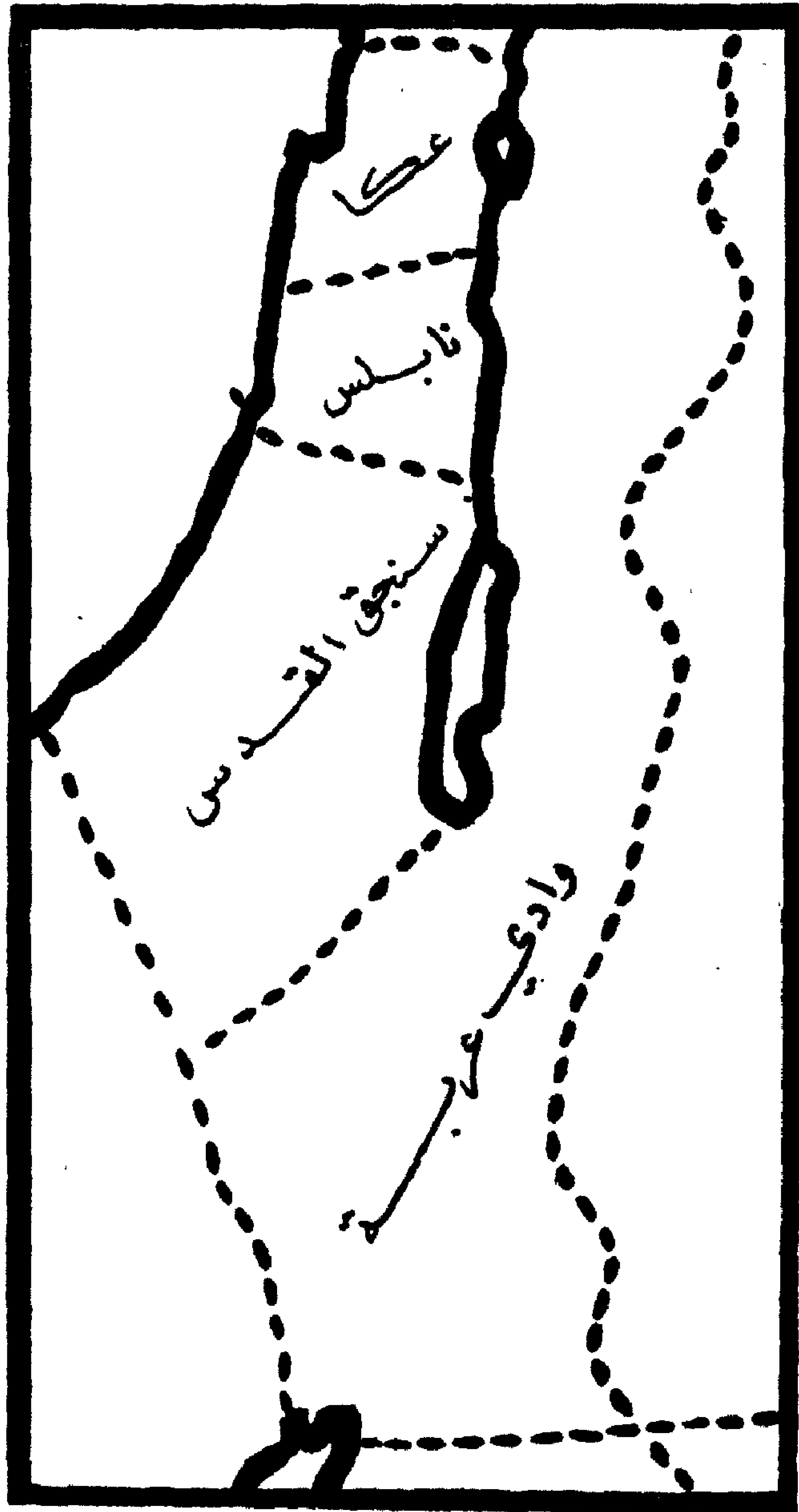
المساعدات الامريكية للعرب واسرائيل

السنة	المساعدات لإسرائيل بمــلايين الدولارات	المساعدات للدول العربية
١٩٥٠	١٣٥	لا شيء
١٩٥١	لا شيء	٤ ملايين و٨ أعشار
١٩٥٢	٦٣ ونصف	٩ ونصف
١٩٥٣	٧٣ و ٧ أعشار	٢٠ وعشر
١٩٥٤	٥٤	٢٥ و٨ أعشار
١٩٥٥	٥٤ و٦ أعشار	٥٦ وعشرين
١٩٥٦	٥٤ و ٤ أعشار	٣٩ و٩ أعشار
١٩٥٧	٣٧ ونصف	٣٧ و ٦٨ في المائــة
١٩٥٨	٨٩ وعشرين	٧٠ و ٩ أعشار
المجموع	٥٦١,٩٠٠,٠٠٠	٢٦٤,٨٨٠,٠٠٠

هجرة اليهود الى فلسطين بعد النكبة

السنة	عدد المهاجرين
١٩٤٨	١١٨,٩٠٩
١٩٤٩	٣٣٩,٤٢٤
١٩٥٠	١٦٩,٧٣٠
١٩٥١	١٧٤,٠٠٠
١٩٥٢	٢٣,٤٠٨
١٩٥٣	١٠,٣٨٨
١٩٥٤	١٧,٤٧١
١٩٥٥	٣٦,٠٠٠
١٩٥٦	٤٣,٠٠٠
١٩٥٧	٧٢,٠٠٠
١٩٥٨	٣٧,٠٠٠
١٩٥٩	٢٠,٦٠٠
١٩٦٠	٢٣,٦٤٤
١٩٦١	٦٠,٠٠٤

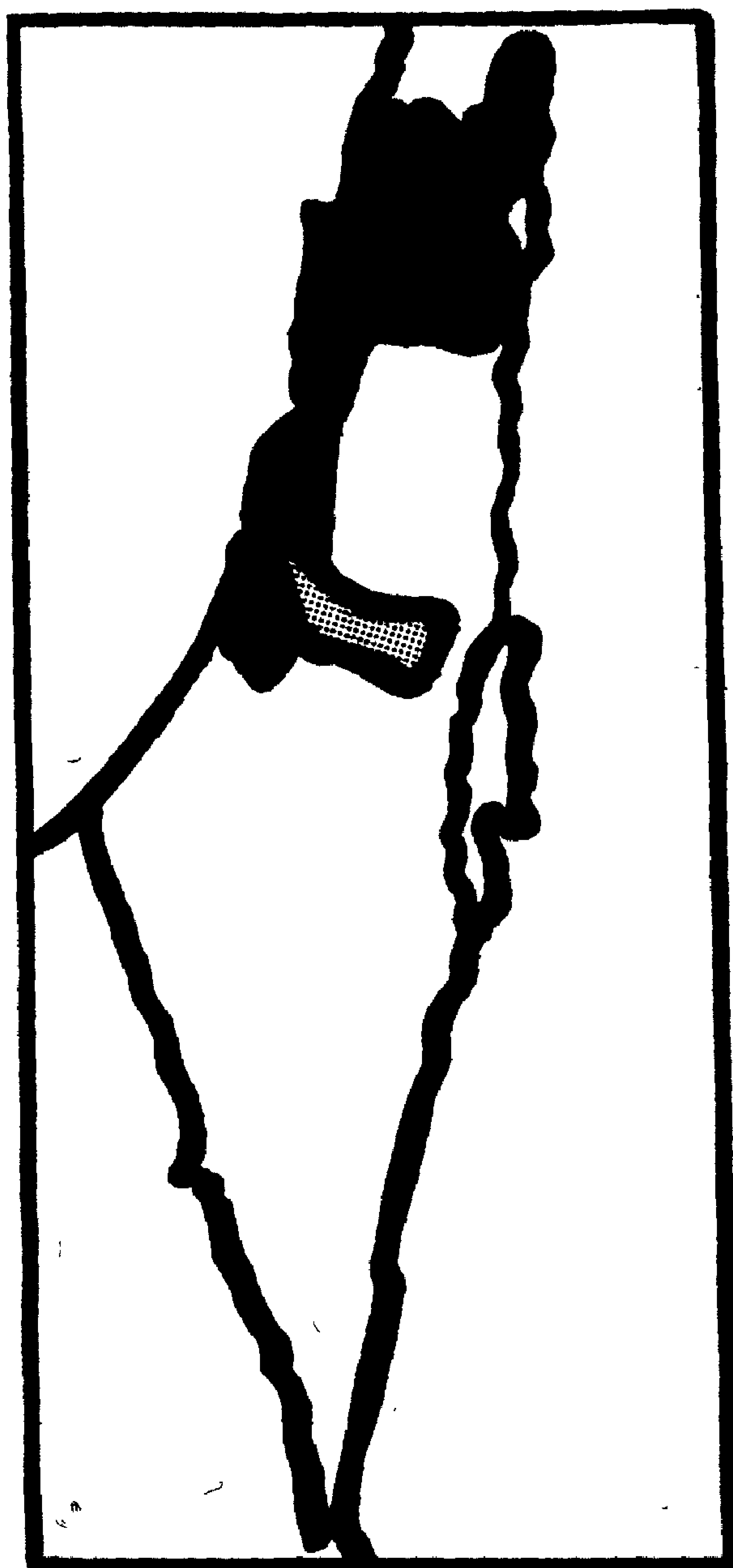
خرائط ..



فلسطين ايام العثمانيين

تركيا
ولاية حلب
سنجق حلب
قبرص
سنجق طرابلس
سنجق حماه
بيروت
مقاطعة لبنان
سنجق دمشق
سنجق بيروت وعكا
حيفا
سنجق حوران
سنجق القدس المستقل
مصر
سنجق معان

فلسطين وسوريا عام ١٩١٥



« التقسيم » كما أقرته اللجنة الملكية عام ١٩٣٧



المشروع البريطاني الذي تقدمت به الحكومة

في يوليو ١٩٤٦



للعــرب

لليهــوُد

المقترحات الصهيونية لتقسيم فلسطين

كما تقدمت بها الوكالة اليهودية في اغسطس ١٩٤٦



للعـــرب
لليهـــود
منطقـة دوليـة

التقسيم كما أقرته « اللجنة الدولية » لفلسطين

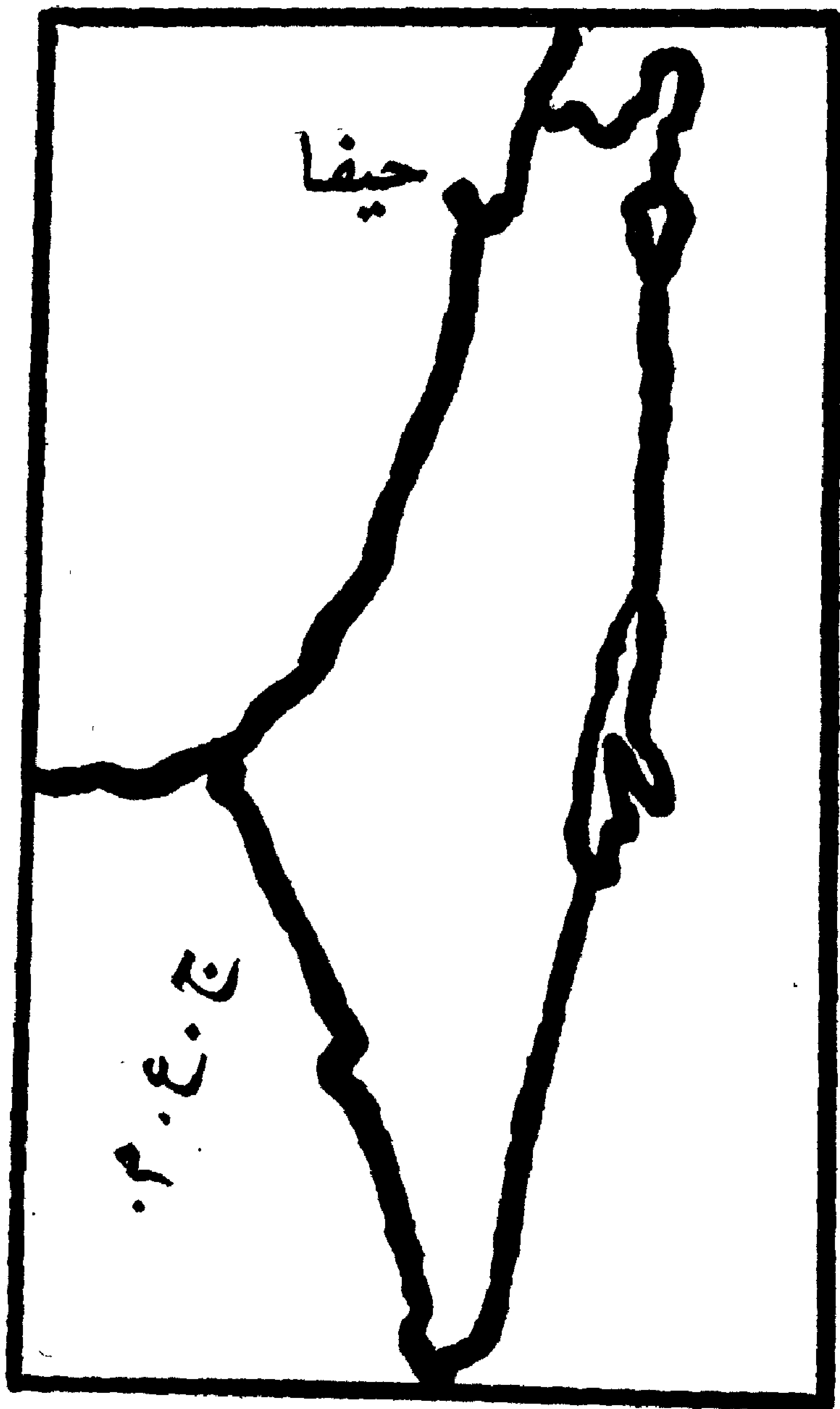
في نوفمبر ١٩٤٧



للعرب

لليهود

حدود الهدنة في ربيع ١٩٤٩



كما يجب ان تعود

أيَّام لا تُنسى ..

عام ١٩١٥

٣ أغسطس عام ١٩١٥ : أول كتاب من ماكماهون إلى الملك حسين ملك الحجاز ، حول قضية فلسطين .

عام ١٩١٧

٢ نوفمبر عام ١٩١٧ : اعلان وعد بلفــور

عام ١٩٢٦

١٩ ابريل عام ١٩٢٦ : اعلان الاضراب العام في جميع المدن بفلسطين وبداية الثورة العربيــة

عام ١٩٢٨

٢٤ سبتمبر عام ١٩٢٨ : حادث المبكى في القدس وبداية ثورة ١٩٢٩ بيد العرب

عـام ١٩٣٥

٢٥ نوفمبرعام ١٩٣٥ : تقدمت الأحزاب العربية الخمس في فلسطين بمذكرة إلى المندوب السامي البريطاني . تطالب بأقامة حكومة عربية ديمقراطية في فلسطين .

عـام ١٩٣٦

١٩ أبريل ١٩٣٦ : اعلان الاضراب العام في جميع المدن العربية بفلسطين وبداية الثورة العربيـــة .

١١ أكتوبر ١٩٣٦ : أصدرت اللجنة العربية العليا نداء إلى عرب فلسطين بحل الاضراب الذي دام ستة شهور وبضعة أيام .

١١ نوفمبر ١٩٣٦ : وصلت لجنة « بيل » إلى فلسطين .

عـام ١٩٣٧

١٧ يوليو ١٩٣٧ : صدر قرار لجنة (بيل) البريطانية الملكية ، يقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية .

٢٦ سبتمبر ١٩٣٧ : قتل العرب حاكم الجليل البريطاني ، وبـــدأوا ثورة ١٩٣٧ ، التي استمرت حتى اعلان الحرب العالمية الثانيـــة .

عام ١٩٣٨

٩ نوفمبر ١٩٣٨ : صدر قرار لجنة التحقيق البريطانية ضد قرار اللجنة الملكية بتقسيم فلسطين .

عام ١٩٣٩

٧ فبراير ١٩٣٩ :بدأ مؤتمر لندن بين الدول العربية وعرب فلسطين من جهة ، وبريطانيا من جهة اخرى ؛ وانتهى المؤتمر بصدور « الكتاب الابيض » ؛

١٧ مايو ١٩٣٩ : أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الابيض ضمنته حلها لقضية فلسطين .

عام ١٩٤٤

١٢ أبريل ١٩٤٤ : قررت اللاجنة التنفيذية لحزب العمال البريطاني انشاء دولة يهودية في فلسطين .

٣١ أكتوبر ١٩٤٤ : أعلنت الحكومة البريطانية موافقتها على أن يكون للفرقة اليهودية المحاربة في صفوف الحلفاء ، « علماً » حربياً خاصاً ..

عام ١٩٤٥

١٣ نوفمبر ١٩٤٥ : صدر أول اعلان رسمي عن تشكيل لجنة تحقيق أنجلو — أمريكية لقضية فلسطين .

عـام ١٩٤٦

٦ مارس ١٩٤٦	:	وصلت لجنة التحقيق الأنجلو ـ أمريكية الى فلسطين .
١ مايو ١٩٤٦	:	صدر تقرير لجنة التحقيق الأنجلو ـ أمريكية في لندن وواشنطن في وقت واحد .
٢٦ يوليو ١٩٤٦	:	نسفت عصابة الارجون فندق الملك داوود بالقدس ؛
١٠ سبتمبر ١٩٤٦	:	بدأت جلسات المؤتمر بين حكومة لندن والدول العربية .. قاطع عرب فلسطين المؤتمر المذكور ..

عـام ١٩٤٧

١٤ فبراير ١٩٤٧	:	أعلن المستر « بيفن » وزير خارجية بريطانيا ، أن حكومته ستنقل قضية فلسطين ــ برمتها ــ الى الأمم المتحدة .
١٧ يونيه ١٩٤٧	:	وصلت لجنة التحقيق الدولية الى القدس ووجدت العرب في اضراب تام ..
١٨ يوليو ١٩٤٧	:	حادث الباخرة اكسودوس على شاطىء حيفا ..

٢٢ يوليو ١٩٤٧ : زارت اللجنة الدولية لبنان ، وقدم اليها وزير خارجية لبنان، مذكرة اجماعية باسم الحكومات العربية بيّنت حجج العرب .

١٧ اكتوبر ١٩٤٧ : اعلنت الحكومة البريطانية أنها لن تلجأ الى القوة من أجل تنفيذ اي قرار دولي لا يرضى عنه العرب واليهود ..

٢٦ نوفمبر ١٩٤٧ : تقدمت اللجنة الدولية لفلسطين بتقريرها الى الامم المتحدة لكي يجري التصويت عليه ؛

٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ : جرى التصويت على التقرير الدولي بتقسيم فلسطين في الجمعية العمومية للامم المتحدة .

٣٠ نوفمبر ١٩٤٧ : بدأ الاضراب العام عند عرب فلسطين ضد قرار التقسيم .

عام ١٩٤٨

٦ ابريل ١٩٤٨ : معركة مستعمرة « رامات هاكوفتش » بين المناضلين العرب من المتطوعين ، والعدو .

١٠ ابريل ١٩٤٨ : مذبحة « دير ياسين »..

١٢ ابريل ١٩٤٨	: قررت اللجنة السياسية التابعة للجامعة العربية في اجتماعات دمشق، وتلبية للرأي العام العربي، أن تتدخل القوات العربية الرسمية عسكرياً في ١٥ مايو ١٩٤٨، في فلسطين.
١٧ ابريل ١٩٤٨	: أصدر مجلس الأمن قراراً ناشد فيه جميع الأشخاص والمنظمات في فلسطين — وعلى الأخص — الهيئة العربية العليا — والوكالة اليهودية إيقاف جميع الحركات العسكرية والعنف.
١٤ مايو ١٩٤٨	: أعلن اليهود مولد « دولتهم »..
١٤ مايو ١٩٤٨	: اعترفت الولايات المتحدة بدولـــة اسرائيل
١٥ مايو ١٩٤٨	: دخلت القوات العربية إلى فلسطين لتحريرها
١٧ مايو ١٩٤٨	: معركة « سمنح » بين الجيش السوري والعدو..
٢٠ مايو ١٩٤٨	: معركة « دجافيا » بين الجيش السوري والعدو..
٢٣ مايو ١٩٤٨	: انسحب الجيش العراقي من منطقة جسر المجامع إلى منطقة السامرة.

١ يونيــه ١٩٤٨ : بعث ممثلو الدول العربية إلى سكرتير الأمم المتحدة بردهم على قرار مجلس الأمن بتاريخ ٢٩ مايــو.

٩ يونيــه ١٩٤٨ : بعث رئيس وزراء مصر رد الحكومات العربية على خطاب برنادوت حول شروط وقف القتـــال ..

١٠ يونيه ١٩٤٨ اعلان الهدنة الأولى في مقر الأمم المتحدة .

١١ يونيــه ١٩٤٨ : قبلت الدول العربية أمر وقف القتال الصادر إليها من الأمم المتحدة بتاريخ ٧ يونيو (الهدنة الأولى)

٢٧ يونيه ١٩٤٨ : أرسل برنادوت إلى أمين الجامعة العربية رسالة ضمنها «أفكاره» التي وضعها بصفته وسيطاً للأمم المتحدة لغرض الوصول إلى تسوية سلمية للموقف في فلسطين.

٩ يوليــه ١٩٤٨ : استؤنف القتال في أرض فلسطين بعد الهدنة الأولى .

١٥ يوليو ١٩٤٨ : أمر مجلس الأمن بوقف القتال في فلسطين

١٨ يوليو ١٩٤٨ : بدأت الهدنة الثانيـــة .

١٧ سبتمبر ١٩٤٨ : قتل اليهود الكونت فولك برنادوت .

١٨ سبتمبر ١٩٤٨ : عرض مجلس الأمن تقرير برنادوت المؤلف من عدة نقاط يدعو فيها إلى حل المشكلة الفلسطينيـــة .

١١ ديسمبر ١٩٤٨ : قررت الجمعية العمومية بأغلبية ٣٥ صوتـاً ضد ١٥ ، وامتناع ٨ ، تشكيل لجنة التوفيق لفلسطين .

٢٧ ديسمبر ١٩٤٨ : هجوم اليهود على الفالوجـــا ومحاصرتها ..

عـام ١٩٤٩

٧ يناير ١٩٤٩ : اتفق الجانبان المصري والاسرائيلي على وقف القتال في فلسطين . أصدرت رئاسة الوزراء في مصـــر بياناً بذلك .

٢٠ يناير ١٩٤٩ : منح بنك التصدير والاستيراد الأمريكي مبلغ مائة مليون دولار كقرض إلى اسرائيل.

٣٠ يناير ١٩٤٩ : وجه رالف بانش دعوة إلى الدول العربية للدخول في مفاوضات مع اسرائيل في جزيرة رودس.

١٢ فبراير ١٩٤٩ : قرر البرلمان العراقي انتداب لجنة برلمانية تسافر الى فلسطين للتحقق من مهزلة : ماكو أوامر.

١٤ فبراير ١٩٤٩ : افتتح حايم وايزمن أول برلمان يهودي في فلسطين المحتلة.

٢٤ فبراير ١٩٤٩ : اعلان الهدنة بين الجانبين المصري والاسرائيلي في جزيرة رودس.

٢٠ مارس ١٩٤٩ : قررت الحكومة العراقية سحب قواتها من فلسطين.

٢٣ مارس ١٩٤٩ : وقع الجانبان اللبناني واليهودي إتفاقية الهدنة الدائمة في «رأس الناقورة» على الحدود اللبنانية.

٢٣ ابريل ١٩٤٩ : وقعت الهدنة الأردنية ـ الاسرائيلية .

٢٨ ابريل ١٩٤٩ : رحل الجيش العراقي المرابط في قطاع السامره برئاسة اللواء نورالدين محمود .

٢ مايـــو ١٩٤٩ : احتل اليهود قرية « بيت صفافا » بجوار القدس

١١ ـ ١٢ مايو ١٩٤٩ : دخلت اسرائيل الأمم المتحدة .

١٦ مايو ١٩٤٩ : تمت عملية تبادل الأسرى بين العرب والعدو

٢٠ يوليو ١٩٤٩ : وقعت الهدنة بين الجانبين السوري والاسرائيلي في رودس .

عـام ١٩٥٠

مايـــو ١٩٥٠ : صدر « التصريح الثلاثي » من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة حول ضمان الحدود القائمة في فلسطين ..

أقوال للتـــاريخ

« .. ان غاية الاحتلال البريطاني ، هو تحرير فلسطين من النير التركي وإنشاء حكومة وطنية حرة فيهـــا .. »

اللورد أللنبي
ديسمبر ١٩١٧

•

« .. ان بريطانيا تعترف بحق فلسطين وسوريا والعراق والجزيرة العربية في الحرية والاستقلال واقامة حكومات عربية فيهـــا .. »

لويد جورج
يناير ١٩١٨

•

« .. ان الأجزاء التركية من السلطنة العثمانية يجب أن تمنح السيادة التامة .. »

الرئيس ولسن
يناير ١٩١٨

•

« .. لا يمكن للعرب قبول الوكالة العربية لأن صلاحياتها ضيقة محدودة وإن للعرب وهم في بلادهم ، حتى في الأدارة أكثر بكثير من أولئك الدخلاء الأجـــانب .. » .

محضر جلسات اللجنة الخامسة
للجنــة الانتدابـــات ١٩٢٤



جاء في تقرير لجنة « شو » عام ١٩٢٩ ما يلي :

« .. إن السبب السياسي الذي لولاه لما وقعت الاضطرابات ، هو شعور العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود ، شعوراً نشأ عن حقيقة أمانيهم السياسية والوطنية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي . وإن الشعور السائد اليوم بين العرب ، يستند إلى خوفهم المزدوج من أنهم سيحرمون من وسائل معيشتهم ، ويسيطر عليهم اليهود سياسياً يوماً ، بسبب الهجرة اليهودية وشراء الأراضي » . وقالت اللجنة بالنسبة للأراضي انه « لا توجد أرض ميسورة يمكن إسكان المهاجرين الجدد فيها إلاّ بإحلالهم محل الأهالي الحاليين » . ووصفت سياسة انتزاع الأراضي من المزارعين العرب بأنها « تعتبر خطراً سياسياً عظيماً يهدد كيان القومية العربية في البلاد فضلاً عن أنها تعتبر في الوقت ذاته خطراً اقتصادياً حقيقيـــاً . »



جاء في تقرير الخبير البريطاني السير جون هوب سمبسون بتاريخ أغسطس ١٩٣٠ ، ما يـــلي :

« ان واجب الادارة على حسب الانتداب أن تتوكد ألا يلحق بالعرب ضرر من الهجرة اليهودية .. وانه لخطأ أن يسمح ليهودي من بولونيا أو لتوانيا أو اليمن أن يشغل مركزاً شاغراً ما دام يوجد في فلسطين عمال قادرون

على شغل ذلك المركز ولا يتمكنون من إيجاد أي عمل لهم » . وأكد سمبسون أن الزراعة في فلسطين تحتاج إلى « قانون يضمن للمستأجر العربي بقاءه في الأرض التي يزرعها ويعيش من محصولهـا » .

•

جاء في تقرير لجنة « بيل » البريطانية عام ١٩٣٧ ، ما يلي :

« ان الحكومة البريطانية هي المسؤولة عن الحالة الموصفة التي وقع فيها المزارعون العرب . أجل ، أن الفلاح العربي ليس غنياً ولا متعلماً ، ولكن كونه كذلك لا يبرر قط إخراجه من أرضه لأجل إفساح المجال للصهيونيين الأغنياء المتعلمين كي يحلوا مكانه فيها » .

الفهرس

للمؤلف

- شباب محموم (نقد)
- خطوات في بريطانيا (نقد)
- عندما دخلوا التاريـــخ
- فلسطين والوحـــدة
- ماذا جرى في الشرق الأوسط ؟
- « القصص ... وأصحابهـــا ! »

تحت التأليف

- ماذا جرى في الشرق الأوسط (الكتاب الثاني)

تحت الطبع :

- الفندق الكبير ـ قصة وطن

انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع دار الكتب
في بيروت بطريقة مونوتيب في السادس عشر
من ربيع الاول ١٣٨٢ الموافق السادس عشر
من آب (اغسطس) ١٩٦٢

٦٢ – ٨ – ٤٧١



- من مواليد « القدس » ..
- خريج جامعة بيروت الامريكية .
- عضو المكتب العربي التابع للجامعة العربية ١٩٤٥ (لندن، القدس ، واشنطن).
- فاز بالجائزة الاولى للصحافة الشرقية والاجنبية في القاهرة ١٩٤٦
- مدير عام الاذاعة والصحافة والنشر في الاردن ١٩٥٠.
- مدير عام مكاتب «اخبار اليوم» وصحفيا في الشرق الاوسط ٥٢ - ٥٩.
- رئيس تحرير جريدة « الجمهورية » وعضو مجلس ادارة «دار التحرير» بالقاهرة.
- له مؤلفات عن بريطانيا بعنوان : « خطوات في بريطانيا ». وعن السياسة في الشرق العربي بعنوان : « شباب محموم » . وعن كبار شخصيات العالم بعنوان : « عندما دخلوا التاريخ » . وعن احداث وشخصيات الشرق الاوسط بعنوان : «ماذا جرى في الشرق الاوسط » .
- زار في رحلات دراسية وصحفية جميع بلدان الشرقين الادنى والاوسط واوروبا والولايات المتحدة وبريطانيا ، وعاصر احداث المنطقة منذ عام ١٩٤٥ حتى اليوم وعرف زعماءها ورجالاتها واسرارها .

هذا الكتاب

- رأيت في القضية حاضرا بعيدا .. ورأيت في «النكبة» حاضرا كئيبا .. فكتبت عن المستقبل ! انه - وحده - الامل المرجو من اجل « عودة » كريمة ... هي وحدها هدف الاجيال !
- وقد رأيت قصة امتي بجراحي ودمي وآلامي . وعشتها بوجداني . وفهمت البداية فيها والنهاية بعقلي وقلبي .. ببصري وبصيرتي .. بيقظتي واحلامي . وأيقنت انها - امتي - ستعود .. لانني اعرف امتي !
- ونيس « ابن المأساة » بحاجة الى من يقنعه بضرورة زوالها . ولكنه - كما اعتقد - بحاجة الى من يدله على طريق زوالها ! ليس بين اهلي من لا يتمنى العودة ، ولكن بينهم من ضاع وسط الضباب فاصبح يحتاج الى من يعطيه مثل هذه « التذكرة » ويقول له :

- تعال معي .. .

- .. وبدانا نسير صوب البلد الحبيب !



الثمن ٥ ل.ل